« الحلقة الثانية من »

جبل عامل في التاريخ

— بقلم —

محمد تقي آل الفقيه

« العاملي »

حياة جبل عامل السياسية في القرن

١٠، ١١، ١٢، ١٣، الهجري

قصة، وعبرة، وادب، وتحليل

النجف الأشرف

المطبعة العلمية

سنة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م

جبل عامل في التاريخ

بقلم
محمد تقي آل الفقيه

الجزء الثاني

المطبعة العلمية

٣/١٢/١٣٦٥هـ ٢٩/١٠/١٩٤٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على سيدنا ونبينا محمد
وآله الطاهرين

جبل عامل في التاريخ

تمهيد ، واعتذار ، وشكر ، وانتقام

ايها القارىء الكريم

انا نضع بين يديك الحلقة الثانية من كتابنا « جبل عامل في التاريخ » واني على يقين بانه سوف يوقفك على كثير من النواحي المجهولة لديك ، ويعطيك صورة مفعمة بالحقائق ، عن هذا البلد العربي الصميم ، ويصوره لك قديماً وحديثاً ؛ بصورة رائعة فتانة ، فان كتاب جبل عامل بمجموعه يريك هذا البلد العربي بين يديك في كتاب ، واذا قرأته ملأ قلبك بالذكريات البعيدة والاحاسيس السامية ؛ والشعور المبارك ، وحلق بك الى ماضي الازمان ؛ وغابر الأيام ، حتى كانك عشت مع آبائك ؛ او كأن آبائك يعيشون معك ، وحسبنا من القول فيه ، ماقاله الزعيم اللبناني الكبير الامير صبري حمادي ، رئيس البرلمان اللبناني في رسالته ؛ وهذا نصها

حضرة العالم القدير الشيخ محمد تقي الفقيه الافخم بملء السرور ؛ وبلذة كبرى ، طالعت كتابكم القيم « جبل عامل في التاريخ » فوجدت فيه نتاجا طيباً ، ومتعة وفائدة ، كلفوني بما يلزم ، وفقكم الله واعانكم لما فيه الخير والسلام (١)

(١) بيروت في ٢٨ ك ١ سنة ١٩٤٥ م التوقيع صبري حمادي

ايها القارئ

آثرت مواجهتك بهذا الاسلوب من البيان، على الاعتذار اليك، لانني كنت اواجه كل معتذر عن مجهوده، بقصور او تقصير، باسوأ الوان اللوم، المنتهية احياناً الى حد الاستخفاف والسخرية، حتى اذا احتجت الى الاعتذار عما وقع في الحلقة الاولى (١) علت باللوم على نفسي قبل ان يلومني القراء الذين لم تحنكهم التجارب، ولم تضرسهم الأمور: ان الماضي اذا لم تكثر المستندات، وتتوفر المصادر، انوار مستطيرة مدبرة، تغشاها ظلمات مقذوفة باشباهها، ولكن اليراع الباذخ الجريء، يستوحي الريح البليل الهادئ، ويحيا بالنفس الضعيف الخافت، ويهتدي بالضوء السقيم الخابي، فيكون له من ذلك مايكون من « الذرة » في مفعولها الجبار فيحول الظلمات الحالكة من سباتها العميق، وسكونها الابدي، الى حركة دائمة، ووجود مغمور بالحياة الفرحـــة الجذلة، وينشر فجر الحق ناصعا مستطيرا في آفاقها، فيجلل مبسم الدنيا بانواره الوضاءة الخاطفة، ويتحرك في كبدها، كما تتحرك السلامة في قلب المريض، ويدب بين طياتها دبيب

(١) ففي الجزء الاول اغلاط مطبعية لاتحصى، بعضها غير مفهوم، وبعضها مصحف تصحيفاً يعكس المقصود الى ضده، لذلك قلما يهتدى اليها القارئ بنفسه وفيه اغلاط غير مطبعية، كالغلط الواقع في ص ١٠١ وص ١٠٣ والعذر في ذلك مايعتذر به سائر الكتاب عما وقعوا فيه .

الدم في عروقه الخاوية ، حتى تعود سيرتها الأولى ، ان اليراع كان يحاول القيام بهذا الواجب ، منذ سنوات تزيد عن العشر ، ولكنه كان يرى نفسه لايقوى على تحمل هذه المسؤلية ، بتأدية هذه الرسالة ، ولا يستطيع التعهد بالبلاغ والاداء ، حتى اوشك ان يأخذه تيار التغابي الجارف ولكن الثقة لايضيع مااستحفظ ، والامين لايخون الوديعة والرائد لايكذب اهله ، ولا يدخر دونهم مجهودا

ايها القارىء

اذا قرأت « جبل عامل في التاريخ » فاذكر غموض المصادر ، وقلتها وحراجة الظروف ، التي حاولت خنق الكتاب في مهده ، بعدة اساليب واهية ، فاضطرت مؤلفه الى القناعة بكل شكل من اشكال طبع الجزء الأول وبكل لون من الوان الاخراج .

ان السلطة لم تسمح له بالنشر ، لانه يبحث عن قطر مجهول ، ولم تسمح له بالورق ؛ لانه يبحث عن بلد ليس . . . . إقرأه ، وقل لهؤلاء المأجورين ، ان عاملة إبن سبأ ، ليس من احفاد الزنوج ، وان لبنان ليس بالبلد المجهول كلا او بعضاً ؛ وقل لهم اننا اليوم في عصر النور وعصر الذرة وعصر المواصلات السريعة ، وعصر الوحدة العربية الكبرى

وقل لهم ؛ ان لبنان عربي بارضه ؛ ودمه ، وروحه وافكاره ، عربي ملء كلمة العروبة .

وقل لهم ، من سفوح لبنان سوف تنتشر طلائع النهضة العربية الصريحة ، والمبادئ القومية الصحيحة ، التي لاتعرف الالتواء ولا التحيز

وقل لهم ، ان رجال لبنان هم الذين يفهمون معنى العروبة ، ويعرفون كيف يخدمون العرب

وقل لهم ، ان العرب عائلة واحدة ، في بيوت متفرقة ، فلا لبناني ، ولا عراقي ، وقل لهم

ليس بين العراق والشام حد   هدم الله مابنوا من حدود

ايها القارئ

اذا كنت استحق شكراً على جهود ، كان من يشجعني على هـــذه الجهود شريكي في قليله وكثيره ، وان الشباب العاملي المهاجر ، قوي الاحساس ، ثائر العواطف ، وثاب الهمـة ، يستمد قوته من اسمى غاية ، ويرشق بهمته ابعد الاهداف وفي طليعة هؤلاء ، ابناء الجالية الاماجد ، المقيمين في مقاطعة سارليون فان لهم ايادي بيضاء ، على كثير من المشاريع الحيوية ، العامة والخاصة

وليس نشر الحلقة الاولى من « جبل عامل في التاريخ » الا مشروعاً من تلك المشاريع العامة ، فان (جبل عامل) لايخص واحداً ولا آحادا ، وانما هو للأمة العاملية باسرها ، وللعرب قبل ذلك اجمع ، ولله سبحانه قبل كل شيء :

وهـذه اسماء البررة المساميح ، الذين ساهموا في مشروعنا النبيـل ، نذكرها هنـا رمز شكر وا كبار ، داعين لهم بالتسديد والتأييد . مخلدين اسمائهم في تاريخ بلدهم الحبيب ، كما كانوا السبب في تخليد تاريخه . وكنا نود ان ننشر صور ثلة منهم غير اننا لم نحصل الا على بعضها . وهـذه صورة قائمة التبرعات المرسلة في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٦٤ هـ . ونشر هـذه الصحيفة وامثالها يرمز الى الفتوة العاملية والى ناحية اجتماعية هامـة فانها تدلنـا على مبلغ شعورهم بالواجب المقدس وتدلنا على لون حياتهم الادبية والمـادية فهي من اجل ذلك كله تعد بذاتها صحيفة من صحائف تاريخ عاملة المجيد .

شلن	ليرة	اسم المتبرع	المسكن
..	١٢	الشيخ ذياب الفقيه	حاريص
..	١٠	محمد الحاج حسن الفقيه	..
..	٧	محمد الشيخ احمد الفقيه	..
..	٧	علي الحاج حسن الفقيه	..
..	٥	علي الحاج محمد جواد	..
..	٢	محمد حسن الشيخ يوسف الفقيه	.
..	٢	حسن سليم حلاوي	صور
..	١٢	علي احمد مصطفى شعبان	حاريص

شان	ليرة	اسم المتبرع	المسكن
..	٧	علي الشيخ احمد الفقيه	حاريص
..	٧	خليل حجازي	..
..	٣	خليل الحاج محمد جواد	..
..	٢	زين الحاج محمد جواد	..
..	٧	علي محمد عبد الله	..
..	٣	خليل محمد عبد الله	..
..	٣	حسين علي محمود	..
..	٤	عبد الكريم حبيب سليمان	..
..	١٢	سعيد محمد الحاج قاسم خليل ووالده .	
..	١٠	الشيخ احمد شمس الدين	مركبا
..	٠٢	حسين علي احمد العلي	حاريص
..	٠١	احمد خليل	..
..	٠٢	حسين فياض شعبان	..
..	٠٢	عباس نصر الله وولده	..
..	٠٤	سلمان يحيا	..
..	٠٣	السيد خليل ال ابراهيم	الكوثرية
..	٠٣	علي يحيا	حاريص

شلن	ليرة	الاسم	المسكن
٢	٢	حسن سليمان	حاريص
٢	٢	محمد خليل	»
•	٢	محمد الشيخ احمد	»
•	١	حسين محمد جواد	»
•	٢	حسن محمد جواد	»
٢	٢	مصطفى عكر	طيردبا
٢	٢	علي محمد علي جواد	حاريص
•	٢	علي الشيخ احمد جواد	»
•	٢	محمود جواد	»
٨	١٤٩	الجمع	

وهذه صورة القائمة الثانية المرسلة في سنة ١٣٦٥ هـ

اسماء المتبرعين

شلن	ليرة	الاسم
٠٠	١٠	محمد الحاج حسن الفقيه
٠٠	١٥	ذياب الفقيه
٠٠	١٠	علي الحاج حسن الفقيه
٠٠	١٥	علي الشيخ احمد الفقيه واخوه محمد

شلن	ليرة	الاسم	المسكن
٠٠	١٣	حسن الحاج سليم حلاوي منها عشر ليرات نذر للعباس	
٠٠	٠٦	سعيد محمد الحاج قاسم	..
٠٠	٠١	عبد الكريم يضون	كبلا
١٠	٠٠	حسين معضاد	..
٠٠	٠١	حسين فياض	..
٠٠	١	ذايف عسيلي	..
٠٠	١	احمد خليل	..
٠٠	٢	احمد شمس الدين	كمباى
٠٠	٢	حسين علي احمد العلي	..
٠٠	٢	كامل عبد الله	مكيني
١٠	٠	عباس مكي	..
٠٠	١	عبد الله مروه	مابوركا

اسماء المشتركين

شلن	ليرة	الاسم	المسكن
٠٠	٢	علي رضا العلي	فريتون
٠٠	٢	زين سعد .	

شلن	ليرة	الاسم	المسكن
٢	٢	السيد عبد الله شرف الدين	
..	٢	عبد الحسين بسا	كبلا
..	٢	امين ذيب	..
..	٢	حسين علي ابراهيم	مكيني

هنا كنا نود وضع صورة الفتى النبيل السيد خليل آل ابراهيم الحسيني، اول متطوع في خدمة هذا الكتاب ، ولكن رسمه الموجود عندنا لم يكن واضحاً فامتنع الرسام من صنع كليشة له وموعدنا معه ومع امثاله من الفتيان الاماجد الجزء الاخير من هذا الكتاب انشاء الله تعالى



الجلوس عن يمين القارىء : ابو موسى الشيخ ذياب الفقيه « عم المؤلف
ابو نايف محمد الحاج حسن الفقيه « ابن عم والد المؤلف »
الوقوف عن اليمين محمد حسن الشيخ احمد الفقيه « ابن عم المؤلف » محمد
حسن الفقيه (اخو المؤلف) ابو انيس علي الحاج حسن الفقيه ابن عم والد المؤلف



محمد الحاج حسن الفقيه
قبل هجرته نشرنا صورته
منفرداً نظراً لخفائها في
الصورة المشتركة .



ابو رامز خليل حسن قاسم حجازي



علي الحاج حسن الفقيه قبل هجرته نشرنا صورته منفرداً نظراً لخفائها في الصورة المشتركة



خليل الحاج محمد الحاج علي جواد
﴿ ابن عمة المؤلف ﴾

ابو عبدالله علي الشيخ احمد الفقيه (ابن عم المؤلف)

حياة
جبل عامل

السياسية

حروب ، مغازي ، زعماء شؤن اخرى *

جبل عامل في تسعة قرون

ان تاريخ جبل عامل بخصوصه منذ فتح المسلمون سوريا الى نهاية الف عام اويزيد يكاد يكون غامضا ، حتى كأنه القي عليه ستر من النسيان ، فقد كانت بلاد الاسلام الواسعة يحكمها آحاد من الولاة ، وكانت سوريا باسرها يدير شؤنها وال واحد في زمن الخلفاء الراشدين : ثم كانت امداً طويلا مقر العرش الأموي

---

* وعدنا قرائنا في آخر الحلقة الأولى اننا سنحدثهم عن الزعماء امس واليوم ، ليكون القارئ عارفاً بابطال الحوادث عندما تمثل بين يديه ولكن الظرف دعتنا للاضراب عن ذكر الزعماء الماضين والحاضرين ، نعم سنعرف كل زعيم يمر معنا بكلمة مختصرة في هامش هذه الحلقة .

ومن الطبيعي ان لا يكون للمناطعة الصغيرة ، التي ليست مقراً للولاة ولا للخلفاء ، اهمية كبرى في التاريخ ، واذا كانت تقصد الاحتجاب عن العاصمة او الحاضرة جهدها ، فلا حرج على التاريخ ان لم يلم بشيء من شؤونها

وجبل عامل ، يتشيع منذ اليوم الأول ، وهو في قلب سوريا ، وسوريا عاشت نحواً من قرن ؛ وهي مقر العرش الأموي ؛ والأمويون من اعظم الناس عداوة لبني هاشم واشياعهم : وهذه العداوة ليست وليدة ذلك العصر ، فانها عاشت عقوداً في الجاهلية ؛ وخطت على رقاب عقود في الأسلام ، تلك هي عداوة هاشم وامية ، التي انتهت الى اعظم صورة من صورها ، علي امير المؤمنين عليه السلام ، ومعاوية ابن ابي سفيان ولقد تحولت من صبغة قبلية ؛ الى صبغة دينية ، ومن صبغة دينية ، الى صبغة سياسية :

ولقد استطاع الامويون التغلب على خصومهم في اول الامر ، فشفوا غيظهم ، وبردوا قلوبهم الحرانة ، حتى لم يستبقوا زيادة لمستزيد ؛ فلقد اباحوا دم الشيعة ، وقتلوهم تحت كل حجر ومدر ، واوغلوا في سب علي ع الى ان منع منه حفيدهم عمر بن عبد العزيز « اعدل خلفاء بني مروان » « ١ » ثم انقرضت الدولة الأموية من المشرق ، وتقوضت اركانها على

« ١ » وفيه يقول الشريف الرضي مخاطباً له وقد مر بقبره في دير سمعان

ذلك الاساس

فقد استطاع علي « ع » بعد مجاورة ربه ، ان يرسل قوة هائلة ، من مبادئه السامية ، واهدافه المقدسة ، على دولة عظيمة ، فيدك هضابها الشامخة ، وينكس اعلامها الباذخة ، ويبقي اطلالها مطموسة اثني عشر جيلا ثم قامت بعدها دولة اخرى ، اعظم سطوة ، وابعد سلطة ، واوسع نطاقا ، باسم علي وبنيه : تلك دولة بني العباس ، فدلنا ذلك على ان عليا « ع » كان ابعد نظراً في سياسته واعظم تفكيرا ، فقد استطاع ان يفوز في النهاية ، وان يحطم عدوه تحطيما لم يعرف التاريخ له مثيلا ، حتى اصبح الناس يخجلون من الانتساب لبني أمية نسباً ومذهبا ، وكفاه هذا الانتصار الخالد الشريف ، انتصاره في المبدإ ، والفكرة ، والرأي ، فان هذا الفوز هو الفوز الحقيقي ، وهذا الانتصار هو الانتصار الذي يتطاحن لاجله عقلاء البشر

قامت دولة العباسيين ، وهم هاشميون ، باسم علي وبنيه « ع » ولكنهم رأوا بعينهم ان هذا الاسم هو الذي قوض دولة خصومهم وخصوم بني عمهم ، فرأوا ان يستأصلوا العلويين بشتى الوسائل ، فاقدموا على

- يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من امية لبكيتك
انت انقذتنا من السب والشتم فلو امكن الجزاء جزيتك
دير سمعان لا عدتك الغوادي خير ميت من آل مروان ميتك

الوقيعة فيهم ؛ وانتصروا في الظاهر عدة قرون ، لكن دولتهم استؤصلت على ذلك الاساس بعينه ، كما يعترف به جملة من المؤرخين

فكان علي هو الغالب ، وكانت سياسته هي السياسة السائدة ، ثم جائت بعد ذلك دول اخرى ليس لها تلك الشؤون ، وكانت مزيجاً مركباً من عناصر مختلفة ، ومواد شتى

فمن الطبيعي اذن ، ان يكون جبل عامل الشيعي ، وهو القطعة الصغيرة من ارض الشام ، التي هي مقر العرش الأموي مهملا نفسه ، ومن اجل ذلك كان غير واضح في التاريخ ، وكان يرد ذكره استطرادا

هذه صورة مصغرة عن جبل عامل في تسعة قرون ؛ وربما توفقنا لنقل نبذة من كلمات المؤرخين المتعلقة بماضي جبلنا المحبوب في ظروف اخرى ، فقد مضى عليه مدة طويلة ، وهو ساحة حرب بين المسلمين والافرنج وبهذه المناسبة كثر التعرض لقراه (١)

ويظهر ان اهلها كانوا متفقين مع الافرنج كما يحدثنا به الشهابي (٢)

(١) فذكرت هونين ، وتبنين ، والصرفند ، وصور ، وصيداء وبانياس ، وغيرها مرارا

(٢) ص ٣٨٣ في حوادث سنة ٥٨٤ هـ فانه ذكر ان زعيمهم كان شيعياً وانه كان يحكم على ستين الفاً من الشيعة وانه هادن الافرنج في صور

وابن جبير (١) وقد كان يحكمه زعماؤه احياناً، ويحكمه آخرون في حين آخر ، ولا نعرف من زعمائه الاقدمين الا بشارة بن اسد الدين العاملي (٢) وبشارة بن مقبل القحطاني « ٣ » وبعض آخر

جبل عامل

في القرن العاشر والحادي عشر الهجري

كانت سوريا الى سنة ٩٢٢ ﻫ بيد الجراكسة (٤) وكانت الحرب قائمة بين الشاه عباس ، والسلطان سليم الأول العثماني وكان الشاه عباس

(١) في رحلته ص ٢٤٩

« ٢ » تقدم نسبه ص ٢٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب محكياً عن ابن فتحون وذكر الأمين في الأعيان ج ١٥ ص ١٠٣ ان بشارة هو اسد الدين بن عامر ، ولا نعرف مستنده

« ٣ » ديوان الباشا ص ١٦

– ٤ – اصلهم من سيبريا ، وكانوا عبيداً عند الاتراك وترقوا فاصبحوا يحرسون القلاع ، ومن اجل ذلك سموا البراجنة ثم ترقوا وتسنموا الملك ، وكان اول تشكيل دولتهم في ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ﻫ لاحظ تاريخ الشهابي ص ٥٠٢

على صفاء ومحبة مع الملك الاشرف قانصوه الغوري الجركسي ملك مصر وسوريا ، فاسعفه بوضع الخفراء في السبل لمنع وصول القوافل المعدة لنقل الذخائر الى جند العثمانيين ، وقد انتصر السلطان سليم في حربه هذه ، فحول قواته الى حرب الجراكسة ، وكان خير بك نائباً في حلب ، والغزالي نائباً في دمشق ، فكاتبهما السلطان سليم سراً ومناهما بالولاية على الايالات المصريه والشامية ، ولما بلغ الملك الأشرف توجه القوات العثمانية لحربه خرج بالعساكر المصرية الى نواحي حلب ، وولى عليهما النائبين الآنفين ، فالتقى الجمعان في مرج دابق فخانه النائبان ، وكان الامير فخر الدين المعني الأول حاضراً معه ولكنه تنحى ولم يشترك في الحرب فانتصر السلطان سليم انتصاراً هائلا وملك حلب وحماه وحمص ودمشق وبيت المقدس وغزه(١) وقتل الملك الاشرف او انتحر عندما شاهد الخيانة ثم قضى السلطان سليم على الجراكسة في مصر ودخلها بعد حرب طاحنة

ملك السلطان سليم الديار الشامية ، في التاريخ الآنف ودعا اليه زعماء البلاد ، واعطى كلا مقاطعته «٢» والظاهر ان الوضع استمر على ذلك ،

-١- الشهابي ص ٥٥٩ ولكن الخال في المقدمة ينقل عن تاريخ سوريا للمطران يوسف الدبس ان العثمانيين ملكوا سوريا سنة ٩٣١ هـ

«٢» في تاريخ الشهابي ص ٥٦١ مايدل على ذلك ، وهو لم ينص على جبل عامل بالخصوص كما لم ينص على بعلبك وفلسطين ، وانما ـ

وفي سنة ١٠١٦ هـ ارسل الامير فخر الدين المعني الثاني ابن قرقماز ابن الامير فخر الدين الأول، ثلاث مائة الف قرش مع ولده علي وكان عمره تسع سنين الى الوزير فعفا عنه وانعم عليه بسنجقية صيدا وبيروت وغزير، وفي سنة ١٠٢٠ هـ اراد الوزير قطع رواتب السكمان الذين في

— نص على انه ولي الامير فخر الدين بن عثمان المعني على بلاد الشوف والامير عساف على بلاد كسروان نعم ذكر في ص ٦١٢ في حوادث سنة ٩٥١ هج انه فيها توفي الامير فخر الدين بن عثمان المعني، وانه كان يحكم بلاد عربستان من حدود يافا الى طرابلس وكانت جميع تلك البلاد تحت امره، ويذكر ان ولده قرقماز تولى الحكم بعده، وانه ضعف امره بعد ذلك

وانه توفي سنة ٩٩١ هج وان ولديه فخر الدين الثاني ويونس توليا الحكم بعده، ويذكر ان الامير فخر الدين تولى على صفد في سنة ١٠١٢ هج ولكن الاستاذ الشيخ احمد رضا يقول في م ٢ من العرفان ص ٢٢٦ كانت جبل عامل قبل سنة ١٠٢١ هج حالها حال سائر البلاد السورية ينالها ماينالهم — كذا — من خير وشر وفي سنة ١٠٢١ هج الحقت جبل عامل بحكومة جبل لبنان في زمن الامير فخر الدين المعني — وكانت قبل ذلك قطعة مستقلة في ايالة صيدا كما صرح به جودت باشا — انتهى

وهو لايتوافق كثيراً مع مايذكره الشهابي فانه ينص على ان سنجقية صيدا وصفد كانتا تحت حكم المعنيين قبل سنة ١٠٢١ هج

قلعتي بانياس وشقيف ارنون ، فارضاه الامير فخر الدين (١)

ونحن اذا درسنا التاريخ ، وجدنا الامير فخر الدين المعني الثاني يحكم شطراً وافراً من لبنان في سنة ١٠٢١ هـ ووجدنا قلعتي بانياس والشقيف بيده ، وكانتا محصنتين على نهج القلاع والحصون ؛ وقد جعل الشيخ حسين اليازجي وكيلا في قلعة بانياس ، وكان يرجع اليه شرقي بلاد بشارة ؛ والشيخ حسين الطويل وكيلا في قلعة الشقيف وكان يرجع اليه اقليم الشومر والتفاح ؛ وكان العامليون لا يستطيعون حراكا ، لانهم مهددون بغضب السلطة العثمانية قبل كونهم مهددين بالقلاع ومن يحميها ؛ وكان زعماء العامليين اذ ذاك ، يقيمون في الزريرية ، وعيناثا ، والكوثرية ؛ وبنت جبيل ؛ وحومين الفوقا

ويظهر انه لم يكن بين هؤلاء الزعماء وبين الولات العثمانيين علقة ولا صلة ؛ وانهم كانوا يتصلون بالمعنيين واشباههم ، ويخضعون لهم على كره وبغضاء

ففي سنة ١٠٢٢ هـ حدث اختلال سياسي ادى الى عزم الأمير فخر الدين على الهزيمة ، في البر اولا ثم البحر اخيراً ، فتحسس العامليون ، وشرعوا في استغلال الموقف الجديد ، وحاولوا التفلت من مخالب المعنيين فاجتمعوا في بلاد بشارة ، ولا نظن هذا الاجتماع يتخطى بيت شكر

«١» ذكره الشهابي ص ٦٢٦

وزعموا الحاج علي واخاه الحاج ناصر الدين ابني منكر ؛ غير ان هذه الحركة لم توصلهم الى نتيجة محبوبة ؛ لاننا لم نجد في التاريخ مايدل على تغيير الوضع قليلا ولا كثيرا ؛ بل ربما كان الامر على العكس

ففي اثناء اجتماعهم ، تحرك جماعة من اهل الكوثرية من اتباع آل علي الصغير ، وسلبوا بعض المارة وكان غرضهم بذلك تشويش الامن الداخلي ليضطر الأمير فخر الدين الى توزيع قواه فاخبروا الأمير فخر الدين بذلك وكان مقيماً تحت قلعة الشقيف ينتظر فرصة للهزيمة ، لان الطرق اوصدت دونه وكان معه من السكمانية فقط الف فارس ، فذهب من ساعته بخيله ورجله ، الى الكوثرية ، ونهب جميع منقولات اولاد علي الصغير - وكانوا غائبين في جمعيـــة مشايخ بني متوال - في بلاد بشارة كما في رواية الصفدي « ١ »

« ١ » ص ١٦ وقال الشهابي ص ٦٣٠ من تاريخه ، حضر اليه - يعني الى فخر الدين - اناس واعلموه ان اولاد علي الصغير سلبوهم في الطريق فبالحال توجه وباغتهم في قرية الكوثرية ، وقبـل وصوله بلغهم الخبر بقدومـــه فهربوا فنهب القرية ، ورجع الى القلعة

ولعل هذه الحادثة هي التي يحدثنا عنها الشيخ احمـد رضا في م ٢ من العرفان ص ٢٢٦ حيث يقول فان الأمـير فخر الدين اغار على قرية الكوثرية في مقاطعة الشومر من جبل عامل وكانت محـلا لآل علي الصغير وترك عسكره يعبث فيها ثلاثة ايام بعد ان قتل المقاتلة

وهذا الحادث يوضح لنا مبلغ سلطة الامير فخر الدين ويعرفنا قوته في الحكم، واستبداده المطلق، الذي لايعرف الرحمة، ولا يفهم للعدل قيمة ولا وزنا

وربما نستفيد من اجتماعهم في بلاد بشارة، انها كانت خارجة عن سلطة المعنيين، وانهم من اجل ذلك اختاروا الاجتماع فيها، الا ان يكون ذلك من جهة انزوائها وبعدها عن دار الحكم وانهم انما زعموا آل منكر مع انهم ليس لهم سلطة مستقلة ابتعاداً عن التهمة

وهناك حديث آخر، يؤكد هذا الاستنتاج، وربما نستفيد منه ان هذا الشطر الخارج عن سلطة المعنيين، كان محكوماً ليبت شكر فقط

في شتاء سنة ١٠٢٣ هـ ارسل حسين الطويل الوكيل المرابط في قلعة الشقيف اناساً لينهبوا بعض قرى صيدا، وينهبوا العرب الذين اعتادوا النزول في الحولة، ثم يبيعون نصف المغنم للعلوفة «١» ويقتسمون النصف

ـ وسي الذرية انتهى فانا لانعرف يوماً لفخر الدين المعني في الكوثرية غير اليوم الآنف وحديث الصفدي عنه اوثق الاحاديث، لانه معاصر له ولعله كان يكتب الحوادث في وقتها، وقد كان يوقتها باليوم والشهر والسنة، والقارئ يرى ان الصفدي والشهابي نفيا القتال ونصا على انه لم يقف في وجهه احد ولا نعرف ماستند اليه الاستاذ رضا ولعل بعض الباحثين يوضح لنا هذا الحادث المجهول

«١» العلوفة: الراتب المعين للجند، والسكمان هم الجند

الآخر ، فعنــد ذلك تحمس اصحاب حسين اليازجي حاكم قلعة بانياس المرابط فيها ، وطلبوا منه ان يرسلهم الى مكان ينتفعون من غزوه ، فارسل ثمانية رجل الى حسين الطويل ، وضم اليهم حسين الطويل مائتي رجل ، وتوجه الجميع وكبسوا قرية عيناثا من بلاد بشارة ، وكان الخبر قد بلغ زعمائها بيت شكر ، فجمعوا الفتيان من القرى المجاورة والتقى الجمعان ، فقتل العامليون قائد الفرقتين — علي قول اوغلي — سردار السكمانية وستة بلو كباشية وستة عشر آخرين ؛ وجرحوا عدة مجاريح ؛ وانهزم الجمع وولوا الدبر ، فاتبعهم بيت شكر واعوانهم ، الى قريــة عين الدقيقة من الحولة (١)

ـ الذي يتقاضى راتباً ، وهم يطيعون حكام المقاطعات اذا كانوا يكرمونهم دون الوزراء والولاة

(١) نقل الحادث بهذه الصورة مستفاد من تاريخ الصفدي ، الموجود في ذلك العهد لاحظ ص ٣٩ وص ٤٠

وذكر الشيخ احمد رضا في م ٢ من العرفان ص ٢٢٦ ان كلاً منهم اغار على القرى الراجعة للآخر ، ولم يصرح بالمستند ولعله اعتمد على رواية الشهابي في تاريخه ص ٦٤٠ وص ٦٤١ وينبغي للباحث ان لا يتسلم الروايات على عواهنها ، فمن البعيد ان يغير احدهما على رعايا الآخر من غير ان يكون بينهما سابقة شحناء او بغضاء ، في حين انهما منصوبان من قبل حاكم واحد ، وان كنا لانستبعد شيئاً على ذلك العصر

وهذا الحديث يدلنا على ان الحولة كانت من اعمال صيدا ، وان صيدا خارجة عن منطقتي بانياس والشقيف وكذلك بلاد بشارة ، فهي اما تابعة لصيداء واما لصفد واما انها كانت قطعة مستقلة في ايالة صيدا كما قاله جودت باشا « ١ » اذمن البعيد ان يتفق حاكمان على مهاجمة الرعايا الراجعة الى احدهما بدون ذنب اوجرم وهذا الحديث يكشف لنا عن ان الشكريين هم حكام بلاد بشارة في ذلك التاريخ دون غيرهم ؛ وقد صرح بذلك بعض مؤرخي العامليين ، ويدلنا على مبلغهم من النجدة المذهبة والبسالة المشبوبة ، والتيقظ الواعي ومن ثم استعدوا ، وكانت همتهم قتل القائد الأكبر ، والفتك بالضباط ، وهم اعيان الجند ؛ فاذا قتلوا تفرق جمعه ، وتبدد شمله ، وهكذا كانت النهاية

ولا نستبعد ان يكون الشكريون قد تسلموا بلادهم من قبل حاكم صيدا لأنها لم تكن باشوية في ذلك التاريخ ، اومن قبل المعنيين ، اذمن البعيد أن تكون كتبت عليهم من قبـــل والي الشام ؛ ثم يهمل التاريخ ذلك كل الأهمال : : اجتمع زعماء عاملة ، في بلاد بشارة ، وتأسس هـــذا الاجتماع لانتخاب زعيم ؛ وتم الانتخاب ، وزعموا آل منكر ، وساعدتهم الظروف السياسية ، فان الامير فخر الدين فر في البحر هاربا ، وبعد فراره قدم اخوه الامير يونس المعني ، مالا جزيلا الى احمد حافظ باشا ؛ فاعطاه سنجقية

« ١ » راجع ص ٢٢ س ١٧ من هذا الجزء

بلاد الشوف ، ولكنه لم يطلق له والدته وبقية الاسرى ، ثم ان احمد حافظ باشا جهز جيشاً لمقاتلته في سنة ١٠٢٣ هـ لبعض الاسباب ، بقيادة الحاج علي ابن منكر ، واخيه الحاج ناصر الدين ابن منكر ، وحسن باشا البستانجي حاكم صيداء ، ومحمد اغا اليازجي بلو كباشي ، ففر الأمير يونس ؛ واستماتت اهالي الشوف في الدفاع عن اعراضهم ، فانكسر جيش الحافظ بعد خسارة خمساية مقاتل ، اكثرهم من السكمانية ومن جملتهم محمد آغا اليازجي بلو كباشي « ١ » ثم حاول الحافظ جمع قواته من جديد ، وراسل الحرافشة ، ويوسف باشا ابن سيفا ، وطارد المعنيين ؛ واسر النساء والاطفال ، واحرق بنو سيفا كثيراً من بلاد الشوف وعيد الحافظ عيد رمضان في مرجعيون وبينما هو في ريعان انتصاره ؛ واذا بالقدر يفاجئه بقتل الوزير نصوح باشا وتعيين محمد باشا القبودان وزيراً من بعده ، وكان بينه وبين الامير فخر الدين اسباب مودة « ٢ » ومذ عرف احمد حافظ باشا بذلك رجع الى الشام (٣) وفي سنة ١٠٢٤ هـ اعطى الوزير محمد باشا سنجقية صفد للامير يونس المعني ، وسنجقية صيدا ، وتوابعها للامير علي المعني (٤) وكان

« ١ » الصفدي ص ٣٦ و ص ٣٧

« ٢ » لانه استطرق لبنان بعد عودته من مصر معزولا فقدم له الامير فخر الدين اموالا جسيمة

« ٣ » الشهابي ص ٦٣٩ و ص ٦٤٠

« ٤ » الصفدي ص ٤٦

الأمير يونس الحرفوشي يتدخل في كثير من هذه الشؤون ، ويتوسط في ارجاع سلطة المعنيين كما يبدو من ملاحظة مجموع الحوادث ، حتى انه تعهد هو وحسين اليازجي للعثمانيين في تنفيذ الشروط التي من جملتها هدم قلعتي بانياس والشقيف فقبل المعنيون بذلك مرغمين ، لأنهم ادركوا سوء العاقبة ولكن اليازجي اكد لهم انه لا يرى وجهاً للخلاص غير ذلك فنفذوا الأوامر ، وهدمها البناؤن في اربعين يوما (١) ولا نستبعد ان يكون هدم القلاع احد التدابير التي اتخذها الامير يونس الحرفوشي لمساعدة العامليين ، واضعاف المعنيين ، وساعده على ذلك الأمر رغبة الحكومة فيه ، وقد يكون اشترك هو وحسين اليازجي في هذا التدبير فان حسيناً طلب سنجقية صفد في سنة ١٠٢٧ ﻫ ووافقه زعماء عاملة خاصة وهذا مما يدل على تفاهمهم من ذي قبل في هذا السبيل

وقد انتفع العامليون بهدمها بعد عقود من السنين ، فانها سهلت لهم التمرد على غاصبيهم حقوقهم ، فكان لهم بعد ذلك مواقف محمودة ، ثم شيدوها فكانت عوناً لهم وملجأ

واذا كانت الخطط السياسية قد تبدلت بتبدل الوزير ، ورجوع احمد حافظ باشا الى الشام ، وفشلت اساليب زعماء عاملة ، فمن الضروري ان يحفظوا خط الرجعة ، وقد فعلوا ، فبينما هم يتزعمون الجنود المحاربة للمعنيين

---

(١) الصفدي ص ٤٩ و ص ٥٠

سنة ١٠٢٣ ﻫ واذا بالسياسة تدعوهم لأن يسيروا في صفوفهم وان يفكروا في خطط أخرى ؛ ومن اجل هذا كله ، نجدهم في سنة ١٠٢٥ ﻫ في شعبان يقاتلون معهم في حرب الناعمة ؛ التي كانت بين المعنيين وبين ابن سيفا والشيخ مظفر ، فان ميسرة جيش المعنيين كانت مؤلفة من العامليين ومن رجال الامير علي الشهابي ؛ وكانت الغلبة للأمير علي المعني « ١ » ثم ان الأمير علي قسم البلاد بعد هذه الوقعة ، فاعطى عمه الأمير يونس حكم بلاد الشوف وبلاد بشارة ؛ وبلاد كسروان ، واعطى الامير علي الشهابي حكم بلاد مرجعيون ؛ والحولة ، واعطى الشيخ حسين اليازجي حكم بلاد صفد وبلاد الشقيف ، وابقى حكم مدينة صيدا في يد الشيخ حسين الطويل ، وكل توجه لمنصبه غير راض (٢)

وهكذا كانوا يقاتلون معهم في جميع غزواتهم ومدافعاتهم ، ولكنهم

« ١ » ملخص عن تاريخ الصفدي ص ٥١ و ٥٢ وقد ذكر ذلك الشهابي ايضا ص ٦٤٩ ولم يصرحا باسم احد من زعماء عاملة في هذه الوقعة ولا في هذا التقسيم

« ٢ » ذكره الصفدي ص ٥٣ و ٥٤ وذكره الشهابي ص ٦٥١ وفي حديثه زيادة لا يهمنا امرها ، وجعل ذلك في حوادث سنة ١٠٢٦ ﻫ ثم ذكر الشهابي في مقام آخر ان الأمير علي المعني ، سلخ بلاد بشارة عن حكم الشوف ، وجعلها تابعة الى ولاية صفد وصار الجميع تحت حكم حسين اليازجي

هل كانوا مختارين في ذلك اومرغمين ، ذلك شيء لانعرفه ؟

والذي نعرفه ان الامير يونس المعني كان يقيم في صور اثناء توليه على عاملة ، وحسين اليازجي كان يقيم في تبنين اثناء توليه عليها ، وانهما كانا يقودان الشعب باجمعه وقت الحاجة ويوجهانه حيث ارادا

ثم انه عندما تولى الأمير علي المعني حكومة البلاد ، وعاد الحكم للمعنيين ، اضرب زعيم العامليين الحاج علي ابن منكر ؛ عن الدخول تحت سلطتهم ؛ ونزح الى بعلبك ، واقام عند الحرافشة ، وكان قد تزوج الامير احمد ابن الامير يونس الحرفوشي بفاخرة ابنة «١» الأمير علي المعني ، وسكن في قرية مشغرة ، واسس بها اساس بناء عظيم ، ليسكن هناك وابتدأ يكاتب بني متوالي ، فحضر اليه اولاد داغر ، واولاد علي

«١» كان عمر الامير علي المعني في هذا التاريخ نحواً من عشرين سنة فقد ذكرنا في ص ٢٢ من هذا الجزء س ٣ ان عمره كان في سنة ١٠١٦ هج تسع سنين ويبعد ان يكون له بنت في محل الزواج ، كما يبعد ان يجري عليها العقد وهي دون البلوغ وصرح الصفدي ص ٦٦ انه تزوج بابنة الأمير فخر الدين ، ورواية الشهابي صريحة بانها ابنة الأمير علي ، والعادة تقضي بصحة رواية الصفدي لما قلناه . ولانه معاصر للقوم ومتخصص في تدوين مايجري لهم ، وقد توفي زوجها الامير احمد سنة ١٠٣٠ هج وكان له منها ولد ويكون عمر الأمير علي في ذلك التاريخ نحواً من ٢٤ سنة

الصغير ، وبيت منكر ، فلما بلغ الأمير علي المعني ذلك ، ارسل الى والده الأمير يونس الحرفوشي ، ان يمنع ولده من السكنى في قرية مشغرة ، فارسل جواباً ان ولدي مراده القرب منكم ، وان يكون هو وزوجته بجيرتكم ، وتحت انظاركم ، فما قبل الامير علي بذلك والزمه ان يرجع الى بعلبك « ١ »

(١) مابين الاهلة هو لفظ الشهابي في تاريخه ص ٦٥٥ ذكره في حوادث سنة ١٠٢٧ هج واما الصفدي فقد ذكر هذا كله ص ٦٦ و٦٧ وزاد عليه اشياء لها قيمتها منها ان العامليين الذين زاروه حملوا له هدايا ، ومنها انهم وفدوا عليه — بحجة انهم يسلموا على قرابتهم الحاج علي ابن منكر لكونه كان نازحاً عنهم من حين رجع الامير علي الى البلاد وحكمها ، ونازلا عند ابن الحرفوش الامير يونس — ومنها ان الأمير علي فهم غرض الحرافشة وانهم يريدون استمالة العامليين واحتلال مشغرة فارسل الامير علي الى الامير يونس الحرفوشي — مع السيد نور الدين من قرية جبع يطلب منه ردع ابنه عن البناء ومنعه من الأقامة في مشغرة اذا كان يرغب في استبقاء الصداقة ، فخاتله الامير يونس في الجواب ، فارسل اليه ، ثانياً مع السيد المذكور انه لابد من ذلك فمنع ابنه الامير احمد واعتذر اليه على لسان قريبه — ابن حاج — — ومع هذا كله ماانقطعت حكاياتهم ومراسلاتهم الى مشايخ بني متوال وهم لم يمتنعوا من التردد اليه انتهى حافظنا على لفظه مع لحنه

والظاهر ان السيد نور الدين الآنف هو اخو صاحب المدارك

وهكذا مابرح العامليون مجدين ، غير ان هذه الحركة لم تكن غامضة ، ومن ثم اتضحت اهدافها بسرعة ، واعقبها الفشل ، ولكن ذلك لم يفت في عضد العامليين ، فان الزعيم ابن منكر ، نزح الى الديار البعلبكيـــة ، واقام ضيفاً كريماً عند الحرافشة ، ولعب دوراً هاماً ، وانشبها حرباً ادبية طاحنـــة ، ومن القضايا التي لايشك الباحث فيها ، ان نزوحه كان خوفاً من خـــدع المعنيين ، وتحرساً من اغتيالهم ، لانهم عرفوا ماتنطوي عليه نفسه ، وقـد كان نزوحه هذا مبنياً على تواصل المواصلة والزيارة ، لتكون هذه الحفلات العلنية ، حفلات سياسية خفية ، تنتج التدابير ووضع الخطط في جو هادئ ولا ريب انهم كانوا يجمعون المال والسلاح ، او يفكرون في الحصول عليهما والمال هو القنبلة الوحيدة التي يتسلح بها زعماء الاقطاع في ذلك التاريخ فانهم كانوا يشترون ذمم الولاة والوزراء والجند بالاف القروش ، وكان يكفي العامليين في الخروج عن سلطة المعنيين ضمان بلادهم او بلاد المعنيين انفسهم ، باكثر مما يضمنونهـا به فان المقاطعات كانت تباع كما تباع السلع بالمزاد العلني ، ولا يضر الولاة بعد ذلك مايكون من ارهاق وارهاب وضغط ، واني للعامليين بالثروة في ذلك العهد ، والمعنيون لايردعهم عن حلب درهم دين ولا وجدان

(١) وكانت هذه الحركات بعد وفاة صاحب المدارك بنحو من سبع عشرة سنة وربما كان يوجد شخص آخر بهذا الاسم ، ولعل السيد نور الدين لم يكن مهاجراً الى مكة في هذا التاريخ والله العالم

ان العامليين كانوا يتصلون بالحرافشة على اساس الجامعة المذهبية فقط ، فان البعلبكيين والعامليين يشتركون في اعتناق التشيع منذ العهد الأول ، والطائفية في تلك العصور كان لها مفعولها ، وما زال العامليون والحرافشة جادين في امرهم ؛ يستفرصون كل سانحة ؛ والمعنيون كذلك وعلى هذا الاساس تنبه الامير علي المعني الى الخطر المحدق به ؛

وسارع الى جمع قواته ؛ بحجة وضع معاهدة سلمية بينه ، وبين الأمير منذر وابن اخيه ، المطالبين بقرية الناعمة ، وانهم ان لم يرضوا بذلك فهو مستعد لقتالهم ، وكان هدفه الحقيقي ؛ من جمع هذه القوات ؛ ضرب العامليين غيلة ، ومنعهم من الاتصال بالحرافشة ، اوالقضاء على الزعماء « ١ »

وبينما هم في هذا البحران السياسي ، واذا بالامير فخر الدين المعني يعودُ بعد تشريده في سنة ١٠٢٧ هـ وكان بلغه ما يحاوله العامليون والحرافشة ، فاستقبله زعماء عاملة الى عكا وحينما وقعت عينه على الحاج ناصر الدين ابن منكر مسكه » والقى عليه القبض لانه من اعيانهم (٢) ثم توسط الأمير يونس الحرفوشي في تخلية سبيله لقاء اثني عشر الف قرش (٣) وكان اخوه الحاج علي لا يزال مقيما في بعلبك

(١) قال الصفدي ص ٦٨ ما لفظه وبالأكثر كان سبب هذه الجمعية احوال بيت الحرفوشي ، ومسكهم قرية مشغرا ، ليطردهم عنها

(٢) الصفدي ص ٦٩

(٣) اخذت من الشام قرضاً بكفالة الحرافشة

ان هذه الحركات ، تعطينا صورة واضحة لها قيمتها ، عن زعيم عاملة الحاج علي ابن منكر ؛ فانه تحصن بالحرافشة ، وطفق يدير شؤون السياسة الداخلية والخارجية في بلاده ، وكان ذلك من التدبير والحزم فان خصومه لا يقدرون عليه ، وكل ما يصيب العامليين بعد ذلك لا يفت في عضدهم ، ولا يخفف من هوسهم ، في طلب حقهم والمحافظة على شرفهم فان الزعيم اذا قتل اواسر ، تفرق الجند وتوزعت القوى ، وتحطمت الأمة كما يتحطم قشر البيضة ، ولكنه اذا بقي في منعته ، لم تؤثر عليهم أية خسارة ادبية اومادية بعد ذلك ، فان السراة المغامرين ، يركنون اليه ، ويعتمدون عليه ، في الخلاص فيجازفون بانفسهم ، ويخوضون الغمرات ، لانهم يجدون خلفهم قوة تبعث فيهم روح الأمل ، وتمنيهم بالنجاح ولو بعد حين ، تلك هي قيمة الزعيم التي يجهلها فتيان عاملة اليوم ، الذين يجدون في تحطيم الزعماء ، وهم يحطمون الامة ، ويحطمون انفسهم قبل ذلك ، ولا يشعرون.

رجع الأمير فخر الدين بعد فراره ، وبالطبع انه كان مفلساً ، وهو في حاجة الى الأموال ليرضي الولاة والوزراء ، ففرق الجباة على الاقطاع فاضرب الزعماء في عاملة ، وفلسطين ، وخرجوا من بلادهم ، فذهب بيت شكر ، واولاد علي الصغير ، واقاموا عند الحرافشة وجعل الزعماء المهاجرون يغيرون على البلاد بين آونة واخرى ، ويشوشون

الأمن «١» وهذه الخطة كانت آخر الخطط التي سلكها العامليون في مقابلة المعنيين ، فقابلهم الأمير فخر الدين بالعسف والشدة ، فارسل وهدم بيوت أولاد شكر في عيناثا ، والحاج علي ابن ابي شامة في بنت جبيل وفرحات بن داغر في انصار ، والحاج ناصر الدين ابن منكر في الزريرية وولده في قرية حومين الفوقا ، وضبط جميع غلتهم «٢» واخيراً ظفر بالصفديين النازحين فشفى غليله

فانه خرج مع خمسماية سكماني بحجة الصيد ، واطبق عليهم ليلا غيلة فقتل منهم خمسة عشر قتيلا ، وسبى ذراريهم ونساءهم ، واخذ اموالهم كلها غنيمة ، واما العامليون فلا نعرف من عاقبة امرهم بعد هذا الحادث شيئاً ، فلا نعرف متى رجعوا ، ولا نعرف اين اقاموا

وربما يسمح لنا الفن اذا قلنا انهم اتفقوا مع الامير فخر الدين المعني ، واعطوه أزمة الطاعة ، فاننا نقرأ في حوادث سنة ١٠٣٣ هـ انه ارسل خلف رجال بلاد بشارة ، وبلاد الشقيف ، وصيدا انهم يجوا الى عنده ، بمرج عدوس وارسل ايضاً الى الامير علي ابن الشهاب ان يرسل ولده الأمير محمد ، والأمير قاسم برجال بلادهما وكذلك الى اخيه الأمير

«١» يظهر من عبارة الصفدي ان الذين كانوا يشوشون الأمن هم زعماء صفد وعاملة ، ويحتمل اختصاصها بالصفديين

«٢» آخر حوادث سنة ١٠٢٧ هـ من كتاب الصفدي ص ٧١

اجملا « ١ » وهكذا عدد رؤساء المقاطعات وهذا يدلنا على ان بلاد عاملة لم يكن يرأسها في هذا التاريخ غير زعمائها : فان لمن لاحظ أسلوب الكتاب ، يجده يرسل إلى إخيه او الى الشيخ حسين الطويل او الى غيرهما ممن تولى على بلاد عاملة ، يأمره باحضار رجال بلاد بشارة ، وفي هذه المرة نجده يراسلهم رأساً ، مما يدل على انهم هم الذين يقودون امتهم ، وغير بعيد ان ينيلوا له مايريد من مال ورجال ، كي يتخلصوا من ظلم المتسلطين والحكام ، وربما يكون غير ذلك

عاد الامير فخر الدين — كما قلنا — وكان بالأمس زعيما مطاعاً وقد احكم اليوم صلاته مع رجال العثمانيين ، فاستقامت له الأمور ، واستوسقت له البلاد ، فطفق يحلب درها ، ويسقيه معيناً بارداً للوزراء والولاة والسماسرة ، فاخلد الشيوخ والأمراء والمقدمون الى السكينة ، ووقفوا يستفرصون الحوادث وجعلت المقادير تساعد الامير فخر الدين بما شاءت فتفسح له الطريق ، وتسهل امامه السبل

ففي سنة ١٠٣٢ هـ جمع القوات التي تحت حكمه ليحاربوا معه ، ومنهم العامليون ، فانقادوا له ، ولم يتخلف من حكام المقاطعات احد ، وفي هذه السنة ايضاً رفعت السلطة يد الأمير فخر الدين عن سنجقية صفد ، ونابلس وعجلون ، فحاول الأمير يونس الحرفوشي الحصول عليها لنفسه ، وخطبها

« ١ » الصفدي ص ١٨٠ واللفظ الملحن له

من الولاة ؛ فما كادت تتم له حتى جمع الأمير فخر الدين قواته وكان العامليون من جملتهم وحاول غزو الحرافشة ، بعدمازاد على بلادهم مئةالف من الذهب ؛ فانتقل ، الأمير يونس الحرفوشي من القلعة الى الحصن ، بعد ماخلف حامية مهمة ؛ في قلعة بعلبك ؛ فابقى عياله في الحصن ، ثم اقفل نحو الولاة والحكام ، يستثيرهم ويتناول خصمه بايديهم ، فدخل الأمير فخر الدين الديار البعلبكية ، ونهب واحرق « ١ » واسعفه على ذلك غيبة الأمير يونس ، ومساعدة الأمير شلهوب الحرفوشي ، فانه هو الذي تولى ادارة شؤون البلاد اثناء غيبة ابن عمه الأمير يونس ويظهر ان الأمير يونس كان يحافظ على شعبه ، ويريد ان يضحي في سبيل الحكم رجالا آخرين ثم تزلف الأمير فخر الدين الى الولاة بالاموال ، فعادت له سنجقية صفد ونابلس وعجلون وفي سنة ١٠٣٣ هـ اتفق والي الشام مصطفى باشا بكاربكي والأمير يونس الحرفوشي ، وابن سيفا وغيرهم من الأمراء والباشاوات على حرب الأمير فخر الدين ؛ فقامت الحرب على ساق ، ووقعت الهزيمة واسر الباشا ، وترجل له الأمير فخر الدين وولده الأمير علي ؛ وقبلا ذيله ، ومشيا بين يديه وهو راكب ، واعتذر له الأمير فخر الدين عما جرى ، واكرمه فرضي عنه ، ثم نهب الأمير فخر الدين مالاً للأمير يونس

« ١ » الشهابي ص ٦٨٧

الحرفوشي من المعز ، وكانت نحواً من عشرة الاف رأس « ١ » وفي هذه السنة ايضاً امر مراد باشا ، الأمير خالد بن عجاج ، ان يمر على معرة النعمان ، وان يقبض الأمير يونس الحرفوشي لأنه كان مقيماً فيها ، فقبضه ورفعه الى قلعة سلمية ، وكان ذلك في اواخر جمادي الأولى (٢) فتوسط ولده الأمير حسين الحرفوشي في فكاكه ، فانه كان في حماه عند محمد باشا ، فحضر الى اللبوة ، ودخل الحصن ، وبذل الى الامير فخر الدين اربعين الف قرش ثمن سكوت لئلا يغري مراد باشا والامير مدلج في قتل والده ، وكان البذل بواسطة خاله الأمير شلهوب واخيه الأمير علي ، وكانا مقيمين عند الأمير فخر الدين في بعلبك ، فقبل بذلك (٣) ثم حاصر الامير فخر الدين قلعة بعلبك ، واخيراً خدع المحاصرين ، وكانوا قد ضويقوا من قلة الحطب فقط ، ففتحوها بعد حصار اربعة اشهر ، وخرجوا بسلاحهم ، ثم ان الأمير يونس الحرفوشي عندما اجتمع بمراد باشا ارضاه ، ثم جاء محمد باشا الى بعلبك ، وكتبها على الأمير علي ابن الامير يونس الحرفوشي ، ثم ان الأمير يونس دفع لمصطفى باشا ثلاثين الف قرش على قبض الأمير شلهوب الحرفوشي وقتله ، وكان الامير شلهوب من سكمانية الشام فقبض (وكان اخر العهد به) وصار

« ١ » الصفدي ص ١٥٠ وغيرها
« ٢ » الصفدي ص ١٧١
« ٣ » الصفدي ص ١٧١

الامير علي ابن الأمير يونس الحرفوشي مكانه وسكن داره وتزوج بامرأته :

وهنا ظهرت قوة الأمير فخر الدين ، واخلاصه للدولة لأنه عفا عن الباشا ، وبذل الاموال ، وادى ما عليه ، فجاءه كتاب همايوني ببلاد عربستان من حدود حلب ، الى حدود القدس ، على ان يؤدي خراجها ، ويحفظ الأمن ، فجعل للسلطان زيادة على الاموال المقررة مائتي الف من الذهب

وفي سنة ١٠٣٥ هـ قتل الوالي الامير يونس الحرفوشي وفي سنة ١٠٣٨ هـ اخذ الامير فخر الدين يؤسس القلاع ، ويرمم الموجود منها وحدثته نفسه بالاستقلال والاستبداد فشعر العثمانيون بذلك ، فمنعه والي حلب من بناء القلاع في جوارها فلم يمتنع ، فغزاه الكجك احمد باشا في سنة ١٠٤٣ هـ وقتل ولده الامير علي من رمح اصابه في كتفه ، وحمل رأسه للوالي ، ومذ علم الامير فخر الدين بذلك ، دب الوهن فيه ، ففر الى نيحا واختفى في شقيف تيرون ، ثم هرب منه وتدلى من خلفه واقام في مغارة جزين ، ثم خوصر فسلم ، فاوثق هو وولداه منصور وحيدر وغيرهم كتافه ، ثم ارسل الى اسلامبول ، وبعد ثورة الامير ملحم ابن الامير يونس المعني ، قتل عمه الامير فخر الدين في اسلامبول وآخرون وكان الامير يونس مختفياً في بلاد بشارة في قلعة دوبية ، فقبض مع ولديه ملحم وحمدان ثم اطلق الامير ملحم ليأتي بالأموال ، فيفدي اباه واخاه ، ولكنه لم يعد ، فماتا تحت العذاب

وسلم الأمير ملحم ، وتولى الحكم بعد ذلك (١)

وهكذا انطوت صحيفة دامية ، من تاريخ لبنان العربي ، اومن تاريخ العرب في لبنان ، في نحو من نصف قرن ، وكان زعماؤه يتطاحنون على الحكم ويتسابقون لاستغلال منافع الشعب البائس ، وقد انقضت حياتهم هذه بين مد وجزر ، ثم كانت سراباً بقيعة يحسبه الظمآن ماء ثم اصبحت عبرة ، وامست عظة

ولو انهم قاموا بواجبهم ، ونصحوا لشعبهم ، لكان لهم بعد ذلك مايكون للأحرار المجاهدين

فليتنبه رجالنا اليوم : وهم في طليعة عهد الاستقلال ، وليحذروا العواقب وليعلموا انهم في عصر النور ، وليغتنموا فرصة الحكم ، وليحذروا ضربة القضاء الكبرى ، ولا يغرنهم ماهم فيه من القدرة والنفوذ ، فان الجبابرة جند الله سبحانه ينتقم بهم ومنهم : نعم هكذا انطوت هذه الصحيفة بين مد وجزر ، فانقضى عهد الامير فخر الدين ، وانقرض هو ومعاصروه من الحرافشة ، ولم نعلم ماجرى على آل منكر ؛ وجاء دور الانقلاب ، وتشكلت الحكومات الجديدة ، ولم نجد في المصادر التاريخية التي بين ايدينا نصوصاً نستند اليها في شأن جبل عامل ، لذلك لانستطيع النفي او الاثبات ؛ الا

(١) تاريخ الصفدي ص ٢٤٧ وص ٢٤٨ والشهابي ص ٧١٩ وص ٧٢٠ اقتضبنا رواياتنا الآنفة منهما ، وهما يختلفان في كثير من الخصوصيات

على نحو من التقريب ، الذي يولده الفن من طريق الاستنباط والاستنتاج ؛ وغير بعيد ان يحكم العامليون انفسهم في هذا العهد ، لضعف المعنيين ، المادي والادبي ، فان الثورات الآنفة ، لم تبق لهم باقية ، والسلطة اصبحت تعدهم متمردين ، ولون الحكم الذي كانوا يطبقونه على الرعايا خلق لهم مشاكل اخرى ؛ ويزيد هذا الاستنتاج وضوحاً . بملاحظة ماسلفناه (١) فاننا كنا نستقرب ان يكونوا حكموا انفسهم على عهد الامير فخر الدين

ويمكننا ان نستند في دعوانا هذه ، الى ماحدثنا به الشهابي ، فانه قال ان بني سيفا تولوا ايالة طرابلس ؛ واليمنية بلاد الشوف (٢) ولم يتعرض الى مقاطعات عاملة وصفد وغيرها ؛ كما هي عادته وذلك دليل واضح على انها لم تكن تحت حكم كل من زعماء القيسية واليمنيه ، ويحتمل ان يكون الحكم اصبح بيد العثمانيين مباشرة ، ويحتمل ان يكون زعماؤها هم الذين يستأجرونها من الوالي ، ويؤدون الضريبة ، ويحفظون الأمن الداخلي ، غير ان الشهابي يذكر في حوادث سنة ١٠٤٦ هـ ان احمد الشمالي كان يتولى سنجق صفد ويتسلم بيروت ، وان الأمير ملحم المعني ظهر بعد اختفائه وحكم الشوف ، وانه فيها قتل الكجك احمد الذي انقرض حكم فخر الدين المعني على يده ، وان الأمير عساف حكم بلاد عكا (٣) وفي سنة ١٠٤٧ هـ

(١) لاحظ ص ٣٦ من هذا الجزء

(٢) الشهابي ص

(٣) الشهابي ص ٧٢٢ و ص ٧٢٣

اتفق الامير صاف مع الأمير ملحم المعني ؛ ثم قتل الأمير عساف ابن سيفا وهرب الأمير ملحم (١) وهذه الاحاديث تدلنا على ان القوم اشتغلوا بأنفسهم عن بلاد عاملة واشباهها ، وان العاملين اغتنموا هذه الفرصة ، وجمعوا قواهم واستقلوا بالحكم

واقعة انصار الأولى

ولكن في سنة ١٠٤٨ هج قدم السلطان مراد خان الى مدينة حلب بعساكر وافرة قاصداً بغداد ، فخاف الأمير علي ابن علم الدين منه ، وانتقل الى بلاد بشارة وكان الأمير ملحم ابن معن في وادي التيم ، فارسل الى رجال الشوف ، وسار بهم الى بلاد بشارة ؛ وباغت الأمير علياً علم الدين في قرية انصار فهرب ابن علم الدين ، وارسل الى متسلم الشام يطلب المعونة فارسل له عسكراً من السكمان ، وزحف بهم لمحاربة الأمير ملحم فهرب امامه ، وخرب الشوف والمتن والغرب والجرد من القيسية (٢) وتسمى هذه الوقعة عند العامليين وقعة انصار (٣) وقد قتل فيها من الشيعة

(١) الشهابي ص ٧٢٣ وص ٧٢٤

« ٢ » تاريخ الشهابي ص ٧٢٤ واللفظ له

« ٣ » جبل عامل في قرنين للسبيتي ، وهو كتيب صغير يبلغ ـ

- ثماني صحائف بقطع هذا الكتاب، نشر في العرفان في ج ١ م ٥ .
وهو يبتدئ من سنة ١٠٤٨ هج وينتهي في سنة ١١٥٦ هـ وقد استنسخه الاستاذ منيف الفقيه بامر خاله العلامة الشيخ علي الفقيه « اخي المؤلف الاكبر » عن نسخة بخط السبيتي وجدت في مجموعة عند عبد الخالق الفقيه من قرية حولا ، وهي تشتمل على فائدة مهمة ، فان السبيتي قال في اولها بالفظه وجدت في بعض مجموعات اصحابنا صارت وقعة انصار من بلاد الشقيف سنة ١٠٤٨ هج وقال في اخرها مالفظه : تم ما عثرنا عليه من مجموعة المرحوم المقدس استاذنا الشيخ علي مروة : وبهذه الكلمة تنتهي الرسالة ، وعليه تكون هذه الرسالة من مؤلفات مروة لا السبيتي ، ونسبتها له من المشهورات التي لا اصل لها ، ويظهر ان الخال « ره » نقل النسخة برمتها من مستحضراته الخطية وزاد عليها بعض التعليقات ، واتبعها بما جرى في بقية السنين الى عهد الاحتلال الافرنسي ، وسمينا كتاب الخال المقدمة لأنه وضعه لنا كمقدمة لهذا الكتاب لاننا كنا نحاول اخراجه بغير هذا الشكل وقد فرغ الخال « ره » من كتابه المقدمة الذي يقع في نحو من اربعين صحيفة بهذا القطع في ٦ — ٣ سنة ١٣٥٤ هج الموافق ٦ — ٦ — ١٩٣٥ م وقد وجدنا اختلافاً يسيراً بين نسخة الفقيه والخال والعرفان سنشير له في مواضعه انشاءالله تعالى وسننسب الكتاب الى مروة للفرق بينه وبين كتاب السبيتي المشهور الدر المنضد في شرح عينية علي بك الأسعد ، الذي نقل شطراً منه شبيب باشا في الديوان واعتمده المرحوم محمد جابر ، ولكنه لم يصرح بذلك ، والدر المنضد لايعرف له نسخة في هذه الايام كما ظهر لي بعد الفحص ، وهو يشتمل على شطر من-

الف وخمسمائة قتيل « ١ »

ويظهر ان اسباب الحادث منحصرة بعد اوة القيسية واليمانية المعروفة فان المغني قيسي ؛ وابن علم الدين يماني ، والشهابي وان افهمنا السبب وعرفنا بمثيري الحرب ، الا انه لم يشر الى اشتراك العامليين فيها ، فضلا عن عدد القتلى واباحة القرية ، الا ان كلمة جبل عامل في قرنين على اختصارها توحي لنا شيئاً عن هذا الحادث ، وتعطينا عنه صورة لا بأس بها فان مروة كما يظهر كان بصدد تعداد الحوادث التي تخص العامليين ، لا بصدد تعداد الحوادث التي تقع في ارض جبل عامل ، وان لم ترتبط بساكنيه ، وافتتاح الكتاب بها يدلنا على اهميتها ؛ وغير بعيد ان يثور العامليون للذب عن كرامتهم ، فان ابن معن خفر ذمامهم ، واراد ان يبطش بجارهم فضحوا هذه النفوس الكريمة في سبيل هذا الخلق الباذخ ؛ وربما يكون العامليون منحازين الى اليمانيين لأنهم منهم « ٢ » او لغير ذلك ؛ وعلى

ـ تاريخ آل علي الصغير ، وسننقل تاريخ مروة برمته في هذا الهامش بالمناسبات لاختصاره ، نشراً لهذا المستند بين يدي القراء قال بسم الله الرحمن الرحيم صارت وقعة انصار من بلاد الشقيف سنة ١٠٤٨ هج انتهى وفي نسخة العرفان سنة ١٨٤٠ هج وهو غلط واضح

« ١ » الاستاذ رضا في العرفان م ٢

« ٢ » لاحظ الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٣٣ فقد ذكرنا فيه نسب عاملة

اي الحالات فان العامليين خسروا في هذه الوقعة الفا وخمسمائة قتيل ، كما في رواية الفاضل الشيخ احمد رضا « ١ »

ونحن نستفيد من هذا الحديث ، ان آل منكر كانوا ذوي عدد وعدة ، وان (انصار) كانت تضم الافاً من الرجال ، اوان الحرب كانت على ميعاد اوانهم كانوا قد اجتمعوا لفرح اوحزن وبوغتوا ، وليت التاريخ سمى لنا احداً من العامليين لنسير على ضوء لامع ، وندرس الحوادث دراسة اعمق من هذه الدراسة

« ١ » في م ٢ من العرفان قال مالفظه ان الأمـير ملحم بن — كذا — معن دخل الى قرية انصار من مقاطعة الشومر مفتشاً على مناظره في الامارة الأمير علي علم الدين ، وكانت هذه القرية مقراً لآل منكر الذين هم حكامها ، فاستلحم اهلها واستمر القتل فيهم ، ولم يشف حقده مقتل الف وخمسمائة من الشيعة ، في هذه الغارة حتى استباح القرية نهباً وسلباً انتهى

ونحن لانعرف ما استند اليه الاستاذ ، ولا نعرف يوماً للأمير ملحم في انصار مع ابن علم الدين غير اليوم الأنف ، وحديث الاستاذ عنه مجمل لأنه مرة يجعل ابن علم الدين مناظراً من قبل الامير ملحم ومعنى هـذا انه هو حاكم البلاد ، واخرى يجعل آل منكر هم حكام المقاطعة ، وان اراد بالمناظر النظير في الجاه ، فلماذا يدخل مفتشا عليه فان نظير الشخص لايختفي منه ، وابن علم الدين لم يكن مختبأ ، ولعل الاستاذ نشر هذه المقالات في بدو امره ومن ثم كان يعوزها الاستقراء الكامل ، والنظر الثاقب

ثم ان الأمير علي علم الدين باغت قرية مشغرا ونهبها في سنة ١٠٤٩ ه وفي سنة ١٠٥١ ه حضرت اوامر شريفة من الباب العالي ، الى محمد باشا الارناؤوط والي طرابلس ان تكون صيدا وبيروت في تسلمه ، فارسل مدبره زلفة آغا متسلماً ، وكان الأمير ملحم في بلاد الشوف ، والأمير علي علم الدين في بستودار من بلاد البترون «١» وقد عزل محمد باشا الارناؤوط وعين غيره ثم اعيد هو وكان قد اجرى مظالم كثيرة على البلاد ، الى ان ولي طرابلس حسن باشا في سنة ١٠٦٣ه وفي سنة ١٠٦٥ ه قدم الأمير ملحم المعني ثلاثين الف قرش الى الوزير مراد باشا فعفا ، عنه واعطاه سنجقية صفد ، واقره على الشوف وملحقاته «٢» وفي سنة ١٠٦٦ ه هرب اسماعيل الكردي مدبر والي طرابلس ابن الكبرالي الى بلاد ابن معن فاسكنه في مدينة صور ، وفي هذه السنة عزل الوزير الآصف وتولى الوزارة محمد باشا الذي كان على ايالة طرابلس ، فولى على صيدا وبيروت اسماعيل آغا ، وولى على صفد بشناق محمد آغا وفي سنة ١٠٦٩ه تولى الامير ملحم المعني احكام صفد فتوجه ليجمع مالها ، ولما وصل الى عكا مرض فنقل الى صيدا ثم توفي «٣» وبعد وفاته قر ولداه الأمير قرقماز والأمير احمد على جبل الشوف ، وولي محمد باشا الارناؤوط على صيدا ، واقبلت الفتن

«١» تاريخ الشهابي ص ٧٢٥

«٢» تاريخ الشهابي ص ٧٢٩

«٣» تاريخ الشهابي ص ٧٣٠

كقطع الليل المظلم ، وزحف احمد باشا والي الشام ، الذي ولاه عليها والده الوزير محمد باشا ، بجيش عرمرم ، بعدما اعانه اليمانيون ، على الشهابيين وقطعوا لهم نحواً من خمسين الف شجرة من التوت ، في مرجعيون والبقاع ، ثم وزع المقاطعات ، وعين على صيداء باشا ، واصبحت باشوية من ذلك الوقت ، وكان الغرض من ذلك اضعاف سلطة رجال العرب ، واعطاها الى علي باشا الدفتر دار وهو اول باشا تولاها فاضطهد المعنيين والشهابيين ، واستعان الباشا باولاد علم الدين واستعانوا به ، فدمروا بلاد المعنيين حرقاً ونهباً وقطعاً للاشجار

ونحن اذا درسنا ما بأيدينا من المستندات منذ سنة ٤٨ الى سنة ٧١ لم نجد فيها ذكراً لزعماء عاملة ، وللآن لم يتضح لنا من هم ؟ وما هي اسماؤهم ؟ وهل كانوا محكومين اوحاكمين ؟

ولكننا اذا لاحظنا حوادث السنين التي سبرناها آنفاً ، وجدنا صيداء وصفد ومرجعيون وصور خارجة عن سلطة العامليين ، واما الشقيف وبانياس وبلاد بشارة فانها مجهولة الحال

ومذ انتهى التاريخ الى هذه النقطه شرع يعطينا صورة جديدة عن بلاد عاملة ، ففي سنة ١٠٧٠ هـ اصبحت صيداء باشوية (١) وتولى باشويتها

« ١ » مروة في جبل عامل في قرنين والشهابي ص ٧٣٢ ومعنى كونها باشوية ، ان مراجعة الشوف وعاملة وغيرها معها لامع الشام

علي باشا الدفتر دار ، ودخلها في سنة ١٠٧١ هـ وهو اول باشا تولاها(١) وكان احمد باشا ابن محمد باشا الوزير قد قضى على المعنيين والشهابيين وغير بعيد ان يكون العامليون في معزل عن هذه الحركات ، منتظرين ماتولده لهم الحوادث ، وانهم حاولوا بعد ذلك اثبات وجودهم امام هذا الحكم الجديد ، ليحتلوا مراكزهم من الحياة

واقعة عيناثا الثالثة «٢»

قال مروة في رسالته ، جبل عامل في قرنين ، وسنة ١٠٧٠ هـ كانت وقعة عيناثا (٣) وقال الشهابي في حوادث سنة ١٠٧١ هـ وفي هذه السنة قدم علي باشا الى صيدا ، وهو اول من تولاها من الباشاوات ، وكانت فتنة عظيمة بينه وبين مشايخ المتاولة (٤)

«١» تاريخ الشهابي ص ٧٣٣

«٢» كانت وقعة عيناثا الأولى سنة ١٠٢٣ هـ راجع ص ٢٥ من هذا الجزء واما الثانية فزعم بعضهم انها كانت سنة ١٠٥٩ هـ بين بيت شكر وعلي الصغير

«٣» وفيها جاء جراد عظيم ، وقلت الحبوب ، حتى اكلت الناس العظام « والميتة م » وبيع المدبقرش واحد ، وفيها صارت صيداء باشوية انتهى كلام مروة بلفظه

«٤» لفظ الشهابي في تاريخه ص ٧٣٣

واذا لاحظنا رسالة « مروة » وجـــدناه يصرح بموضع الحادثة ، ويهمل اسبابها ؛ ولا يسمي احداً من ابطالها ، واذا لاحظنا تاريخ الشهابي وجدناه يصرح بأنها بين زعماء عاملة والباشا الجـــديد ، ويعظم الحادثة ويهمل الاسباب

ومن المظنون وحدة ماذكراه ، واشتباه احـدهما في التوقيت كما ان وقوعها في عيناثا يؤذن ببقاء زعامة بيت شكر الى هذا التاريخ لاننا لانجد في مستحضراتنا من المستندات ، مايدل على ان غـــيرهم من الزعماء استوطنها ، وعلى اي حال فانا لانجزم بشيء ، نعم لنا ان نقول ، ان الامير ملحم مات سنة ١٠٧٠ هـ وفر ولداه قرقماز واحمد « ١ » واصبحت صيدا باشوية ودخلها الباشا على اثر هذا الانقلاب ، فحاول العامليون استغلال الموقف ، فقامت الحرب على ساق ، بينهم وبين الباشا الجديد ، وكانت الخسائر فادحة ، والضحايا كثيرة ؛ والواقعـة « عظيمـة » ولا نعرف ماذا اعقبته ، ولا اي شيء انتجته على التفصيل ؛ غير اننا نظن انهم تولوا ادارة البلاد بانفسهم ، وربما نستدل على ذلك ببعض النصوص التاريخيـة الآتيـــة

ثم في سنة ١٠٧٣ هـ عزل علي باشا الدفتر دار عن صيـداء ، وتولى مكانه محمد باشا ، وخدع الأمير قرقماز واخيه احمد ، ابني الأمـير ملحم

« ١ » تاريخ الشهابي ص ٧٣٢

المعني وامر بضربهما فقتل الأول وسلم الثاني ، وتولى بلادهما الأمير احمد ابن الأمير علي علم الدين (١)

واقعة النبطية الأولى

وواقعة وادي الكفور

قال مروة : وسنة ١٠٧٧ هـ كانت وقعة النبطية ، وانتصر المشايخ وسنة ١٠٧٨ هـ كانت وقعة وادي الكفور (٢)

ونحن لانعرف عن هاتين الحادثتين الا ماتضمنته هذه الكلمة ، فأن الشهابي لم يشر لهما ابداً ، فقد اوجز كثيراً عندما حدثنا عن الحوادث في هذه السنين ولا نعرف السبب ؛ ولكننا نستطيع المجاهرة بان هذه

«١» تاريخ الشهابي ص ٧٣٤ واللفظ الملحن له

«٢» وسنة ١٠٨١ هج صار موت عظيم وسنة ١٠٨٢ هج صار رخص عظيم ، بيع الشعير غرارة ونصف بقرش انتهى كلام مروة بلفظه وفي (المقدمـــة) هكذا وسنة ١٠٨٢ هج تحسنت الاغلال ورجعت الاسعار وصار رخص عظيم كالايام السابقة ، بيع الشعير غرارة ونصف باربعين بارة ، ثم ذكر الخال تعليقة قال فيها : والغرارة ٧٢ مداً والمد ثمان اقات من الشعير ، واستراحت الناس من الحروب الى سنة ١١٠٩ هج فان الحكومة استبدت على البلاد ، وحكمت الأمير بشير الشهابي

الحرب كانت بين العامليين والمعنيين او بين العامليين وبني علم الدين، وان العامليين برهنوا على وجودهم في هاتين الحادثتين فانهم سحقوا عدوهم سحقة بقي اثرها نحواً من اربعين سنة، فقد ظلوا بعدها في أمن ودعة لايجترئ عليهم احد من جيرانهم، وذلك يدلنا على قوتهم ونجدتهم كما يدلنا على ضعف عدوهم

ولكن بعض الباحثين صرح بان زعماء عاملة اعلنوا استقلالهم عن المعنيين في سنة ١٠٧٧ هـ فغزاهم الأمير احمد المعني حاكم جبال الشوف والتقوا في النبطية، فارتد خائباً؛ فطفق يدبر الحيلة في اخضاعهم؛ واخـيراً استجاش عليهم والي صيـدا فالتقوا في وادي الكفور فانهزم الوالي واتباعه واتبعهم العامليون الى عين الزراب قرب صيدا ونحن لا نعرف مستنده

وفي سنة ١٠٨٦ هـ استمرت ايالة طرابلس بيـد حسن باشا وصيداء بيـد اسماعيل باشا، وكان هذا الباشا مخلصاً للأمير احمد ابن الأمير ملحم المعني لذلك خدمه في قضية المشايخ آل حمادي «١» ثم لم يزل التاريخ صامتاً لاينبس ببنت شفة، تتعلق بعاملة الى سنة ١٠٩٠ هـ فان الشهابي يقول في حوادثها «وفيها توفي الشيخ احمد ابن علي الصغير شيخ المتاولة «٢» وبالطبع ان مأتمه كان حاشداً وكان مهيباً مريعاً، لا لأنه زعيم يستقل بادارة البلاد، ومنقذ كبيرا ستخلصها من جور السلطات المختلفة،

«١» تاريخ الشهابي ص ٧٣٦ «٢» ص ٧٣٩

وجعلها حرة نحواً من ثلاثين سنة ، بل لأنه مات فجأة (١) وموت الفجأة له روعته ، ولا سيما اذا نزل بمثل هذا الانسان

ونحن يسعنا ان نجعل ماحدث منذ سنة ١٠٥٩ ﻫ الى سنة ١٠٩٠ ﻫ كله حدث في زمانه فانا لانستبعد ان يعيش زعيما احدى وثلاثين سنة . فاذا صحت حادثة عيناثا اوقانا او تبنين الواقعة في سنة ١٠٥٩ ﻫ كان هذا الشخص احد ابطالها « ٢ »

واذا عرفنا ان صيدا صارت باشوية في سنة ١٠٧٠ ﻫ وان حكومة عاملة انفصلت فصلا باتا عن حكام الشوف ، وان زعماء عاملة وجبال

---

(١) قال الامين في اعيان الشيعة ج ٩ ص ١٦٧ انه توفي فجأة سنة ١٠٩٠ ﻫ على ماذكره الشيخ محمد بن مجير الدين العقاني في كتيبه انتهى بلفظه ولم يزد على هذا شيئاً

(٢) عندما تحدثنا عن علي الصغير اثبتنا ان هذه الحادثه موضع شك وريب وجزمنا بان علي الصغير لم يكن حياً في هذا التاريخ ، وانه وجد قبل الألف الهجري ، وانها اذا صحت يكون القائمون بها اولاده اواحفاده او من هم انزل منهم ، وفقنا الله لنشر هذا الكتاب كما نريد ١

كما انه بقي علينا شيء آخر له قيمته ارجأناه لذلك الكتاب ، وهوان احمد ابن علي الصغير الذي تحدثنا عنه آنفاً ، هل هو ابو نصار الاحمد وجدناصيف النصار اولا؟وهل هو ابن علي الصغير الصلبي او احد احفاده الاقربين او الابعدين ؟

الشوف كلهم يشتركون في مراجعة علي باشا الدفتر دار والي صيدا ، وانهم يشتركون في الانفصال عن الشام عرفنا ان لون الحكم قد تغير ، وشكل الزعامة في عاملة قد تبدل ، والاسلوب السياسي اليوم اصبح له طابعه الخاص . وان زعماء عاملة اصبحوا عدلا للمعنيين

واذا حدثنا الشهابي انه في سنة ١٠٧١ هـ وقعت فتنة عظيمة بين علي باشا الدفتر دار ، وبين مشايخ المتاولة ، امكننا ان ننسب هذه الحرب الى احمد ابن علي الصغير ، اذ يمكن ان يكون تغلب على الوالي في ذلك التاريخ ، واستقل بشطر من البلاد ، واشترك هو وبقية الزعماء بادارة دفة السياسة ، ولكنه في نفس الوقت ، او بعد ذلك ، كان هو شيخ المشايخ ، واصبح هو المسيطر ، ومنع الوالي من تعيين متسلمين اتراكا وغير اتراكا او انه اتفق معه بوجه من الوجوه ، وتكون وقعة النبطية سنة ١٠٧٧ هـ ووقعة وادي الكفور سنة ١٠٧٨ هـ وقعت على عهده ، ولعله بهذه المواقف الجبارة اصبح موضع عناية عند المؤرخين ، فذكروا وفاته ، ونعتوه بشيخ المشائخ مع انه لم يسبق لهم مثل ذلك ، بالنسبة لمن تقدمه من زعماء عاملة

وفي سنة ١٠٩٢ هـ تولى ايالة صيدا احمد باشا التفنجي فغضب على الأمير احمد المعني ، وغزا بلاد الدروز ، فهرب الأمير احمد واختفى في وادي التيم ، وحكم الامير موسى ابن علم الدين بلاد الدروز ، ثم بعد مدة عزل احمد باشا التفنجي عن صيدا ، فرجع الامير احمد المعني ، وفر

ابن علم الدين الى طرابلس ؛ وفي سنة ١٠٩٩ ه تولى صيدا عبدون باشا فاهان البلاد بمظالمه ، وغلت الاسعار وقلت الامطار ، وفي سنة ١١٠٤ ه توجه الامير يونس الشهابي ودخل بلاد بشارة بعسكر عظيم ونهب وقتل ورجع الى وادي التيم « ١ » وفي سنة ١١٠٦ ه عزل الامير احمد المعني عن مقاطعاته السبعة ؛ وهي الشوف والجرد والعرقوب والمتن والغرب واقليم جزين وكسروان وتولاها الأمير موسى ابن علم الدين ، ثم جهز الولاة ثلاثة عشر الفا لغزو الامير احمد المعني وخانه قومه فاختفى ، ودخل ابن علم الدين دير القمر وتملك دار ابن معن ، وتصرف في جميع المقاطعات وبعد ذلك ظهر ابن معن عند الشهابيين في وادي التيم ، فكبر الوهم على ابن علم الدين فانهزم من دير القمر الى صيدا الى عند مصطفى باشا الذي كان وزيراً اعظم ، ثم رفع مصطفى باشا تقريراً في حق ابن معن يقول فيه لا يمكن ان يحكم بلاد الدروز غير ابن معن ؛ وشفعه بمائتي كيس للمطبخ كل كيس فيه خمسماية قرش ؛ فعفا عنه واعيد الى ما كان عليه ، وفي سنة ١١٠٩ ه كانت وفاة الامير احمد ابن معن ، وبموته انقرضت سلطة المعنيين ، لانه لم يكن له ولد ذكر « ٢ »

« ١ » تاريخ الشهابي ص ٧٤٠ وص ٧٤٢ وص ٧٤٣ ونحن لا نعرف عن هذه الحادثة شيئاً غير ما ذكره الشهابي

« ٢ » تاريخ الشهابي ص ٧٤٤ وص ٧٤٥

وظهر ان بلاد عاملة استقرت بالانفصال عن المعنيين ، وان الحرب كانت بينهم سجالا . وقد بقي العامليون على منعتهم الى نهاية هذا القرن وهنا ينتهي تاريخ عاملة في القرن الحادي عشر ، وهو ينطوي على كثير من الخفايا ، التي لم يتوصل لها البحث على قرب العهد ؛ ولنختمه بكلمة حول آل منكر ، واخرى حول لون الحكم في هذا القرن ؛ ولنترك التحدث عن وقعة سنة ١٠٥٩ هـ الى الوقت الملائم ؛ ومؤرخو عاملة المعاصرين ينسبونها لعلي الصغير ، اما نحن فانا نعتقد ان علياً وجد قبل الالف الهجري وان هذه الواقعة على تقدير صحتها لاترتبط بعلي اصلا ، وقد برهنا على هذا عندما تحدثنا عن علي الصغير في احدى حلقات هذا الكتاب ؛ التي اهملناها فعلا وهي : زعماء عاملة امس واليوم

الفتوة السياسية

ان هذه المشاهد وما يليها ، تدلنا على كفاءة ابن منكر واستحقاقه للزعامة ، فان الزعيم هو الذي يحصن امته من الداخل قبل كل شيء ، فيؤلف شملها ، ويربط وحداتها المتفككة ، فان الأمة وحدة قوية ، تتألف من وحدات ضعيفة ؛ فاذا فاز الزعيم بهذه الوحدة ، فقد قاد أمة واستولى على قوة ، وضرب خصمه في اي مقتل اراد ، واذا استتب له ذلك ؛ لم يحتج

بعد الا الى عنصر واحد فعال ، جبروت في نفسه وشدة في عزيمته واقدام لارهبـــة معه ولا جبن ولا كلل ؛ فاذا حملت نفسه هذا المثلث الرهيب ؛ نشرت اشعتها على سائر النفوس الضعيفة ؛ والارواح الضئيلة ، فملأتها حماساً ونجدة ، فان الزعيم يلون الأمة باللون الذي يحمله ؛ فاذا كان خائناً ، كانت حاشيته واسرته وبقية افراد الأمة اسرع الى الخيانة وتقع التجربة الأولى لعملهم هذا في الزعيم نفسه ، فلا يشعر الا وقد خسر زعامته على اساس الخيانة ، واذا كان مخلصاً ، كانوا كلهم جذوة حق متأججة ، ونبراس اخلاص يفيض بالنور واذا كان من المغامرين في سبيل الحق ؛ كانوا الى المغامرة اسرع ، لانهم يضحون بانفسهم لقاء سلامته ، ويعملون على حسابه ؛ ولا يرون للأمة كياناً قبل كيانه وقد كان المنكريون مثالا صالحاً لهذا الواقع ، الذي تصطدم به يراعة الكاتب الماهر ، والمفكر المصيب ، كلما اجالها على جبين القرطاس فان ثورتهم على المعنيين ، ليست الا ثورة احرار على اغلال ؛ ومجازفة الضعيف في حقه فانهم ارادوا ان يرغموا عدوهم بقوة الحق والاخلاص ليس الا ؛ واقدامهم على محاربة الامير يونس المعني بعد ماخنوا لتوحيد كلمتهم قبل هرب اخيه الامير فخر الدين المعني يدلنا على مايحملونه من حنكة وتجربة ؛ وغيرة ملتهبة ؛ وحماس متوقد ينطف شررا ، وما كان ينقص هؤلاء الزعماء شيء من اسباب الزعامة الا شيء واحد ؛ له قيمته في ذلك العهد وهو المال !

فقد كان صاحب السنجقية يستطيع ان يشتري ذمم ارباب الدولة العثمانية بقبضة من الدراهم ولا يضرهم بعد ذلك اذا ارتكب مع افراد الأمة ما يريده من الجرائم باسم السلطة

ذلك العهد هو عهد الاقطاعات المظلمة ، التي يلعنها عصر النور ، والتي وثب المنكريون لتحطيمها ، واعانهم الحرافشة وفي حياة ابن منكر نقاط ، تستدعي الأكبار ، وتثير الاعجاب ، تأليف العامليين وجمع كلمتهم ، واقناع الزعماء بكفائته ومقدرته ؛ ومن ثم رأسوه عليهم ، واصطدامه مع المغنيين وهو ضعيف وهم اقوياء ، واصراره على مبدأه واتخاذه من الحرافشة رده ومجنا وساعداً ومساعدا ، هذه نبذة من حياة ابن منكر في بضع سنوات ؛ غير ان التاريخ لم يحدثنا عنه باكثر مما اسلفناه ، ونحن اليوم نكتب ونجهل كثيراً من شؤونه التي يجب على الكاتب ان يحيط بها ، فلا نعرف نسبه ولا من ينتسب اليه ، ولا وقت وفاته ووو الخ

زعماء عاملة في هذا القرن

ولون الحكم

نستعرض قرناً بجملته ، فلا نسمع فيه الا ابابني منكر ، وبيت شكر وابناء علي الصغير ، وفرحات ابن داغر وبني فرحات وابن ابي شامة ، وعند ما نريد ان نجتاز هذه المسافة الشاسعة ، وعلى رأس هذا القرن ينبل

ابناء علي الصغير ، وتصبح الزعامة المطلقة لهم ، والحكم الاقطاعي بايديهم ، حتى اصبحنا لانسمع باحد من آل منكر في هذا القرن ، الا بالحاج علي والحاج ناصر الدين ، ولم يسم لنا التاريخ احداً من زعماء الشكريين عدا السيد احمد المستشهد سنة ١٠٥٩ هج (١)

واول شخص سماه لنا التاريخ وحدثنا عنه ، هو الشيخ احمد ابن علي الصغير السالمي ثم الوائلي الآنف ، ويتلوه الشيخ مشرف وعلي منصور وبعد ذلك يجتاز تاريخ عاملة هذه الأكام الوعرة الى بهو متسع الجوانب رهف الحواشي ، مريع الجناب خضل النبات ؛ فيدخل في دور واضح يدسلمه الركيني ، ويسلمه لولده من بعده ، ثم يستمران في الحديث الضافي عن زعماء عاملة الامجاد قرنا ونيفا ، ولكنهما لم يحدثا الاعن احفاد علي الصغير ، وعن الصعبيين

ونحن بعد دراستنا لحوادث هذا القرن ؛ نستطيع الجزم ، بان زعماء عاملة اصبحوا يستقلون بعقد رائها ، ويديرون شؤونها ، ويتلقون الحكم من العثمانيين منذ سنة ١٠٧٠ هـ فانها هي السنة التي اصبحت فيها صيدا باشوية (٢) واماقبل هذا التاريخ ، فلا نجازف اذا قلنابان الوضع مرتبك

(١) ذكره الامين في اعيان الشيعة ج ٩ ص ٦٧ فقال السيد احمد بن علي بن شكر قتل سنة ١٠٥٩ هج احد آل شكر الذين تغلب عليهم علي الصغير ذكر ذلك الشيخ محمد بن مجير العنقاني في تاريخه

(٢) وبهذه المناسبة استحقوا لقب الامارة ، فان من يلقب ـ

والتاريخ مطموس ، والتهجس لا يوصل الى اكثر من الظنون والاحتمالات

ونحن اذا درسنا حوادث هذا القرن ، وجدنا المعنيين يواجهون العامليين غزاة لا محاربين ، ووجدناهم يغتنمون فرصة غفلتهم ووجدنا هذه الغزوات ، مبنية على طلب الانتفاع بالسلب ، ولكن هذا النوع من الغدر، نبه العامليين ، فانزلوا بمجاوريهم بعد ذلك الموت الاحمر ، وخلدوا الرهبة في قلوبهم اجيالا ، وعرفوهم القراع والنضال ، حادثة بعد حادثة ، ونازلة بعد نازلة

هذا بعدما بوغتوا بانواع العسف ، واخـــذوا بالوان الارهاق من اناس كان يمكنهم توطيد العلائق معهم ، بالاساليب السلمية والحكم الذي يكون نتيجة العسف والارهاق ، قصير العمر ، قريب المدى ، ومن ثم لم يدم الحال الا عقداً من السنين او يزيد ، ولو كانت اساليبهم مشروعـــة ، لاستطاعوا ان يعيشوا اخواناً امداً طويلا ، ولما سودت صفحات التاريخ بمثل هذه المآسي الدامية التي تقرأها متجلدين عن خير اخوان متجاورين

اننا لا نقصد من تدوين الحوادث ، عرض القصة فقط ، وانما هي درس نافع ، وعظة بالغـــة ، نقدمها للساسة المعاصرين من زعماء لبنان خاصة ،

ـــ بها لم يستحقها الا بهذا ، واذا كان المقدمون آل ابي اللمع استحقوا لقب الامارة لان احدهم قتل خمسة امراء ، فهؤلاء اسروا عدة امراء وعفوا عنهم بعد القدرة

وزعماء العرب اجمع ، فان التاريخ هو اعظم درس عملي ، ويستحيل على اي خبير من الخبراء ، ان يمحص نظرية ما ، سياسية او اجتماعية او اخلاقية مالم يقم عليها البراهين الكافية ، وان سرد الحوادث التاريخية والاكثار من الشواهد ، التي لاتكون محلا للنقاش والجدال من اعظم البراهين الاقناعية وحقيقة البرهان ، اقناع الخصم ، واما النظريات فليست برهانا واقعياً ، كيف لا ، ولم تزل موضع نقض وابرام

وانا نفهم من سكون الفتن بين العامليين والمعنيين منذ سنة ١٠٧٧هـ الى سنة ١١٠٤هـ انهم عاشوا برفاه وأمن بعد ماحاربوا خصومهم بجند من الرعب ، كونته النجدة العربية ، المتوقدة في نفوسهم الأبية ، وانهم فازوا باستقلالهم المجيد نحواً من ثلث قرن بعد مافدوه بالضحايا الغالية وبعدما كانوا مثـلا اعلا للثبات على المبدأ ، والأصرار على طلب حقهم ، لذلك كله لم يجترء على شرفهم الباذخ ، اي انسان مهما بلغ به الغرور ومهما لج به الطمع

جبل عامل

في القرن الثاني عشر الهجري

كان مطلع هذا القرن يدعو الى التشاؤم ، فقد كان جبل الحكم مضطربا ، وكانت السلطة العثمانية تغتنم فرصة هذا الاضطراب الداخلي ، وتحاول تثبيت اقدامها بشكل مباشر ، ومن الطبيعي ان يكون الأمن مهدداً بالخطر ، والثورات محدقة برجال الحكم

مات الامير احمد المعني في سنة ١١٠٩ ﻫ ولم يكن له عقب ذكر ، فكان آخر حكام المعنيين ، واتفق رجال الشوف على الأمير بشير الشهابي الأول ، وكان يقيم في وادي التيم ، فتولى الحكم ، وانتقل الى دير القمر وفي سنة ١١١٠ ﻫ حضر امر من الباب العالي ان يكون الأمير حيدر ابن الأمير موسى الشهابي حاكما على مقاطعات ابن معن) لانه سبطه ابن ابنته وان يكون الامير بشير وليًا عليه ، لان عمره اثنتا عشرة سنة (١) وربما كان لهم غرض من وراء هذا العمل ، الا ان هذه المحاولة لم تفلح

---

(١) الشهابي ص ٧٤٩

هذه موجة غمرت بلاد الشوف ، وكان العامليون في معزل ؛ يسودهم الأمن ، ويرفلون في ابراد الدعـــة والعز ؛ يتمتعون في عيش خضل ؛ وزعامة مطلقة السراح ، وكان الترف والطمأنينة ، يقومان بواجبهما المحتم فترعرعت « الاتكالية » فيهم وخمدت جذوتهم الملتهبة ، فغفلوا عما تحمله لهم المقادير في احضانها ، وقد بلغ من جرأة زعيم عاملة في ذلك التاريخ الشيخ مشرف ابن علي الصغير ، انه قبض على بعض رجال الدولة وقتلهم

ذلك ان مشرفاً رأى نفسه ذات يوم ، يفرض سلطته على من يريد وينفذ رغائبه حسبما يشاء ، ووجـد حوله الافاً من الفتيان ، فاستشعرت نفسه العظمة وحدثته بالتمرد والاستقلال ، فبنى داراً على قمة جبل ، ونعتقد ان دار هذا الزعيم الحاكم ، كانت ثابتة الاسس ، محكمة البنيان ، مشيدة الجدران ، ولعل موقعها الجغرافي يدلنا على انه اتخذها حصناً يكنـــه من غزوات الأعداء ، لامسكناً يقيه شرور الانواء :

بنى مشرف داره ، في المزرعة المعروفة باسمه ، ومن عرف « مزرعـة مشرف » عرف قيمة البناء فيها ، وعرف الغاية المتوخاة من اختيارها على غيرها ، في حين انها لا تمتاز عن سائر القرى والمزارع ماء وهواء وخصبا :

اذا اتجهت من مدينة صور مشرقاً ، وهبطت وادياً وصعدت جبلا ، ووجهت طائر الطرف الى المدى البعيد فحلق ثم اسف ، وقع على قرية

تقوم على نشز من الارض ، تلك مزرعة مشرف واذا اطردت في مسيرك انخفضت الى سهل فسيح متسع الجوانب (مرج الصفراء) حتى اذا اجتزت هذا المرج الرحب ، دخلت واديا صعب المسالك ، وعر الطريق ، ملتوي الفجاج ، يمتد ساعة اونحوها (وادي عاشور) وعلى الجناح الايسر من ذلك الوادي المحلق الشامخ تقوم مزرعة مشرف ، التي لاتزال ترمق قوافل المسافرين ، بين حين وحين ، ذلك الوادي لايكاد الطرف يطير الى رواسية ولا تستطيع مردة البشر التسلق الى اعاليه ، فالقرية اذن محصنة بحصن طبيعي من هذه الناحية الواحدة ، واما بقية النواحي فانها لايسهل فيها طراد الخيل ومصارعة الفرسان ، لذلك تنحصر مواجهة العدو فيها من وجه واحد (مرج الصفراء) المبتعد قليلا عن القرية ، المنخفض عنها عشرات الامتار ، وانحصار الطراد في وجه واحد قوة لايستهان فيها ، في الخطط الحربية الدفاعية

مدن مشرف بقعة ، واتخذها عاصمة ، وهي لاتزال ترمز الى عظمته ، واقام فيها صرحا ، ونقش على احد جدرانه مايلي

قسما بما حاطت ابا طح مكة ومنى وايات الكتاب المنزل
لم ابنها طمع الخلود وانما هي زينة الدنيا لاهل المنزل

اشاد هـذا البناء واعـلاه ، واحسن النظر لو كافأ بناه ، الشيخ الكبير الملقب بالصغير ، شيخ مشرف بن نصار دامت سيادته

سنة ١١٠٨ هج (١)

فاصبحت القرية حاضرة يقصدها السفر ، ودار حكم تتبعها شتات القرى ، وساعدها الحظ فاضيفت الى اسم مليك البلاد « مشرف »

هنا شمخت القريـة بانفها ، وناطحت السحاب ، وجرت ذيـل الكبرياء فتسابقت اليها نظرات الحسد من جاراتها الصغيرة ، وحسبها مشرف وفيها قصره الباذخ احدى متع الدنيا ومر عليه حولان كاملان وهو في عيشة راضية لا يشعر بثقل الحياة ولا بتبعات الزعامـــة فاخذته نشوة العز ، وثارت في راسه نزوات الكبر ، فاعتدى على أعظم سلطة في عصره ، وقتل بعض رجال الدولة العثمانية ، لسبب لا زال مجهولا ، فاستنجد قبلان باشا والي صيداء في ذلك العهد بالامير بشير الشهابي حاكم بلاد الشوف ، فجمع الشهابي ثمانية الاف مقاتل وباغتوه ، فما افاق على نفسه الا وهو في ايدي خصومه الالداء فسلموه الى قبلان باشا فوضعه في السجن مع اخيه الحاج محمد بعد ان قتل الحاج حسين المرجي (٢) واستولى قبلان باشا على بلاده واجرها على الامير بشير ، فوضع فيها متسلما من قبله : يحدثنا الشهابي قائلا « في سنة ١١١٠ هج تولى ايالة صيداء قبلان باشا وكان الشيخ مشرف ابن علي الصغير حاكم بلاد بشارة قد قتل اناسا من رجال الدولة ، وقصد العصاوة ، فاستنجد

---

(١) العرفان م ٢٩ ص ٥٧٨ يقول الاستاذ صاحب العرفان حدثنا الشيخ عبد المحسن الظاهر انه راى على دار مشرف مايلي وذكر الابيات ومابعدها

(٢) في رواية الشهابي وفي رواية مروة حسين العمر

قبلان باشا بالامير بشير فجمع الامير بشير ثمانية الاف رجل وكبسوه في مكان يقال له المزريعة فقبض عليه الامير بشير وعلى اخيه الحاج محمد وعلى حسين المرجي وسلمهم الى الباشا فام الباشا بشنق حسين المرجي ووضع مشرفا واخاه في السجن واعطى الامير بشير ايالة صيدا من طرف بلاد صفد الى جسر العاملتين وصار له اسم عظيم عند الدولة ... وبعد ان قبض قبلان باشا على الشيخ مشرف واخيه اجر الامير بشير بلادهما واقام عليها مقدما من قبله الشيخ محمودا ابا هرموش .. انتهى (١)

«١» هذا كلام الشهابي برمته ص ٧٤٩ واما مروة في جبل عامل في قرنين فانه يقول .. وفى سنة ١١٠٩ هج ركب الامير بشير على بلاد بشارة ومسك مشرف من المزرعة وبنى عين الدروز قرب جويا : — وفي نسخة المقدمة — وعين الجنان قرب بافلية وعين الراموح مشهورين — وقتل حسين العمر وصفا له الحكم فى بلاد بشارة — بعد ان خرب ونهب — وفي سنة ١١١٣ هج القى القبض على علي منصور و محمد بزيع — وجدوهم في انطاكية — وبقي مشرف في الحبس خمس سنين حتى توفي سنة ١١١٤ هج . وسنة ١١١٤ هج توفي مشرف في قضاء صيدا وسنة ١١١٧ هج صارت زلزلة عظيمة اياما متعددة وسنه ١١١٩ هج سليمان باشا حرق حاصبيا وسنة ١١٣٠ هج قتل الشيخ — يونس النباطي من العلماء . قتله الامير حيدر وسنة ١١٢٢ هج القى القبض عثمان على الشيخ عبد السلام الحر وعلي منصور وتوفى الحاج محمد بزيع . — — وسنة ١١٣٢ القى القبض عثمان على الشيخ عبد السلام الحر وعلى علي منصور الخ — وسنة ١١٤٣ توفي الشيخ عبد الله نعمة انتهى بلفظه —

ونحن نكاد نلمس امرين في حياة مشرف ، الغرور والتهاون ، فان الامير يونس الشهابي غزا بلاده سنة ١١٠٤ هـ ولم يحرك ساكنا وقتل بعض رجال السلطة وطمع في العصيان ، ونعتقد انه كان يعيش وحده ، ولا يرتبط بقادة الفكر ، فان هاتين الحادثتين ، وما نقش على جدران داره كله ينطق بذلك فان مانقش بمجموعه يمثل الادب المنحط ، فان كان من صنع مشرف دلنا على ان ثقافته كانت لاتستحق ذكرا وانه كان ينظم الشعر بفطرته ، وان كانت من صنع معاصريه دلنا على انه كان في معزل عن الطبقة المثقفة فان الذين كانوا في عاملة وعاشوا بها قبل بناء الدار وبعده عدد جم «١» ولعل ذلك هو الذي سبب له الاسر ، لا لأن القوم كانوا متفقين مع خصومه ، بل لأنه لم يكن يتلقى دروس الحياة عنهم ، فان الزعيم الذي يقبض في بلاده باليد من غير ان يسفك في سبيله ملء محجمة دما ، يعد في الغافلين المتهاونين الذين استفادوا الملك من طريق الوراثة فقط

وان ترميم الامير بشير لبعض العيون يدلنا على سلوك ممتاز وانه كان يعرف موضع النقص في سياسة مشرف

- و نسخة الفقيه والعرفان متفقتان و نسخة الخال في المقدمة اشتملت على زيادات ذكرت آنفا بين الأهلة

«١» فانه كان معاصرا لصاحب الوسائل المتوفي سنة ١١٠٤ هـ في ايران ومن راجع امل الآمل عرف ان عدد العلماء الموجودين في الجبل عدد كثير

وعن تاريخ الاعيان للشدياق ماصورته : وسنة ١٧٠٠م خرج الشيخ مشرف بن علي الصغير المتوالي اليمني صاحب مقاطعة بلاد بشارة عن طاعة ارسلان باشا وقبض على بعض غلمانه وقتلهم فاستنهض الوزير المذكور الامير بشير لقتاله واطلق له ولاية صفد مع مقـاطعات جبل عامل الثلاث وهي مقاطعة بلاد بشارة ومقاطعة اقليمي الشمار « الشومر » والتفاح ومقاطعـة الشقيف فجمع الامير من رجاله القيسية ثمانيـة الاف مقاتـل وزحف بهم الى قتال مشرف اليمني فالتقى به فى قرية المزريعة « المزرعـــة » من بلاد بشارة واصطف الفريقان للقتال ولم تضطرم نار الحرب بينهم الا قليلا حتى انكسرت رجال مشرف وهلك منهم خلق كثير وقبض على مشرف واخيه الحاج محمد ومدبرهما الحاج حسين المرحي فارسلهم الامير الى ارسلان باشا فقتل الوزير الحاج حسيناً وسجن مشرفا واخاه انتهى (١)

بقي علينا ان نعرف مشرفا هذا ، وانه هل هو ابن نصار او ابوه ؟ وهل تولى حكومة البلاد بعد احمد المتوفي سنة ١٠٩٠ هـ فتكون زعامته الى حين اسره ١٩ سنة اوانه تخلل بينهما حاكم آخر ؟

هذه حقائق باقية في ذمة التاريخ تركها الساعة للباحثين ونستبقي راينا فيها الى الحلقة التي بحثنا فيها عن زعماء عاملة خاصة وقد اثبتنا ان مشرفا هذا غير مشرف الواقع في سلسلة اباء ناصيف النصار لانه نصار بن احمد بن نصار بن مشرف بن محمد بن حسين بن علي الصغير وصاحب المزرعة هو مشرف

ـ ١ ـ العرفان م ٢١ ص ٤١٤

بن نصار اذا صح ماروي عن جدار داره وقد انتهى ملك مشرف بالاسر وانتهت حياته بالموت في السجن في صيداء بعد ما قضى فيه خمس سنوات لانه توفي سنة ١١١٤ هج كما في رواية « مروة »

والخلاصة : ان مشرفا كان زعيما نشيطا يحاول ان يطير بامته ويستقل بحكومته ، ويتوسع في سلطته ، ولكنه لم يكن يرتبط برجال الامة ، وقادة الفكر

واما الامير بشير فانه بعد ما انتهز فرصة غضب السلطة وغفلة مشرف استولى على البلاد ، وقام ببعض المشاريع الحيوية فرمم بعض العيون وصفا له الحكم وبقيت البلاد تحت تصرفه الى ان توفي سنة ١١١٩ هج وفي هذه السنة حرق سليمان باشا حاصبيا (١) وتولى بعد الامير بشير الامير حيدر الشهابي وقامت الثورات على ساق واستعاد آل علي الصغير حقهم المغصوب ، وحكموا بلادهم وتولوها من قبل بشير باشا والي صيدا

يحدثنا الشهابي انه « في سنة ١١٢٠ هج ركب الامير حيدر لغزو بلاد المتاولة لان المشايخ بني علي الصغير بعد وفاة الامير بشير كانوا قد تولوا بلاد بشارة من يد بشير باشا وبقي في يد الامير حيدر حكم بلاد الشوف وكسروان فغزاهم الامير حيدر برجال بلاده فعظم ذلك على بشير باشا وكان متوليا ايالة صيداء فارسل يقوي الامراء اليمنية الذين كانوا في

- ١ - لاحظ هامش ص ٦٦ من هذا الكتاب الذي بين يديك

الغرب والجرد من بني علم الدين وغيرهم .. انتهى (١)

والظاهر ان الامير حيدر استاجر بلادهم من بشير باشا بعد هذه الواقعة وابقى الشيخ محمودا ابا هرموش وهو قيسي متسلما من قبله فيها ، ثم رفعه عنها سنة ١١٢١ هـ لانه لم يف المال المقرر ، وكان الشيخ محمود الأنف قد اتصل بالوالي فتوسط معه فاحضر له اوامر بالولاية مكان الامير حيدر ودعي اميرميران ففر الامير حيدر واستعان الشيخ محمود باليمنية وغيرهم وفي سنة ١١٢٢ هـ ظهر الامير حيدر بعد اختفائه وتجمع عليه اتباعه واجتمع لحربه اضداده فصمم على الهزيمة اولا ثم بدا له فباغت خصومه ليلا واسر الشيخ محمودا فاراد قتله فمنعه المشايخ لئلا يتخذ القتل سنة في الزعماء فقطع لسانه وابهامه ولم يمنعه ذلك من الكلام (٢)

ولسنا نعرف ماجرى على بلاد بشارة بعد ذلك غير ان الشهابي يحدثنا انه في سنة ١١٢٤ هـ حكم الامير قاسم الشهابي حاكم حاصبيا على بلاد بشارة من يد والي صيداء وانشأ بها مظالم وقبض عثمان باشاقبل عزله ـ وانتقاله الى البصرة ـ على الشيخ منصور بن علي الصغير وقتله انتهى (٣)

ويلاحظ القارئ : ان الشهابي حدثنا بصراحة ، ان عثمان باشا قبض على الشيخ منصور ، وامامروة فقد حدثنا انه في سنة ١١١٣ هـ القي القبض على

ـ ١ ـ الشهابي ص ٧٥١

ـ ٢ ـ الشهابي ٧٥٢ وص ٧٥٣

ـ ٣ ـ الشهابي ص ٧٥٥

علي منصور ومحمد بزيع وجد وهم في انطاكيا وانه في سنة ١١٣٢ هج القى القبض عثمان على الشيخ عبد السلام الحر وعلى علي منصور وتوفي الحاج محمد بزيع (١)

ومما لا نشك فيه ان هذا الشخص ليس من سائر الناس ، وانه زعيم يشار اليه بالبنان ، وربما يظهر من الحديث الآنف انه كان مشردا ، ونحن لا نعرف عنه الا ماسلفناه ،

- ١ - نسخ جبل عامل في قرنين لمروة مختلفة ، وما ذكرناه هو لفظ نسخة الخال في المقدمة واما نسخة الفقيه والعرفان فيها هكذا وسنة ١١٢٢ هج القى القبض عثمان على الشيخ عبدالسلام الحر وعلى - بياء منقطة في نسخة الفقيه ومهملة في نسخة العرفان - منصور وتوفي الحاج محمد بزيع ، وعلى هذا يمكن ان تكون نسخة العرفان موافقة للشهابي في اثبات كون المقبوض عليه هو منصور لا علي منصور : وهناك خلاف آخر وهو ان الشهابي وقت الحادث بسنة ١١٢٤ هج ونسخة الفقيه والعرفان وقتتاه بسنة ١١٢٢ هج ونسخة الخال وقته بسنة ١١٣٢ هج ولكن النسخ الثلاث ذكرته بعد حادثة قتل الشيخ يونس في سنة ١١٣٠ هج وهذا يقرب صحة نسخة الخال رحمه الله تعالى لان الكتاب مبني على ترتب الحوادث من حيث الزمان : وهناك خلاف ثالث وهو ان الشهابي يقول ان الذي قبضه عثمان قد قتل ، وكتاب مروة لا يشير الى ذلك ، ونحن لا نجد مانعا من الاخذ بالروايتين ، كما انه لا مانع من ان يعيش علي منصور من سنة ١١١٣ هج الى سنة ١١٧٩ هج فقد حدثنا الركوني ان عباس العلي حاصر - تحصن - هو وعلي منصور في قلعة ميس سنة ١١٧٩

واما الحاج محمد بزيع فقد قبض في انطاكيا سنة ١١١٣ هج ولم يكن قد حج كما يظهر من مروة ولكنه عند ما ذكر وفاته عبر عنه بالحاج محمد بزيع وذلك يدلنا على انه كان طليق الجناح ، وانه استطاع بعد الامر وذهب الى الحج ، واما الشهابي فقد ذكر ان الذي امر مع مشرف هو اخوه الحاج محمد ؛ واذا صح قوله انه اخوه وجمعنا بين رواية مروة ورواية الشهابي ، انتج ذلك ان الحاج محمد بزيع هو اخو مشرف ، ويكون آل بزيع الموجودون في قرية « زبقين » فرعا من الاسرة الصغيرية (١) ولعل آثار الابنية الفخيمة الموجودة فيها من بقايا ذلك العهد ؛ فيكون مشرف ، بنى دارا في المزرعة واخوه بنى مثلها في زبقين

واما حسين العمر او حسين المرجي فربما يكونان واحدا (٢)

ويظهر لنا من خلال هذه الحوادث ان سلطة بيت علي الصغير الحكومية سلبت منهم بعد مشرف منذ سنة ١١٠٩ هج واستدامت كذلك الى سنة ١١٢٥ هج ولم يتخللها الاقترة واحدة في سنة ١١١٩ هج واذا لاحظ القارئ

---

(١) لاحظ ما ذكرناه في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٢٧

(٢) يوجد اليوم بيت في عاملة يسمون بيت المرجي يقيمون في قرية زبدين منهم الشيخ امين مرجي وولداه الحاج محمد امين مرجي والحاج علي مرجي وهم بررة اتقياء وقد حدثنا الشيخ امين عن محمد بك الاسعد انه نزل ضيفا على جده عندما كان ذاهبا الى جباع للنظر في قضية تتعلق بالشيخ عبد الله نعمة والشيخ علي الحر

ماحدثناه به في هذا الكتاب ، عرف مبدأ الزمن الذي حكم فيه زعماء عاملة بلادهم ، وعرف بعد ذلك ان ماذكره العلامة الامين لا يتفق مع التاريخ الصحيح (١)

حوادث مجهولة

لم يحدثنا عنها مرة في جبل عامل في قرنين ولا غيره ، نعم حدثنا عنها الشهابي بصورة موجزة كما هي عادته فيما يتعلق بغير حكام الشوف قال

في سنة ١١٣٣ هـ كانت الفتنة بين مشايخ المتاولة والشيخ ظاهر العمر حاكم بلاد صفد ، وجرى بينهم قتال شديد ، فانهزم عسكر الصفديين وقتل منهم خلق كثير ، ثم خرج عثمان باشا بالعسكر على بلاد صفد وقتل منهم اكثر من ثلاثمائة رجل وقتل البشناق اولاد مشايخ بلاد صفد انتهى (٢)

---

(١) لاحظ ماذكره في اعيان الشيعة ج ١٥ ص ١٠٣ لتعرف مواضع الاشتباه

ـ ٢ ـ الشهابي ص ٧٥٦ واما الشيخ ظاهر العمر فقد حدثنا عنه شبيب باشا الاسعد في مقدمة ديوانه العقد المنضد ص ٢٣ فذكر انه احد رؤساء عرب طبريا والناصرة وانه استأذن من صاحب طير شيحا المقيم بقلعة ـ جدين ـ في سكنى محل من بلاده لانه كان يقيم في طبريا وهي موبوءة الهواء فاعطاه عكا وكانت خرابا في اوائل القرن الثاني عشر وشرط عليه ان لا يسورها فبنى فيها دورا مكشوفة وجعلها متجرا للحبوب والقطن والزيت ، فنبه ذكره ، ثم اغتال صاحب قلعة جدين ـ

وفى سنة ١١٦٦ ﻫ سار الامير حيدر بالعسكر الى بلاد المتاولة فهربت ونهبت الدروز جميع تلك البلاد (١)

وفى سنة ١١٤٣ ﻫ توفي الامير حيدر الشهابي في دير القمر وكانت مدة حكمه في الشوف من حين حضوره من حاصبيا ستا وعشرين سنة وتولي الحكم بعده ولده الامير ملحم الشهابي ، وكان والي صيدا في هذا التاريخ اسعد باشا العظم ، وكان من اشد الناس بغضا له (٢) :

وفي سنة ١١٤٤ ﻫ استاجر الاميرملحم الشهابي بلاد بشارة من يدوزير صيدا بموافقة الشيخ سلمان الصعبي ، وقبض على الشيخ نصار بن علي الصغير ، وباغت اخوته في قرية جويا فهربوا الى بلاد القنيطرة ، وقتل ثلاثة عشر قتيلا من قبيلتهم ؛ ونهبت الدروز تلك البلاد ، ثم رجع اولاد نصار وفكوا اخاهم (؟) واستأجروا بلادهم من الامير ملحم وكان في تلك

ـ بالسم وتملك تلك البلاد ، واعطى كلا من ولديه علي وعثمان شطرا من بلاده فعظم شأنه وخافته العربان وفرت من بين يديه وتمردت عليه عربان بلاده وهم عرب مرج بني عامر من الصقر والحوارث ، وقد قتل هو وولداه في اواخر القرن الثاني عشر وقد ذكر الشهابي في تاريخه ص ٨٠١ عنه حديثا يخالف ماذكره شبيب باشا الاسعد فليراجع .

(١) الشهابي ص ٧٦٥ واللفظ له

ـ ٢ ـ الشهابي ص ٧٦٦ وص ٧٦٧

السنة موت عظيم ، وتوفي الشيخ سليمان (؟) الصعبي « ١ »

وفى سنة ١١٤٧ هـ « صارت وقعة انصار « الثانية » مع الامير ملحم بن الامير حيدر واسر من الشيعة الفا واربعمائه ومات في الكنيف في بيروت ، وفكت الاسرى ، وكانت الوقعة بفتوى الشيخ نوح ، حكم تاريخها بالحامدية « ٢ »

وفي سنة ١١٥٢ هـ كبس وزير صيدا بلاد الشقيف وقتل الشيخ احمد فارس واولاده وهرب اخو الشيخ حيدر الى بلاد الشوف واحتمى عند الامير ملحم « ٣ »

واقعة انصار الثالثة

-١- الشهابي ص ٧٦٨ و سليمان الصعبي هو والد الحاج علي سليمان بن ابي صعب المتوفي سنة ١١٧٥ هج كما ذكره الركوني فى حوادث السنة المذكورة

(٢) مروة واللفظ له وفي نسخة العرفان حكم تاريخها فى الحامدية واما نسخة الخال فهي خالية من هذه الفقرة ، وهذا التاريخ لايتمشى مع حساب ابجد المعروف ، ثم ان هذه الواقعة لم يشر لها الشهابي مع ان الامير ملحم لم يمت فى هذا التاريخ ، ولعل الذي تولى الحرب شخص آخر بهذا الاسم وكانت الحرب بامر الأمير ملحم بن الامير حيدر ، ومن اجل هذا الاضطراب لم نجعل لها عنوانا مستقلا واما الأمير ملحم بن الأمير حيدر فانه توفي في بيروت بعد عزله عن الحكم سنة ١١٧٣ هج

- ٣ - الشهابي ص ٧٦٩

وواقعة مرج قدس سنة ١١٥٦ هـ

تطاول زعماء عاملة على اطراف بلاد الامير ملحم بن الامير حيدر الشهابي ، ومنعوا الأموال السلطانية عن سعد الدين باشا والى صيدا ، فامر الامير ملحما بان يسير اليهم بعسكر بلاده وعندما وصل الامير ملحم الى جسر الاولي بالقرب من صيدا امره الباشا بالرجوع لان العامليين قد تفاهموا معه واتفقوا واياه ، فعظم ذلك على الامير ملحم لانه عد تسليمهم بدون مراجعته استخفافا بكرامته وتعديا ثانيا عليه ، فزحف عليهم بجيشه فنهاه الوزير عن ذلك وامره بالعود الى بلاده فلم يعتن بذلك وزحف بالجيش مارا على صيدا حتى انتهى الى قرية انصار فالتقاه الزعماء بعساكرهم هناك ودارت رحى الحرب ، ثم انجلت عن اكثر من الف قتيل من الفريقين كما في رواية « مروة » وعن الف وستمائة قتيل من الشيعة كما فى رواية الشهابي وقبض اربعة من الشيوخ وسلمهم الى الباشا في صيدا :

ونحن نظن ان مراجعة الباشا خففت من وطأتهم ، لانهم حسبوا ان استرضاء الوالي يكفي فى دفع الفتنة لانهم لايرونه يجترئ على مخالفته فكانت الحرب بعد ذلك كانها على غير ميعاد ونحن لانعرف ابطال هذه الواقعة ولا المشائخ الماسورين ولا نعرف احدا من القتلى

واما واقعة قدس الاولى ، فلا نعرف اسبابها ، والذي نعرفه عنها ان سليمان باشا اقسم ان يحرق بلاد بشارة وزحف بالجيوش الكثيرة ونزل

فی مرج قدس ، فنزل من وجهه اهل بلاد بشارة وبلاد الشقيف واقليم التفاح واقام الباشا ثلاثة عشر يوما ورجع كما فی رواية الشهابي (١) وتوفي كمافي رواية مروة وكفى الله المؤمنين القتال (٢) لاحظ الهامش

واقعة مرج عيون الاولى

كانت هذه الواقعة في سنة ١١٥٧ ھ والذي نعتقده انها وليدة واقعة انصار الثالثة التي اسلفناها آنفا ، فان زعماء عاملة اخذوا فيها على شبه غرة وخسروا الموقف بكل معانيه ! فبينما كانوا يغيرون على اطراف بلاد

- ١ - الشهابي ص ٧٧٠ ولكنه يقول في ص ٧٧١ ان سعد الدين باشا العظم توفي في طبريا سنة ١١٥٧ ھ اي في السنة التالية لسنة هذا الحادث واما سليمان باشا فلم يزل يحدثنا عنه فی عدة سنوات بعد هذا التاريخ

- ٢ - قال مروة ما لفظه - وسنة ١١٥٦ ھ صارت وقعة مرج قدس مع سليمان باشا العظم وفی نسخة الخال واقسم ان يحرق بلاد بشارة - فتوفي الباشا قبل الحرب وكفى الله المؤمنين القتال وقيل فی ذلك تاريخ

قالت الدنيا الغرورة مات سليمان النجيب

قلت في التاريخ كفى موته فرج قريب

وفيها ركب الأمير ملحم على انصار ثانيا وقتل من الفريقين اكثر من الف قتيل انتهى وانت ترى ان مروة قبل اسطر من رسالته ذكر ان الأمير ملحما توفي سنة ١١٤٧ ھ فی الكنيف ، ولعل الذي غزا فی سنة ٤٧ كان احدارحامه وكان يسمى بهذ الاسم ومات فی الكنيف

الشهابيين ، ويمنعون المال المقرر عن والي صيدا ، واذا بالقوات المهاجمة تحيط بهم ؛ وكانت الخطة الوحيدة التي ساروا عليها هي احكام الصلة وتوطيد العلائق مع وزير صيدا من جديد ، فاصدر الوالي امرا برجوع الامير ملحم الشهابي ؛ ولكن ملحما نفذ خطته ، ولم يحفل بامر الوالي ؛ بحجة انهم اغاروا على اطراف بلاده اولا ، وسحقوا كرامته ثانيا لأنهم تفاهموا مع الوالي منفردين عنه فلم يشركوه في الأمر ولم يجعلوه وسيطا بينهم وبين الوالي

ونحتمل ان تكون هذه الحركة خطة مدبرة ، صدرت عن اتفاق من الوالي والأمير ، لتفتح لهم طريقا الى اخضاع قوات العامليين الجبارة فكان الباشا يمنيهم بانتهاء الحادث بدون قتال ويامر الامير بالرجوع علنا ، ويستحثه على القيام بالمهمة اللازمة من المسارعة في الهجوم سرا ان هذا الاحتمال شيء يقربه الفن ، ولا يستنكره المنطق ،

وكأن العامليين انتبهو الى هذا التدبير ، فاعدوا العدة وصمموا على اخذ ثارهم ؛ فهاجموا الشهابيين في العام الثاني ، فجرت الموقعة في مرج عيون ، وكأن الشهابيين كانوا على ميعاد فاجتمعت اهالي وادي التيم ودروز جبل الشوف ، وقامت الحرب على ساق ؛ ودارت رحى القتال بين الفريقين ، فانهزم جيش الدروز وولو الدبر ، بعد خسارة ثلاثمائة مقاتل واقتنع العامليون في اول امرهم بهذا المقدار من الثأر لكرامتهم ، والانتقام لقتلاهم

في العام الماضي، ثم لما عادوا تداولوا الراي فيما بينهم، ووجدوا ان ذلك لا يشفي الغليل، ولا يبرد الاكباد، فتجمهروا في النبطية من جديد، وصمموا على غزو بلاد الدروز، واجراء عملية الانتقام عملية كاملة، فحال الوالي بينهم وبين مايريدون (١) وكان هذا التجمهر اشد وقعا على قلوب خصومهم المنهزمين، من تطبيق العملية خارجا، وهكذا انتهى هذا الحادث، واعقبته الفتوة والتيقظ والافراح والمسرات، حتي بلغ من نجدة العامليين أنهم يغيرون على الجند العثماني عند استطراقه من بيروت الى عكا (٢)

تجديد القلاع، وتقسيم المقاطعات
سنة ١١٦٤ هـ

استقبل العامليون بعد موت الامير حيدر الشهابي سنة ١١٤٣ هـ حياة فتية متسلحة بالعزة المتمردة، والكرامة الثائرة، وتقدموا في معترك الحياة فرطا وحلوا من الشرف وسطا، وبزغ عليهم فجر سنة ١١٦٣ هـ اوسنة ١١٦٤ هـ

ـ ١ ـ الشهابي ص ٧٧١ فانه صرح ببعض خصوصيات هذه الواقعة

ـ ٢ ـ قال مروة ـ وفي سنة ١١٥٧ هج كانت وقعة مرج عيون بين الدروز والشيعة وكانت الغلبة للشيعة ـ هكذا في نسخة الفقيه والعرفان وزاد الخال مالفظه ـ وكانت بينهم ايام افراح وشدة باس حتى ان العسكر العثماني يسير من بيروت الى عكا على شاطئ البحر لايخشى الا من هجوم شبان الشيعة يسمونهم المتاولة اوالعلويين انتهى

فكان من اكثر الاعوام بركة ، واعظمها يمنا ، واعمها نفعا لانه فاتحة عهد جديد ، فقد حمل الخير من اطرافه ، والقاه بين ايدي الزعماء ، فاقتسموه فيما بينهم ، وحصنوه بالقوة بما لها من معاني ، فان الظروف السالفة ، كونت في نفوسهم اتجاها جديدا ، يندر وجوده بين دول متفاهمـة فضلا عن زعماء اقطاعيين ، فانهم اصبحوا يدا واحدة على من سواهم ، على ما بينهم من احن تثيرها الاطماع وتولدها الحاجة الزمنية ، وذلك وحده هو الامر الذي يبعث الاكبار من رقـدته ، ويستنهض الاعجاب من مكنه ، واذا درس القارئ شطرا من حوادث السنين الآتية ، وجدهم يشتركون في الدفاع عن كرامة بلادهم ، فاذا اصاب احدهم نازلة كانت كأنها حلت بالجميع واذا قدروا على الدفاع اشتركوا معه واذا لم يشتركوا لم يسعفوا عدوه عليه وان كان صديقا لهم او كانوا لا يؤمنون صولته ، فقد كبست الحكومة انصار ولكن عباس العلي كبسها بعد ذلك (١) حتى كأن الخطة مدبرة ، في حين انه لا تدبير ولا مؤامرة ثم تجدهم وقت السلم تبدر من احدهم البادرة ، ولكنها لا تصل الى جر السلاح واهراق الدماء حتى كأنهم قد تبانوا على ذلك فقد اساء الادب عباس العلي مع قبلان فسجنه في قلعة مارون ، ومع ذلك كله كانا يشتركان في الوقائع الكبرى ولا يستغرض احدهم ابتلاء الآخر بعـــد واجنبي عنهما وهكذا غيرهما من الزعماء واذا كنا لا نعرف الحاكم

- ١ - تستعمل لفظة كبس عندهم بمعنى الهجوم المباغت

السياسي تفصيلا بعد وفاة مشرف سنة ١١١٤ ﻫ وبعد وفاة الحاج محمد بزيع سنة ١١٢٢ ﻫ او سنة ١١٣٢ على اختلاف النسختين ، الا اننا نعرف اجمالا ان نصارا كان يحكم البلاد يوم حادث جويا سنة ١١٤٤ ﻫ ولكن نصارا هذا هل هو نصار الاحمد الذي انجب سادات العرب ناصيفا واخوته واحفادهم او هو نصار بن مشرف ؟ ذلك امر لانعرفه ، لأن الوثائق التاريخية مطموسة والتهجس لايوصل الى اكثر من الظن ، والظن لايغني عن الحق شيئا نعم حدثنا شبيب باشا « ١ » ان نصار الاحمد هو حاكم البلاد ولكنه لم يحدثنا عن ابتداء حكمه وانتهائه كما انه نسب له حادثة البحرة وهي من الوقائع التي دارت رحاها على ساعد ناصيف بن نصار الأحمد لذلك اصبحنا نشكك في روايته هذه

ومهما يكن من غموض في حوادث الاعوام الماضية فاننا لانجد منه شيئا بعد عام سنة ١١٦٣ ﻫ ذلك لاننا اصبحنا نسير على هدى فجر من التاريخ مستطير ، واصبحنا لانجهل الا خصوصيات بسيطة لاتمس صاب الحقيقة ، ولاتزعزع راسخات اهدافنا المقدسة ففي سنة ١١٦٣ ﻫ شرع زعماء عاملة في ترميم القلاع والحصون فقامت قلعة تبنين ، وهونين . ودوبية . ويارون وشمع . وجبع وميس وغيرها ، واعيدت مدينة صورفتية بعدما كانت خرابا لايقيم فيها احد ، واما قلعة الشقيف فقد هدمت سنة ١٠٢٤ ﻫ « ٢ » ولم

(١) في مقدمة ديوانه ص ٢٠

ـ ٢ ـ لاحظ ص ٢٨ من هذا الكتاب الذي بين يديك

نجد نصوصا خاصة تدلنا على الزمن الذي اعيدت فيه ، نعم كانت فى النصف الثاني من القرن الثاني عشر من اشد القلاع تحصينا واكثرها تزويقا وتنميقا وذلك على عهد الامير الشيخ علي الفارس الصعبي حتى وصفها شاعرا عاملة في ذلك العهد باروع انواع الوصف فقال فيها الشيخ ابراهيم الحاربصي من جملة قصيدة يمدح بها صاحب القلعة الشيخ علي الفارس الصعبي

ما الشقيف الصلد الا جنة ولنا قصر باعلاه استتار
تنظر المرآة فيه فترى فوقك النهر ترائى بانحدار
مارأينا قبل هذا جدولا فوق قصر شامخ في الجو طار
لاولا قصر كهذا انه فلك يزهو ولكن لا بدار
زينة الدنيا على ارجائه تزدهي فى كل نحو كالفنار
نقشها مؤتلف مختلف
في ابيضاض واحمرار واخضرار
شامخ ياوي اليه اسد
ذو افتراس واقتناص وابتدار

وله ايضا في وصفها

لك القلعة الشماء اشرق بدرها وان كره الحساد في فرق فرقد
جذبت بها حتى بلغت بها السهى وقصر عنها كل قصر مشيد
وابرزتها للوافدين فاقبلت تنادي على شحط المدى كل مجتدي

وله ايضا في وصفها

حصن حصين وابراج تدور على قطب السعود ولا تنحط عن زحل
وشاهق راح يحكيها فقلت له ليس التكحل في العينين كالكحل

ومن الغريب ان الامين في اعيان الشيعة نسب الابيات اللاميات والداليات للشيخ ابراهيم الحاريصي تارة وللشيخ ابراهيم يحيى الطيباوي جد آل صادق اخرى والذي نراه أنه لاينبغي الشك في كون اللاميات للشيخ ابراهيم يحيى لان عليها مسحة من ادبه وهي من جملة قصيدة ذكر شطرا منها في الاعيان (١)

واما قلعة ميس ويارون وجبع وغيرها فانا لا نعرف شيئا عن تاريخها ، نعم حدثنا مروة في جبل عامل في قرنين عن تاريخ ترميم تبنين وهونين ودوبية وشمع واعادة صور واوضح هذا الحديث الركوني في جبل عامل في قرن

ومما يلفت النظر ان المستندات التي بين ايدينا حدثتنا عن آل علي الصغير باحاديث ممتعة تشفي الغليل ، و حدثتنا عن آل الصعبي بصورة مقتضبة ، واما المنكريون فلم نجد ذكرهم فيها الاعرضا ولا نعرف السبب ، وكذلك مقدموا جزين الذين هم من سلالة الخزرج من الانصار وكانوا يحكمون جزين وما اليها « ٢ »

ـ ١ ـ لاحظ اعيان الشيعه في ترجمة الشيخ ابراهيم الحاريصي والشيخ ابراهيم يحيي الطيباوي ج ٥ ص ١٣٢ وص ٦٢٢

ـ ٢ ـ لاحظ العرفان م ٢٩ ص ١٣٩ بالنسبة لما يرجع للمقدمين

ولعل السر فى ذلك ان الحاكم العام « شيخ المشايخ » كان من آل علي الصغير او ان المؤرخين مروة والركوني كانا يسكنان فى المقاطعات التي يحكمها الصغيريون فتكون من اجل ذلك معلوماتهم عنهم اكثر (١) اولعلهم كانوا يعتمدون عليهم فى ماديأتهم

وقد كانت جبال عاملة تقسم الى ثماني مقاطعات ، خمسة منها تحت سلطة آل علي الصغير ، وهي تبنين . وهونين . وساحل معركة . وساحل قانا . ومرجعيون ، ومقاطعة واحـــدة تحت سلطة ال ابي صعب وهي مقاطعة الشقيف ، ومقاطعتان تحت سلطة ال منكر وهما اقليم الشومر . وجباع ، وكان الحاكم يؤدي عنهما ستين الف غرش سنويا مقسطة على اثني عشر شهرا « ٢ »

واول تقسيم نعرفه كان في سنة ١١٦٣ ﻫ فكانت تبنين لناصيف وصور لعباس العلي وهونين لقبلان ، واما بقية المقاطعات فلم نعرف اليوم الأول الذي تناولتها القسمة فيه ولا نعرف حكامها على التفصيل فى هذا العهد ؛ وتقسيم البلاد الراجعة لآل علي الصغير بين احفاده يدلنا على انها اتخذت

- ١ - مروة من قرية صلحا ، والركوني لعله من قرية طيرزبنا وكلاهما من المقاطعات التي كان يحكمها آل علي الصغير

- ٢ - ديوان شبيب باشا ص ١٨ ولكن لم يتضح لنا ان هـذا التقسيم كان على عهد حكومة ناصيف النصار او قبله او بعده ، ونحن نجد ما يخالف هذا في القرن الثالث عشر على عهد حمد البك وعلي بك وينبغي ملاحظة ص ١٥٤ من الحلقة الاولى من هـذا الكتاب

كعلاج لمشكلة سياسية داخلية

ولعل آل منكر وال الصعبي لم يعترفوا بحكومة آل علي الصغير ، فاتفق هؤلاء في قبالهم ، وجعلوا هذا الاتفاق حجر اساسيا لاخضاع اخوانهم

ويشهد لهذا ماحدثنابه الركوني (١) انه في سنة ١١٧١ هـ ركب محمود الى اقليم الشومر وقبض سليمان بن ابي صعب ، وحدثنا انه في سنة ١١٧٧ هـ كبس الشيخ حسين منصور قرية الغازية ، وخرب اقليم التفاح ، وتضعضعت احوال الناس فركبت خيل ناصيف وخيل قبلان وعباس الى اقليم الشومر ، فان المظنون ان حسينا هذا من آل منكر ولعله اخو علي منصور المنكري فقد حدثنا ايضا انه في سنة ١١٩٢ هـ توفي الشيخ محمد العلي ابن علي منصور منكر وعلى هذا يكون حمزة بن علي منصور الذي اختلف مع الدروز في سنة ١١٨٣ هـ هو اخو الشيخ محمد العلي ويكون علي منصور الذي تحصن هو وعباس العلي في قلعة ميس سنة ١١٧٩ هـ هو والد محمد العلي وحمزة الانفين وعليه يكون عباس العلي حاكم صور اتفق مع المناكرة على التمرد الآنف حتى التجأت الحكومة الى ضرب الحصار عليه مستعينة بالدروز ولم تفعل شيئا ولعل هذه المؤامرة المقوتة حملت ابا حمد الشيخ محمود النصار على

---

١ - جبل عامل في قرنين المنشور في م ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ من العرفان وينبغي ملاحظة كل جهة ذكرناها في حوادث سنتها والظاهر ان محمودا الذي ركب الى اقليم الشومر وقبض سليمان بن ابي صعب هو محمود النصار اخو ناصيف

الاستيلاء على مواشي عباس العلي في قرية طرفلسية تخفيفا من نزقه واخيرا رجع الى صور في سنة ١١٨٠ ﻫ واستقرت الأمور

وحيث انتهينا الى هذه المرحلة فلنسرد حوادث السنين المتعلقة بالناحية السياسية فقط ، لانها هي هدفنا الوحيد في هـذه الحلقة ، وسنجهد انفسنا في المحافظة على النصوص التي تضمنتها المصادر الملحنـة ، لنبقي مجالا للقارئ في الاستنتاج ، ثم نحيله عليها في مضانها لنسهل على الباحث الوصول الى الغاية او نشير الى اخطاء بعض الباحثين المهمة بشكل غير مقصود والا لوجدنا اشياء كثيرة ، وخرجنا عن الغاية المتوخاة

قال مروة في جبل عامل في قرنين « وسنة ١١٦٣ ﻫ شرعوا في عمارة القلع في تبنين وهونين ودوبيا وشمع ، واقتسموا البلاد فكان لعباس العلي صور « ١ » ولناصيف تبنين ولقبلان هونين ». وفي هذه السنة « تطاولت

- ١ - وفي نسخة الخال ولاخيه حمزة ، وحمزة المعروف انما هو اخو عباس المحمد وعباس العلي ابن اخي عباس المحمد وحمزة المحمد

ومن المحتمل ان يكون لعباس العلي اخ اسمه حمزة ولكن التاريخ لم يشر لذلك ، وقد اختلفت المصادر من حيث تجديد صور فبعضها مجمل وبعضها يصرح بان الذي جددها هو عباس المحمد كما في ديوان شبيب باشا ص ٢٠ وبعضها يصرح انها حصة عباس العلي كما مر في عبارة مروة واما الركوني فمرة يطلق عباس ومرة يصرح بان عباس المحمد سكنها وقد اتينا على هذه الناحية عند التحدث عن زعماء عاملة وذلك كله يدلنا على ان مقاطعة الساحل كانت لابناء محمد النصار وهم عباس -

المشايخ المناكرة على اقليم جزين وقتلوا رجلين من خدم الشيخ علي جنبلاط فعظم ذلك على الامير ملحم وجمع عسكر البلاد وركب لحرب جباع الحلاوي فهربت المتاولة من وجهه واحرق اكثر بلادهم ورجع منصوراً الى دير القمر وكان قد اصاب منهم جماعة في جبل الشوك الذي فوق جباع وقتل من المتاولة نحو ثلاثمائة نفس واحرق حارة جباع وقطع الاشجار التي هناك واحرق بلاد الشقيف وبلاد بشارة » (١)

وفي سنة ١١٦٤ هـ (نزل القضاء والقدر بوقعة الشيخ ظاهر وذلك في قلعة دوبية وكانت وفاته ليلة الاحد ٢٤ من ربيع الأول : وفي هذه السنة شرعوا في عمارة الصور وبناء القلع وفي سنة ١١٦٥ هـ كانت بداءة الشيخ عباس في عمارة الصور في شهر جماد الاول (٢)

ـ المحمد واخوه حمزة وابناء اخيه عباس العلي المحمد النصار واخوته

(١) الشهابي ص ٧٧٤ واللفظ له

(٢) الركوني في جبل عامل في قرن وهو كتاب يحتوي على امور هامة تتعلق بجبل عامل نشره صاحب العرفان في العرفان في م ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ ومؤلف الكتاب هو الشيخ حيدر رضا المولود في سنة ١١٢٣هـ كما يظهر من ملاحظة ما ذكره في حوادث سنة ١١٦٦ هـ وقد توفي الشيخ حيدر المذكور في ١٠ ذق سنة ١١٩٨ هـ فتكون مدة حياته ٦٥ سنة واكمل الكتاب ولده وهو الذي ذكر سنة وفاة ابيه في حوادث هذه السنة من هذا الكتاب ويظهر مما ذكره في سنة ١٢٠٣ هـ ان الذي اكمله ولد سنة ١١٩٦ هـ واما وفاته فلا نعرفها على التحقيق ولكننا نحتمل انه توفي في ـ

وقد عرفت ان مروة جعل ذلك في سنة ١١٦٣ ﻫ وغير بعيد ان يصدر القرار في ذلك التاريخ ويكون التنفيذ في سنة ١١٦٤ والركوني اثبت من مروة لانه معاصر للقوم ويكتب الحوادث لوقتها كما يظهر ويوقتها باليوم والشهر والسنة كما انه يظهر ان الشروع في تمدين صور كان متاخرا وانه كان في سنة ١١٦٥ ﻫ

واقعة القنيطرة وواقعة رميش الأولى

وفي سنة ١١٦٦ ﻫ ركبت خيل واكد وناصيف على عرب القنيطرة وبعد يومين من هذا الركوب اعني يوم الثلاثاء خامس عشر جماد الاول ركب الشيخ قبلان الى حاصبيا لمواجهة الامير ملحم بن الشهاب : وفي هذه السنة نفسها يوم السبت اربعة وعشرين من جماد الآخر ركب الشيخ قبلان والشيخ عباس على عرب مرج رميش ونهبوهم نهبة عظيمة ؛ وخربت

- سنة ١٢٤٧ لان حوادث الكتاب تنتهي عند هذا الحد وقد اشتبه صاحب العرفان في امرين اولها انه قال انه دون الحوادث من سنة ١١٦٧ ﻫ مع انه يشرع في سنة ١١٦٣ ﻫ وهذا الاشتباه تكرر في صدر كل قطعة نشرت منه ثانيها انه نسبه للشيخ حسن حيدر رضا الركوني مع انه للشيخ حيدر واتمه ولده ولا اتحقق فعلا اسم ولده الذي اتمه وكانني اذكر انه يتعرض لذلك في غضون الكتاب وان اسمه الشيخ علي ، ونحن نستدرك هذا وامثاله على حملة التاريخ للتاريخ ليس الا وقد ذكرت لقبه مرارا بلفظ الركيني وهو في العرفان الركوني ولا اعرف الاصح منها فعلا

البلاد (١)

واقعة انصار الثانية

وفي سنة ١١٦٧ ﻫ عمر الشيخ عباس البئر الكبير ، وفيها في شهر جماد الأول صبيحة الاربعاء يوم الحادي عشر منه جاء مصطفى باشا من صيدا إلى انصار فكبسها ونهبها نهبة عظيمة ، ومسك الحاج محمد الحمادة وسليمان جواد ، وأخذهم معه الى صيدا ، وفيها صبيحة الخميس ، ركبت خيالة عباس العلي وكبسوا الدولة في مغرافة انصار ٢٣ رجب وفيها يوم الاربعاء تاسع شهر ذق ركب ناصيف وعباس مع الشيخ ظاهر العمر على اولاده الى طبريا ولم يركب معهم قبلان

وفي سنة ١١٦٨ ﻫ في يوم الجمعة ١٨ شعبان ركب الشيخ عباس والشيخ ناصيف على شريعة منذور ، فغنموا اهلها وقتلوا منهم قدر عشرين رجـــلا

وفي سنة ١١٦٩ ﻫ كبست الافرنج مدينة صور فاخذوا ١٥ نفسا رجالا ونساء ، وفي شهر رمضان خربت بلاد الشقيف وفيهـا مسك الشيخ عيسى فارس في قلعة بلاد الشقيف ، وفي شهر ربيع آخر من هـــذه السنة ركب اخو الشيخ ناصيف واخو الشيخ قبلان الى الشام وفيها عزلت العظام من الشام ومن صيدا ، وجائت الباشوية الى كواخيهم حسين بك بن مكي الى

١ — جبل عامل في قرن الركوني وكذلك حوادث سنة ٦٧ و ٦٨ واللفظ له بعد حذف مالا نحتاجه

الشام ، وموسى كاخيا الى صيدا ، وفيها رفع الامير ملحم ابن الشهاب من حكم الشوف وحكم موضعه اخوته الامير احمد والامير منصور وفي سنة ١١٧١ هـ في ليلة الجمعة ٢ محرم توفي الشيخ حسين يحيي ولدا (؟) الشيخ قبلان ، وفي هذه السنة في ليلة الاثنين غرة شهر ربيع اول ركب محمود الى اقليم الشومر ومسك الحاج علي سليمان ابن ابي صعب ، وفي ٢٧ شهر ربيع آخر يوم الاحد توفي الشيخ محمد الحمد (١)

واقعة راس العين الأولى

في سنة ١١٧٢ هـ كان سعد الدين باشا العظم واليا على صيدا ولسبب مجهول لم يحدثنا عنه التاريخ ، خرج هذا الوالي من صيداء نهار الاربعاء الموافق ٢٢ صفر من هذه السنة ودخل بلاد بشارة ، وقتل ونهب ، والظاهر انه دخلها بغتة وفي اليوم الانف نفسه ، توجه الشيخ ناصيف الى دمشق وفي نهار الاربعاء سادس ربيع الأول من هذه السنة حدثت واقعة راس العين « بين الشيخ قبلان والشيخ ناصيف وبين الوالي وكانت وقعة عظيمة وقتل من الفريقين قدر ثمانين رجلا »

ومن الامور التي لانشك فيها ان حركة الباشا هي السبب الوحيد في تكوين هذه الواقعة ، ومن المحتمل ان تكون حركة الشيخ ناصيف الى

---

(١) الركوني في جبل عامل في قرن ولانعرف غير ماذكره هو في هذه السنة وما قبلها مع اهمية مايذكره في حوادث سنة ٦٩ من خراب بلاد الشقيف وقبض الشيخ عيسى فارس

دمشق قبل العلم بهجوم الوالي الباغت كما انه من المحتمل ان تكون حركته هذه بعد العلم بهجومه ، وتكون رحلته هذه رحلة سياسة ، والغرض منها القاء الحجة ، ويكون في رحلته هذه قد حفظ خط الرجعة : وفى هذه السنة « سجنوا الحاج محمد حيدر ابي بشير وولديه محمد وحسين في البئر ومات الحاج حيدر وولده محمد وقلعوا عيني حسين في قلعة بلاد الشقيف وفي شهر ذي القعدة توفي الحاج محمد عيسى منكر » (١)

والركوني في عبارته الانفة كما تراه لم يصرح باسماء الذين سجنوا هذا الأنسان وولديه كما اننا لا نعرف شيئا عن المسجونين غير ماذكره هنا والاحتمالات لا تتناهى وفي سنة ١١٧٣ ﻫ نهار الجمعة ١٤ محرم ركب العسكر من بلاد بشارة الى بلاد صفد على النوابلسي ، وفيها توفي الشيخ* محمد العلي (٢) وفيها توفي الامير ملحم الشهابي في مدينة بيروت بعد عزله عن الحكم وبعد ما استخف به ارحامه (٣) وهو الذي مثل دورا ها ما مع العامليين

---

(١) الركوني فى جبل عامل فى قرن في حوادث هذه السنة واما مروة فانه قال مالفظه ـ وسنه ١١٧١ ﻫ جاء اسعد باشا العظم الى راس العين فنهب وحرق قرى الساحل وسنة ١١٧٣ ﻫ صارت زلزلة عظيمة اهلكت قرى ومدن ـ انتهى

ـ ١ ـ جبل عامل فى قرن للركوني

ـ ٢ ـ الشهابي ص ٧٨٣

وفي سنة ١١٧٥ ﻫ في شهر ربيع الاول جاء عثمان باشا وهو يومئذ والي الشام الى قلعة بانياس وهدمها وقبض الامير اسماعيل بن الامير نجم الشهابي وفيها انتقل الشيخ حمزة الى قانا ، وفيها حاصر « اي تحصن » الشيخ واكد في قلعة شمع ، وفيها توفي الحاج علي سليمان ابن ابي صعب يوم الجمعة عاشر جماد اول

وفي سنه ١١٧٦ ﻫ نهار الخميس ١٨ ربيع الأول جاء الكلخية الى قرية شحور وفيها نهار الجمعة ٢٤ رمضان توفي الشيخ واكد وفي سنة ١١٧٧ ﻫ كبس الشيخ حسين منصور قرية الغازية وخرب اقليم التفاح وتضعضعت احوال الناس ، وركبت خيل ناصيف الى بلاد الشقيف وخيل قبلان وعباس الى اقليم الشومر وكان ذلك في ٢٠ ربيع الأول وفي منتصف جماد اول توفي الشيخ موسى منكر (١) وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الشهابيين « ٢ »

وفي سنة ١١٧٩ ﻫ في جماد الثاني ركب علي الظاهر العمر وقبلان الى مرجعيون الى قرية آبل فقتلوا من الدروز قدر ستين رجلا وقتل منهم قدر خمسة عشر رجلا وفيها في ٨ ربيع الاول نهار الاثنين ركب الشيخ ناصيف والشيخ عباس بعسكرهم وعسكر الدرفة الى وادي المعظمية الى عسكر علي الظاهر العمر فكسروه كسرة عظيمة ، وذبحوا من الصفدية قدر ٢٥٠ رجلا

- ١ - جبل عامل في قرن الركوني
- ٢ - الشهابي ص ٧٨٨ وص ٧٨٩

وفيها خرب اقليم الشومر ، وحاصر « اي تحصن » عباس العلي وعلي منصور في قلعة ميس وفيها في آخر جماد الثاني شنق والي صيداء رجلين من بلاد بشارة ، وفيها كبست الغازية وركب الشيخ ابو حمد الى قرية طرفلسية واخذ معزة عباس العلي وبعض جمال وخيل وسلبوا بعض الناس ، وفيها خرب سوق عديسة وعمر سوق الطيبة ؛ وسوق بدياس ؛ وفيها في رجب نهار الجمعة صارت الجمعية بين الشيخ ناصيف والشيخ عباس وعلي فارس والامير اسماعيل والشيخ علي جنبلاط في حاصبيا ، وفيها في منتصف رجب انكسر في البحر غليون اهل الروم فاختلف عليه مشايخ بلاد بشارة وعباس العلي وبعد هذا ظبته « جمعته » الدولة بامر والي صيداء وفيها نهار الثلاثاء ٢٢ رمضان خرج والي صيداء ومعه عسكر الدروز وحاصر عباس العلي وكان متحصنا في قلعة ميس وفي عشرين شوال من هذه السنة ركب الشيخ ناصيف والشيخ عباس المحمد والشيخ عثمان الظاهر الى بلاد الدروز في الجمعية ، وفي هذه السنه نهار الاحد ٢٢ ذي الحجة ركبت عساكر بلاد الشقيف وبلاد بشارة واقليم التفاح على بلاد صفد وعثمان الظاهر معهم ايضا

هذه جملة حوادث مهمة حدثنا عنها الركوني تدلنا على ان الزعماء كانوا يهتمون في التفاهم مع جيرانهم وربما يظهر ان حكام بلاد الشقيف واقليم التفاح لم يكونوا متفاهمين مع آل علي الصغير كما يراد بل يظهر ان عباس العلي كان يتفاهم مع المناكرة ضد بني عمه وعمومته لان الشيخ حسين منصور منكري كما يظهر لنا

واقعة صفد

في يوم الاحد ١٤ محرم من سنة ١١٨٠ هـ كانت واقعة صفد بين زعماء عاملة وبين علي الظاهر العمر ، فانتصر عليه زعماء عاملة بعدما خسروه مائتي مقاتل وزاد بعضهم عدد المقتولين (١)

واقعة تربيخا او الدولاب (٢)

كانت واقعة تربيخا في سنة ١١٨٠ هـ في نهار الاثنين ٨ ج ١ وسببها ان ظاهر العمر كان قد استولى قبل هذه الحادثة على قرية البصة ، وهي داخلة في المقاطعات التي يحكمها الشيخ ناصيف النصار فاراد الشيخ ظاهر ان يتوسع في سلطته وتجاوز الحدود ، والظاهر انه لم يلق مقاومة من زعماء عاملة ؛ ومن اجل هذا لج به الطمع وحدثته نفسه باكثر من ذلك فجاء قرية تربيخا بعسكر وافر واحاط بها فما كان باسرع من ان وصل الخبر الى قلعة تبنين وفيها حاكم البلاد الشيخ ناصيف ، والظاهر ان الشيخ علي الفارس كان عنده في ذلك الوقت ، وعندما مر صدى الحادث على اسماع الحاضرين هبوا سراعا لتلبية الداعي ، وطارت الفرسان على متون الجياد ، وما هي الا ساعة او ساعات واذا بهم قد قطعوا تلك الارض الوعرة ؛

- ١ - الركوني واما مروة والشهابي فانهما لم يشيرا لهذه الواقعة
- ٢ - تربيخا قرية من قرى جبل عامل تقرب من حدود فلسطين والدولاب اسم مكان جنوبي تربيخا

وفاجئوا تلك الجموع المنتشرة ، فالتقى الفريقان ، ودارت رحى القتال والذي نظنه ان الجموع التقت اولا فى تربيخا ثم وقعت الهزيمة واتبعهم ثلة من الفرسان فكر عليهم عسكر الشيخ ظاهر فاشتبكت المعركة فى الدولاب وحمي الوطيس فانجلت الغبرة عن هزيمة عسكر الشيخ ظاهر هزيمة قبيحة و عن مقتل مئة وخمسين فارسا من عسكر الشيخ ظاهر وعشرين فارسا من عسكر الشيخ ناصيف وقد غنم الشيخ ناصيف مئة فرس قد قتل فارسها « وتسمى قليعة باللغة الدارجة » وغنم فرس الشيخ ظاهر المسماة بالبرصاء بعد ان احكم الرمح فى صدره وعفا عنه وانزله عن فرسه المعروفة بالبريصة ثم اعادها له قائلا « لاحاجة لنا بالبريصة بعد ما رجعت لنا البصيصة » (١) ويقول الشيخ علي السبيتي انه اركبه عليها بيده « ٢ » وقد ابدى الشيخ علي

ـ ١ ـ تصغير بصة والبريصة تصغير برصاء

ـ ٢ ـ ديوان شبيب باشا ص ٢٦و اعيان الشيعة ج ٥ ص ١٢٢ وقد اعتمدنا فى جمع شتات هذه الواقعة على الركوني ومروة وقصائد الشيخ ابراهيم يحي والشيخ ابراهيم الحاريصي واعيان الشيعة وديوان شبيب باشا الاسعد ص ٢٦ وقد صرح الامين في اعيان الشيعة بكون حادثة الدولاب وتربيخا واحدة ويظهر ذلك من الشعر الذي نظم بهذه المناسبة اما مروة والركوني فلم يذكرا الا تربيخا كما ان جبل عامل في قرنين الذي هو لمروة وينسبه المعاصرون للسبيتي لم يذكر انه احكم الرمح فى صدره وعفا عنه وانزله عن فرسه واركبه عليها بيده ولعل ـ

الفارس الصعبي ، والشيخ محمود النصار فى ذلك بسالة غريبة ، لم ينقلها التاريخ الا عن آحاد من فرسان العرب فى الجاهلية كالمهلهل واضرابه وهذه البسالة هي التي دعت الشيخ ابراهيم يحيي والشيخ ابراهيم الحاريصي ، وهما شاعرا عاملة في ذلك العهد للتغني بهذا الموقف الرهيب في قصائد هما الرنانة

بقية حوادث سنة ١١٨٠ هـ

فى اوائل هذه السنة « امسك الشيخ عباس الشيخ قبلان ورده الى خلف في سنة تاريخها ظرف ، وقتل فيها خمسة رجال ، وطلب [illegible] الشيخ عباس صبيحة الثلاثاء ، فادركته الخيل شرق القنيطرة فاستيسره واستيسر اخاه احمد وجاء بهما الى قلعة مارون وادخلها السجن كما قال عز شأنه ولا يحيق المكر السيئ الا باهله (١)

وفى نهار السبت ١٣ محرم من هذه السنة نهبت صور ، وفي ٢٣ ذي القعدة نزل الشيخ عباس الى صور واسترجم الأمور وفيها في يوم الجمعة ١٩ ذي

- الامين اعتمد على كتاب السبيتي الذي هو في شرح قصيدة علي بك الاسعد

ولنذكر لفظ مروة وفاء بما وعدنا به قال وسنة ١١٨٠ هـ صارت وقعة تريخا مع ظاهر العمر وناصيف وانكسر ظاهر وقتل منه مايسة قتيل ونهبت منه خيول ومن الجملة فرسه البرصاء انتهى

١ - الركوني واللفظ له ، وهذا الحادث يدلنا على مكانة الشيخ قبلان السامية في ذلك العهد وانه اجل من الشيخ عباس قدرا واعظم خطرا

الحجة كبست قرية صلحا من الصندية (١)

ولنذكر طرفا من الشعر الذي تضمن التحدث عن واقعة تربيخا والدولاب فمن قصيدة قالها الشيخ ابراهيم يحيى المخزومي العاملي الطيبي في مدح ابي حمد الشيخ محمود النصار

وغانية مثل الهلال تركتها ... وادمعها تنهل فوق الترائب

تقول الى من تقطع البر صاديا ... فقلت الى محمود بحر المواهب

ابي حمد حامي البلاد ومن جرى ... ندى كفه في شرقها والمغارب

انامله في الحرب خمس صواعق ... وفي السلم لا تنفك خمس سحائب

لعمرك ما انساه يوم تالبت ... عليه الاعادي من فتي وشائب

وثار لهم من آل نصار عصبة ... على كل معروق الجنا حين شازب

يكاد ظلام النقع فوق رؤسهم ... يواريهم لولا ضياء المناقب

الى ان قال في وصف الاعداء

فاقلقهم وقع الحسام وادبروا ... يروغون من اسد الشرى كالثعالب

كاني بهم عند المضيق وقد هوى ... هنالك راس القوم من غير ضارب

جواد تردى عن جواد مطهم ... وما زال ظهر الغي شر المراكب

فلست ترى الا سلاحا على الثرى ... وخيلا بها فقر الى كل راكب

واعجب شيء ان خمسين فارسا ... تمزق الفي فارسا بالقواضب (٢)

- ١ - الركوني ايضا

- ٢ - اعيان الشيعة ج ٥ ص ٦١٤

ومن قصيدة يمـــدح بها الشيخ علي الفارس ويهنته بعيد الفطر سنة ١١٨٠ هـ «١»

وما انس لا انس الغداة وقدسرى ··· فريدا ينادي من يجيب المناديا
فثار اليه الجيش من كل جانب ··· فلست ترى الا سيوفا عواريا
فحكم فيهم سمهريا تخاله ··· شهابا على جمع الشياطين هاويا
فلست ترى الاقتيلا وهاربا ··· ومنجدلا يشكو الجراح وعانيا
واقلقهم وقع الحسام فاسلموا ··· عتاق المذاكي والرماح العواليا
فارسل كل نفسه في تنوفة ··· يجوب الفيافي واديا ثم واديا
راوامن سيوف الهند بحرا واصبحوا ··· يدورون في الدولاب شعثا ظواميا

وقال الشيخ ابراهيم العاملي الحاريصي في هائيته المعروفة التي مـدح بها الشيخ ناصيف النصار

وافى بها في يوم تربيخا وقد ··· جاست خيول الدار عين خلالها
طافوا عليها بالصوارم والقنا ··· فكانهم قطع الغمام حيالها
فسطا ونادى لافرار فادبرت ··· تلك الجموع ونالها ما نالها
عافت هنالك خيلها وسلاحها ··· والرعب من تلك السروج اماالها

وله من قصيدة يمدح بها الشيخ علي الفارس الصعبي

كم تلقى لاليالي حادثا ··· انسيتم يوم من تبنين غار
فوق طرف ذي نشاط امه ··· من بنات الريح مامون العثار

ـ ١ ـ اعيان الشيعة ج ٥ ص ٦١٨

ويمناه صقيل مرهف غيرة منه على تلك الديار
ابصر الدولاب منه وقفة يومه في جنح ليل من غبار
والمذاكي بالرواسي اقبلت شزبا تعدو وللاقوام ثار
والقضا التى مناجيق الردى للفريقين وما نادى حذار (١)

وله من قصيدة اخرى في مدحه ايضا

له يوم تربيخا على الخصم غارة تكاد بها شم الجبال تفطر
احاط بها الاقوام من كل جانب ولقد ابدوا والضغائن اظهروا
وداروا بها شرقا وغربا واقبلوا بعسكر بغي لا يباريه عسكر (٢)

وهناك قصائد اخرى لكل من الشاعرين الآنفين نظن انها في وصف هذه الواقعة لم نورد شيئا منها طلبا للاختصار

وقد كانت وفاة الشيخ ابراهيم الحاريصي في ١٦ شعبان يوم السبت سنة ١١٨٥ هـ على ماذكره الركوني و كانت وفاة الشيخ ابراهيم يحيى سنة ١٢١٤ هـ بدمشق على ماذكره في اعيان الشيعة

المعاهدة بين ناصيف وظاهر

في ٨ رجب سنة ١١٨١ هـ

ـ ١ ـ اعيان الشيعة ج ٥ ص ١٣١ وقد ذكرنا شطرا منها في وصف قلعة الشقيف في هذا الجزء ص٨٢ وقد نشرت في العرفان م ٩ ص٢٢٦

ـ ٢ ـ اعيان الشيعة ج ٥ ص ١٣٤ والعرفان م ٩ ص ٢٢٨

كانت واقعة الدولاب حجرا اساسيا في المعاهدة الودية التي تم توقيعها في عكا في رجب سنة ١١٨١ ﻫ وحاول ناصيف بعد انهاء هذه المعاهدة ابرام معاهدة ثانية بينه وبين الامراء الشهابيين لئلا يتهم بالانحياز الى جانب الشيخ ظاهر العمر ، فجاء ناصيف من عكا وذهب الى بلاد الدروز

والتاريخ لم يحمل لنا نص المعاهدة ، ولاحدثنا عن المواد التي تضمنتها ،

وقبل هذه المعاهدة باربعة أشهر وفد الشيخ ظاهر العمر والشيخ علي جنبلاط الى صور ، ونظن انهما كانا في ضيافة الشيخ عباس المحمد النصار ، لانه كان قد سكن صور في تلك السنة ، وحاولا وضع معاهدة ولم يتم لهم ذلك

وهل ارادا ابرامها مع الشيخ عباس منفردا او بعد مراجعة الشيخ ناصيف؟ ذلك امر لانعرف عنه شيئا

وقد كانت تتكرر الاجتماعات السياسية من زعماء الاقطاع الثلاثة عاملة وفلسطين ولبنان في هذه السنوات وما ذلك الا لأنهم كانوا يشعرون بخطر محدق ، وكان كل واحد منهم يخشى سطوة الآخر لان القوى متعادلة والطموح مشترك ،

وقد كان موقف حكام عاملة من أعظم المواقف الخطرة ، لتوسط بلادهم بين حكومتين اقطاعيتين قويتين ، وثبات العامليين يدلنا على تفوقهم على جيرانهم قوة ونجدة

وقد جرت حوادث بسيطة في هذه السنة وما بعدها كما حدثنا الركوني فلنذكرها متصرفين في عبارته تصرفا بسيطا قال « في سنة ١١٨١ ﻫ نزح

الشيخ عباس المحمد الى صور يسكنها وفي ٦ ربيع الأول صارت واقعة بين الكاخيا وخيل الشيخ عباس وقتل من الفريقين نحو عشرة رجال منهم الحاج محمد عجمي وعلي حسين وعلي نصار ، وفيها عمرت مرج رميش وفى ١٧ ربيع الاول وصل الشيخ علي جنبلاط والشيخ ظاهر العمر الى مدينة صور الى الجمعية وما تمت وفى الشهر المذكور سكن الشيخ حيدر الحر فوشي عيناثا لان يده رفعت عن حكم بعلبك وحكمها اخوه محمد ، وفى هذه السنة توفي الشيخ جابر العلي فى قلعة ميس وفى خامس جمادالثانية كبس الصفدية تربيخا واخذوا منها معزا وقتل منها واحد وامرأة ومن الصفدية واحد وفى اليوم نفسه كبست الدولة القصيبة والصرفند وفى ثامن رجب سار الشيخ ناصيف الى عكا الى عند الشيخ ظاهر العمر ووقع الصلح بينهم ثم سافر الى عند الدروز ، وتوفي الشيخ ابراهيم جابر يوم ٢٣ رمضان » انتهى

ان مجيء الشيخ ظاهر الى صور لوضع المعاهدة واتمامها بعد ذلك فى عكا يدلنا على ان الشيخ ظاهر هو الذي خطب ود العامليين وانهم اجابوه اخير الذلك ، خلافا لما زعمه جورج يني فى مقالاته التى نشرت فى المقتطف

« وفى سنة ١١٨٢ ه فى ١٧ ج اول صار عرس اولاد الشيخ حيدر الفارس فى قلعة الشقيف وفي شهر رجب كان عرس اولاد الشيخ واكد والشيخ عباس وأولاد حمد وحسين وفى هذه السنة تزوج الشيخ عمر الحمد وحمزة المحمد والشيخ ابراهيم الحسن

« وفى سنة ١١٨٣ ه رحل الشيخ حمزة من صور الى حاريص وفي يوم

الثلاثاء ٢٢ صفر ركبت خيل ناصيف الى ارض قلعة مارون وسلبوا ظاهر فاعور وقتلوا ظاهر ماجـــد في قرية قلوية والسبب في ذلك مرعي السالم البدوي العراقي ، وفيها تزوج الشيخ عقيل ولد الشيخ ناصيف وقاسم المراد وفيها يوم الاثنين ١٢ شعبان صار بين حمزة بن علي منصور وبين الدروز نزاع فاصيب بطلقة وسلم وقتل من الدروز اثنين ؛ وفي شوال ركب ظاهر العمر وولده علي الظاهر وركب ناصيف وعباس وقبلان الى مرج الحبش وتفرقوا ، وفي ٩ ذي القعده غزا المشائخ المذكورون مع الشيخ ظاهر على النوابلسي وقتل من النوابلسي فوق المائة وقتل ابن عثمان الظاهر والشيخ جهجاه »

« وفي سنة ١١٨٤ هـ في ١٢ محرم اشترك زعماء بلاد بشارة مع الشيخ ظاهر العمر في محاصرة ولده علي الظاهر في مدينة صفد وفي ربيع الثاني جاء الشيخ حمزة الى مارون وحاصر « تحصن » في القلعة وفيها كان عرس الشيخ قبلان بالحمادية ، وفي رجب نهب الشيخ ظاهر العمر وولده علي الظاهر جبخانة عثمان باشا واجتمع المشائخ من اجل ذلك ومن اجل غزو جبل نابلس لان عثمان باشا حاصر البرقاوي ولم يقدر عليه وفي يوم الاثنين ١٢ شوال تأهب مشائخ بلاد بشارة (؟) والشيخ ناصيف والشيخ عباس والشيخ علي الفارس والشيخ ظاهر العمر مع السناجق الى المزيرب على باشة الحاج وكان اسمه عثمان باشا الصادق ورجعوا ولم يقطع بينهم شيء

محاولة الاستقلال

كان عثمان باشا الصادق يكره ظاهر العمر وحاول غزوه واحس ظاهر بذلك فاستنجد كل من ظاهر العمر وعثمان باشا الصادق بعلي بك حاكم مصر وكان علي بك قد عزم على الخروج عن طاعة العثمانيين مغتنماً فرصة انشغالهم بحرب المسكوب ، فاغتنم الفرصة وارسل ستة سناجق من العزمع عشرة الاف مقاتل الى سوريا بقيادة اسماعيل بك وامرهم بالانقياد لظاهر العمر ، فاستقبلهم الشيخ ظاهر وقدم لهم النفقات ثم اجتمع هو وحلفاؤه من زعماء عاملة الشيخ ناصيف والشيخ عباس والشيخ علي الفارس وغيرهم والسناجق الستة وقرروا الاصطدام بقوات عثمان باشا وذهبوا الى المزيريب وكان ذلك نهار الاثنين ١٢ شوال من سنة ١١٨٤ هـ (١) وعندما فهم عثمان باشا بذلك انسحب من اطراف القدس الى دمشق وتجهز للحج فحاول ظاهر غزوه والحال هذه ، وابى عليه المصريون بحجة انهم لا يقاتلون زوار بيت الله الحرام وقيل انهم كانوا قد كرهوا نصرة ظاهر العمر لما شاهدوه

---

١ - توقيت الحادث بالوقت الانف والتصريح باسماء الزعماء العامليين الثلاثة والاشارة لغيرهم اخذناه من الركوني واما اسباب الحادث فقد اعتمدنا فيها تاريخ الشهابي كما اعتمدناه في كثير من تفاصيلها وقد لخصنا هذا وما بعده من ثمانية صحائف تبتدئ بصحيفة ٨٠٠ وتنتهي بصحيفة ٨٠٨

من تجير اولاده وتكبرهم فرجعوا عنه من غير حرب ولا قتال ، واقام السناجق في نواحي يافا فشكاهم ظاهر الى علي بك فجهز جيشا وارسله بقيادة محمد بك ابي الذهب ولما وصل الى اراضي غزة التقى باسماعيل بك والسناجق الستة وحضر اليه اولاد الشيخ ظاهر وزعماء عاملة والذين حضروا اليه منهم هم الشيخ ناصيف والشيخ حمزة والشيخ علي الفارس فانهم استقبلوه في ١٨ صفر سنة ١١٨٥ هـ الى جسر بنات يعقوب وساروا معه (١) فزحف بنحو من ستين الفا من المصريين والعامليين والفلسطينيين نحو دمشق وكان عثمان باشا قد رجع من الحج فخرج لقتالهم وما لبثت عساكره الا قليلا حتى انهزمت فخيم ابو الذهب حول المدينة قاصدا حصارها وارسل اليهم كتابا من علي بك يشتمل على تنفيرهم من عثمان باشا وترغيبهم بعدل علي بك وتخويفهم عاقبة الخذلان فلما وصل اليهم الكتاب خرج اليه العلماء والعوام باجمعهم وطلبوا الامان فامنهم ثم دخلها وفتح القلعة وانتهى كل شيء وتوسط الشيخ ظاهر مع ابي الذهب بشأن الامير منصور الشهابي فكتب اليه امانا وولاه على بلاد جبيل واما عثمان باشا فانه فر من دمشق وتوجه الى حمص وارسل نائبه يوسف آغا ابن جبري الى الامير يوسف الشهابي ابن اخت الامير منصور الآنف يستنجده على ابي الذهب وطفق

-١- اعتمدنا على الركوني في توقيت هذا الحادث وهو يخالف الشهابي لانه ذكره في حوادث سنة ١١٨٤ هـ

عثمان باشا بجمع العساكر حتى اجتمع لديه خلق كثير واما ابو الذهب فان اسماعيل بك الذي حضر مع السناجق جعل يثني عزيمته ويوهن همتـــه ويخوفه عواقب الامور ويحذره صولة السلطان وسوء مخالفته اذا فرغ من حرب المسكوب واقنعه بانه في خروجه على السلطان اصبح حربيا فى دار الاسلام يحل دمه وماله ويوضح له بغي اسرة الشيخ ظاهر وتمردهم حتى اقنعه بهذا واشباهه فنهض بجيشه ليلا متوجها الى مصر وشاع خبر رحيله فتعجب الناس من ذلك كل العجب لجهلهم بالسبب ورجع كل من اولاد الشيخ ظاهر وزعماء عائلة الى بلاده ولما فهم عثمان باشا برحيله عاد الى دمشق ووافاه الامير يوسف الشهابي فاكرمه عثمان باشاغاية الاكرام لانه كان متأهبا لنصرته فعظم شان الامير يوسف فى بلاده حتى اضطر عمه الامير منصور الى التنزل عن الحكم وتسليم الامور اليه لانه استمال وجوه الناس عنه واما ابو الذهب فانه لما وصل الى مصر تعجب علي بك من امره واستوضحه الحال فشكا اليه تصلف الشيخ ظاهر وخيانته وجرأة عشيرته وانهم عتاة مردة لا يفهمون للوفاء معنى ، وانهم كانوا يقتالون وخذلت جيوشه المتفرقة واسهب فى ذلك وعندها كتب علي بك الى الشيخ ظاهر كتابا يلومه فيه فاجابه الشيخ ظاهر مكـذبا ذلك كله وجعل ولده عثمان رهينة عنده فيما اذا ظهر ان الامر على خلاف ما يقوله واظهر استياءه الشديد من ابي الذهب لانه تملك الشام ثم تركها بدون سبب وعند ذلك انتفت الشبهة من نفس علي بك وتحقق خيانة ابي الذهب ثم ان ابا الذهب جعل

يستميل الناس بالمال فاجتمع عليه شطر منهم واظهر امره وخرج الى صعيد مصر واقام فيه (١)

واقعة البحرة او واقعة الحولة

واما عثمان باشا الصادق فانه بعد مارجع الى الشام اخذ يعد العدة للانتقام من زعماء عاملة ومن الشيخ ظاهر العمر ، فزحف بجيش مؤلف من عشرة الاف مقاتـل وبجملة من القبائل العربية وكان مع الباشا باشة حلب وباشة مرعش ، وعسكر على جسر بنات يعقوب في الاردن فالتقاه الشيخ ناصيف والشيخ حمزة والشيخ حمـد العباس والشيخ علي الفارس بثلاثمائـة من الفرسان لاغير والتقاه الشيخ ظاهر العمر واولاده ووقعت الواقعة في رابع جماداول سنة ١١٨٥ هـ (٢) واجتاز ناصيف بمقام نبي الله يوشع (ع) فترجل عن جواده وزار المقام وكنس الحضرة الشريفـة بعمته بيده وكان الزعماء في ذلك العهد يلبسون العمائم وعمائمهم شالات الترم الايراني وقال ان رجعنامنصورين لابدمن تجديدعمارهذا المقام الشريـف (٣) ولما التقى الفريقان

---

(١) الشهابي ص ٨٠٨ وذكر الركوني ان عثمان خرج الى مصر بحرا مستاء من ابيه واذا صح هذا يكون ظاهر ارسل ولده بهذا الاسلوب لامر سياسي وراء المفاوضة مع علي بك

ـ ٢ ـ اعتمدنا في هذا التوقيت على الركوني دون الشهابي ومروة فانها وقتاه بغير مامر

ـ ٣ ـ الخال في المقدمة ولعل هذاالاضافة منه فانها لاتوجد في نسخ ـ

وحمي الوطيس انهار عسكر عثمان باشا انهيارا غريبا وانهزم هزيمة شنيعة ، ومازال القوم في اثر المنهزمين حتى رموا انفسهم في البحرة مع مايصحبونه من امتعة وحيوانات فمات اكثرهم غرقا لان الرعب استولى على الجيش فترك الاسلحة والامتعة وكل شيء وركب البحرة واما العرب فانهم فروا هاربين (١) وقيل ان ناصيفا وظاهرا هاجما قوات عثمان باشا فى ظلام الليل فاندعرت العساكر وقتل منها خلق كثير والقى الاكثرون انفسهم في بحرة الحولة طلبا للنجاة فكان نصيبهم الغرق وهرب عثمان باشا بنفر قليل (٢) وقتل في هذه المعركة ثمانية الاف من عسكر الباشا (٣) ولم

- رسالة مروة ويدل على هذا تمام كلام الخال (ره) وهو قوله فرجع وجدد بناءه وصغر الابار كما هي اليوم ووضع فيه الزيات ولايبعد ان تجديد بناء جامع قرية بليدة فى تلك السنة انتهى

- ١ - الركوني

- ٢ - الشهابي ص ٨٠٨ - ٣ - مروة فى رسالته قال مالفظه وسنة ١١٨٤ هـ ركب عثمان باشا على بلاد بشارة وعسكر على جسر بنات يعقوب فى الاردن فلاقاه ظاهر العمر مع ناصيف فكسروه وقتل من اصحابه ثمانية الاف غرقا فى بحيرة الحولة وتسمى وقعة البحرة وكسبوا من العسكر شيء كثير وفى تاريخها قيل سم هم غم انتهى وفى نسخة الفقيه ثمانين الف وفي نسخة الخال وكانت سنة قيل في تاريخها سم هم غم : واذا حسبنا هذا التاريخ كان ١١٨٥ وهو يصلح تاريخا لهذا الحادث على ماذهب اليه الركوني

بقتل من رجال العامليين الا رجل واحـــد اسمه الشيخ جبر من الحادثة وتعرف هذه الواقعة بواقعة البحرة وقد غنم الاميران المتحالفان ناصيف وظاهر في ذلك اليوم شيئاً كثيراً من المدافع والسيوف وبقية انواع السلاح ومن الخيل والجمال والبغال والقرا والاموال والامتعة والاطعمة واما البارود فانه احترق وناطحت شظايا الهب السماء وذهبت معنوية الحكومـة من نفوس الرعايا بعد هذه الحادثة وكان والي صيداء في تلك الايام درويش باشا ابن عثمان باشا الصادق فلما علم بهزيمـة ابيـه فر من صيداء الى دمشق واقام بها اياما ثم عاد الى صيدا وبعد وصوله تهدده زعماء عاملة فاستعان بالامير يوسف الشهابي فامـــده بمن يحرسه وجعل له درويش لقاء ذلك خراج بيروت والجبل عن تلك السنة واخيرا شدد الزعماء عليه فاخلاها ورجع الى دمشق وبعد وصول درويش باشا الى الشام ارسل والده عثمان باشا الى الامير يوسف الشهابي يحمسه على غزو العامليين واما الشيخ ظاهر العمر فانه بعد انتهائه من حرب عثمان باشا ارسل رسالة الى علي بك في مصر يعلمه الحال ومذ وصلته تأكدت لديه خيانة ابي الذهب فجمع علي بك كثيرا من العساكر واقام عليها اسماعيل بك وهو لا يعلم انه شريك ابي الذهب في الخيانة وامره في الخروج الى قتال ابي الذهب في الصعيد، فسر اسماعيل بك بذلك، ولما انتهى الى الصعيد كتب الى صديقه ابي الذهب وتفاهم معه وعادا الى مصر جميعا ومعهما الجيوش العظيمة فظن علي بك ان ابا الذهب دخل فى طاعته واظهر الارتياح لذلك، وخرج هو من مصر

قاصدا عكا ومعه الشيخ عثمان الظاهر فتلقاه الشيخ ظاهر العمر بكل اكرام ودخل به الى المدينة ، وجلس ابو الذهب على عرش مصر ونادوا باسمه واظهروا له الطاعة ، ولما اجتمع علي بك والشيخ ظاهر ارسلا كتبا الى ملكة المسكوب يسألانها الاسعاف على الدولة العثمانية بالمراكب الحربية ليسلماها لقاء ذلك الموانئ البحرية واقام علي بك ينتظر الجواب وكانت نيته امتلاك البلاد العربية من عريش مصر الى بغداد «١»

واقعة كفر رمان

او واقعة النبطية الثانية

الاثنين ١٢ رجب سنة ١١٨٥ هـ «٢»

ينبغي ان تعد واقعة كفر رمان من الايام المشهودة التي يتحدث عنها التاريخ العربي فانه مهما حدث عن شيء لا يحدثنا ان خمسماية بطل عربي يكتسحون عشرين الفا من اخوانهم على اقل الروايات وتسعين الفا على اكثرها غير ان يوم كفر رمان قد انطوى على مثل ذلك وفى هذه الحادثة روايتان نستحسن اثباتهما

-١- الشهابي ص ٨٠٩ غير ان كلامه هنا يقضي بانها وعداها مصر وفيما مضى بان علي بك وعدها بالموانئ البحرية

-٢- الركوني : واما الشهابي فانه زعم انها كانت في شهر ربيع الاول سنة ١١٨٥ هـ الموافق تشرين الأول سنة ١٧٧١ م

خلاصة رواية الشهابي (١)

لما انتصر زعماء عاملة « المتاولة » (٢) على عثمان باشا في حرب البحرة تطاولوا على اطراف جبل الشوف ومرجعيون والحولة فاتفق الامير يوسف وخاله الامير اسماعيل حاكم وادي التيم على غزوهم فجمع الامير يوسف جيشا يناهز العشرين الفا وسار به وعند وصوله الى جسر صيدا ارسل عقال الدروز بقيادة الشيخ علي جنبلاط للمحافظة على صيداء وسار بالعسكر الى جباع الحلاوة واحرق قرى اقليم التفاح اثناء مسيره وكان الشيخ حيدر الفارس يومئذ في جباع ففر من وجهه ولما انتهى العسكر الى جباع احرقها وقطع اشجارها وهدم بيوتها وبات هناك ليلتين ثم توجه الى النبطية فنزل على ينبوع المأذنة وبات هناك وفي تلك الليلة وافاه كتاب من خاله الأمير اسماعيل يطلب منه التريث في الحملة لانه وافاه كتاب من مشايخ المتاولة عن يد الشيخ ظاهر العمر يسألونه العفو عنهم على ان يقدموا له كل ما يريد ، فابت عليه مشايخ بلاده ، وزحف بعسكره نحو النبطية وكان عسكر المتاولة مجتمعا فيها وكان عندهم الشيخ علي الظاهر ، واحرق الامير في طريقه قرية كفر رمان فالتقته شرذمة من المتاولة في نحو خمسمائة فارس ووقع بينهم القتال فانكسر عسكر الامير يوسف كسرة هائلة لم يكن مثلها في عسكر آخر

- ١ - في تاريخه ص ٨٠٩ و ٨١٠

« ٢ » اسم للشيعة في جبل عامل وبعلبك خاصة لاحظ الجزء الاول ص ٢٤ من هذا الكتاب

على عهد هذه البلاد حتى ان كثيرا من العسكر مات تعبا وعطشا ومنهم من اختلت عقولهم فلم ينتبهوا لانفسهم ومنهم من القوا ثيابهم واسلحتهم غنيمة للعدو يشتغل بها عنهم وقيل ان رجلا علقت ثيابه بشجرة هناك فوقف الى ان وصلوا اليه وقتلوه ومات فى تلك الموقعة من عسكر الامير يوسف اكثر من الف وخمسماية قتيل ولو وصل اليهم باقي عسكر المتاولة لما سلم منهم احد واتفق فى ذلك الوقت وصول الشيخ كليب نكد ومعه رجال المناصف فناوشهم القتال في وعرة هناك واشغلهم عن العسكر المنهزم ؛ ثم وصل الامير اسماعيل فابعد المتاولة عن الشيخ كليب وارتفع القتال ، ولولا ذلك لم ترجع المتاولة عنهم حتى افنتهم لانهم كانوا كالغنم بين أيدي الذآب ولما رجع الامير يوسف ومن سلم من عسكره الى البلاد ضجت الارض بالبكاء وتسربلت النساء بالسواد حتى كنت ترى نساء البلاد كالغربان واما الشيخ علي جنبلاط وعسكره فانه انسحب من صيداء عند ما بلغته هزيمة الامير يوسف وقيل انه كان بين الشيخ علي جنبلاط والامير منصور والشيخ عبد السلام العماد وبين المتاولة مؤامرة ضد الامير يوسف ، حتى قيل ان الشيخ عبد السلام تواعد معهم ان ينكسر لهم امام العسكر وهكذا كان ، وغنموا في ذلك اليوم من اسلاب العسكر وخيله وسلاحه مالا يحصى ورجعوا سالمين غانمين .

خلاصة رواية العامليين (١)

« ١ » بقلم الاستاذ الشيخ احمد رضا العاملي النباطي نشرت فى مجلة ـ

في سنة ١١٨٥ هجـ مر في كروم « نيحا » مكاريان عامليان من قرية كفر رمان يحملان عنبا وطلع عليهما بعض دروز القرية وسلبوهما ما معهما من المال واتلفوا العنب وضربوهما ضربا مبرحا حتى تركوهما وقيذين وبعد مدة انسحبا على بغليهما راجعين الى كفر رمان ولم يلبثا ان ماتا متاثرين من الضرب فشكا اهلها الامر الى حاكم المقاطعة الشيخ علي الفارس المقيم يومئذ في قلعة الشقيف ومركز المقاطعة النبطية وسموا له المعتدين لان المكارين سمياهم لاهلها فكتب الشيخ علي الفارس الى الامير يوسف يساله ان يرسل الجناة اليه ليحاكمهم فماطل الامير يوسف وسوف في الجواب ولما يئس الشيخ من عدل الامير ومن اجابة طلبه انصرف عن الاستعانة به وبعد ذلك بمـــدة قليلة وجد اربعة رجال قتلى من دروز نيحا في المكان الذي سلب فيه المكاريان وضربا فرفع ابناء نيحا امرهم الى الامير يوسف واتهموا المتاولة بقتلهم فاستكبر الامير يوسف ذلك وثارت فيه نخوة الشباب واستشار شيوخ بلاده في غزو المتاولة وتاديبهم فاشاروا عليـــه بذلك واعلن الحرب على جبل عامل وسار اليه في جيش مؤلف من ثلاثين الفا على اقل تقدير وتسعون الفا على اكثر تقدير جمع من كل حدب وصوب بعد ان نشر الدعوة للحرب في كل البلاد واتخذ الشيخ علي الفارس للامر عـــدته فوضع حامية في قلعة الشقيف من ابناء عمه تحمي الحريم والنساء

ـ الكلية في بيروت في تموز سنة ١٩٣٠ ونقلتها مجلة العرفان في م ٢٠ ص ٣٢١ ونقلناها نحن حرفيا

واستنجد بالشيخ ناصيف النصار شيخ مشايخ جبل عامل وبالشيخ ظاهر العمر حاكم عكة وحليف المتاولة ولما بلغه زحف الامير بعسكره اليه جمع ماحوله من العسكر فكان الفا وخمسماية مقاتل وكتب الى الشيخ ناصيف بزحف الامير يوسف اليه وكان الامير في ذلك الوقت يصعد من صيداء الى جباع يحرق ماامامه من القرى ويدمرها تدميرا حتى بلغ جباع فاعمل فيها الهدم والحرق وقطع اشجارها وهبط الى النبطية فاقام ليلته في الطريق على ينبوع الميذنة على مسيرة ساعة من النبطية فاجتمع الحاضرون من مشايخ المتاولة بالنبطية في محل يسمى عريض القهوه شرقي البلدة وانما سمي عريض القهوة من ذلك الحين لاجتماعهم فيه وشربهم القهوة فقرروا استعجال الشيخ ناصيف والشيخ ظاهر العمر وارسلوا كشافة تكشف لهم خبر الجيش المهاجم فرجع بعضهم واخبر بقوته فامر به الشيخ والمجتمعون فحبس وجاء اخر يهونون امرهم فخلع عليه وماذاك الا ليشد عزيمة عسكره ويستبقي شعلة الحماسة في نفوسهم فقرر المؤتمرون ان لايبدؤا القوم بالحرب وخشوا بادرة الحماسة في عسكرهم فحجزوا الفا من العسكر في خان السوق بالنبطية واوصدوا دونهم الباب وكانوا بقيادة الشيخ حيدر الفارس اخ الشيخ علي الفارس وفي الصباح تقدم الامير يوسف بفرقة من عسكره الى النبطية فاجتاز كفر رمان بعد ان اتخذها مركزا لعسكره واتى النبطية من الشمال واحتل الضاحية الغربية منها ونصب خيمته تشع في اعلاها التفاحة الذهبية واصبح اهل النبطية والعسكر المدافع فيها ينظرون الى خيمة الأمير صباحا في

ضا حيتهم وكان الشيخ علي الفارس اعد فوارسه الخمسائة فتقدم نحو خيمة الامير بتعبئة حربية احاطت بجيش الأمير المحتل من ثلاث جهاته ودلفت ولكن الامير الذي كان هازئا بالمتاولة وعسكرهم مستخفا بهم راى مالم يكن يدور فى خلده فارتاع وعمد الى بغلته فركبها (١) بعد ان فر اكثر من كان حوله من عسكره الذين لشجاعة المتاولة فى نفوسهم هيبة كبرى وصورة هائلة وامر الشيخ علي الفارس جيشه ان لا يقطعوا الطريق على الامير يوسف حتى يلحق بعسكره المرابط فى كفر رمان وكان ذلك من التدبير الحربي لأنهم قبل وصول النجدة الى المتاولة لا يقدرون على الوقوف فى وجه الجيش المهاجم من قلتهم وكثرته وتعقب الشيخ علي بفوارسه فرقة الأمير يوسف وناوشها في القتال في المحل المعروف بالجزائر بين النبطية وكفر رمان ولما سمع المحجوز عليهم في الخان صوت البارود نقبوا الحائط وخرجوا منه (٢) وعلت الضجة واشتدت النخوة وكانت نجدة الشيخ ناصيف النصار ومعه زهاء ثلاثة الاف مقاتل قاربت النبطية فسمعت الضجة فاطلقت العنان لخيلها حتى اشتركت في هجوم الألف الذين هم بقيادة الشيخ حيدر الفارس

ـ ١ ـ وفى قصيدة شناعة العامية انه طلب منهم الحصان فذهلوا واتوه بالبغل

ـ ٢ ـ لايزال اثر النقب فى الحائط الذي اصبح داخلا فى دار حفيد الشيخ حيدر الفارس فضل بك الفضل نائب الجنوب ـ المعين ـ في الجمهورية اللبنانية

من جهة الجهة الجنوبية لجيش الامير ودارت رحى الحرب في المحل المعروف
بوادي ابونميم وبعد ان كان عسكر المتاولة مدافعا اصبح مهاجما وعسكر
الامير مدافعا وتحاجز العسكران عند المساء وفي الليل قسم المتاولة عسكرهم
عشر فرق فرقوها على رؤوس التلال توقد النيران الكثيرة واحيوا ليلهم
يتزاورون وينشدون الاناشيد الحربية حتى خيل للعسكر اللبناني ان الارض
حولهم استحالت عسكرا وبات عسكر الأمير بعد المتاريس للدفاع عن مركزه
لقاء هذه القوة التي ظهرت له كبيرة وطلع عليهم الصباح وقد امد الشيخ
ظاهر العمر عسكر العامليين بالف مقاتل بقيادة ولده الشيخ علي الظاهر
وامتد القتال طول اليوم الثاني وظهر الضعف في عسكر اللبنانيين وتحاجز
الفريقان ولم يطلع صباح اليوم الثالث حتى كانت الهزيمة فاشية في جيش
الأمير يوسف واعمل العامليون سيوفهم فيهم حتى صعدوا عقبة العرقوب
وانتشروا في هاتيك السفوح و كان الرجل منهم يعلق ثوبه باغصان الحراج
فيقول من الدهشة ياشيخ جب ارخيني خذ القبق والسكيني وصعد الأمير
يوسف منهزما في طريق جرجوع فلحقه احد الرجلين على اختلاف الرواية
اما الشيخ ناصيف النصار او الشيخ علي الفارس فلحقه في عقبة جرجوع
وقال له انني احترم مقامك وشبابك ولا يمنعني من ان البسك الفرو مقلوبا
وهكذا فعل و بلغت عدة القتلى من عسكر الامير يوسف ثلاثة الاف
وهنا اورد قصيدة شناعية العامية وفيها وصف هذه الواقعة الى هنا انتهى
ما كتبه الاستاذ رضا بلفظه

على هامش الحادث

ربما ينسى التاريخ ويحفظ الادب

لدينا قصيدة زجلية تاريخية تبلغ ٩٨ بيتا نظمت بمناسبه واقعة كفر رمان دونها الحال في المقدمة وهي قصيدة قصصية تمثل عصرا من العصور الخالية وترمز الى لغة الشعب الدارجة في ذلك الوقت ، والى الروح الوثابة التي كانت تجول في اعصابهم الثائرة المتهيجة

ان الحوادث العاملية باسرها غامضة ملء كلمة الغموض فانا لانعرف في جميع الحوادث احدا من القتلى ولا من القاتلين ولا من الذين باشروا الحرب ولا كيفية القراع والنضال ولكن واقعة الدولاب وكفر رمان لم تكونا كذلك بفضل الادب فقد وصف لنا شاعرا عاملة حملات الشيخ علي الفارس والشيخ محمود النصار في الدولاب وان خمسين فارسا طردوا الفي فارس وان رئيس الصفدين تنكس عن جواده عند ما ازدحم المنهزمون الى غير ذلك مما قرانه في شعر الحايصي والطيبي ، ووصف لنا شناعة حادثة كفر رمان في قصيدته الزجلية بصورة جلية لذلك آثرنا اثباتها على انها لاتتناسب مع لغة الكتاب ، فقد حدثنا شناعة عن عدد الاعداء وعن مللهم ونحلهم وبلادهم وعن الاماكن التي وقعت فيها القتلى وعن حصر الامير علي الفارس قوانه في داخل الحصن وعن هزيمة الامير يوسف وانه طلب الجواد ولكن من عظم الدهشة اتوه بالبغل واذا لم يصب الشاعر الواقع فانه اصاب ادب النكتة وحدثنا عن الدروز انهم اتخذوا

المتاريس عندما حمي الوطيس وان اولي الحل والعقد بعثوا رسولا الى الامير
ناصيف يستحثه على الاسراع في انهاء الحرب قبل ان يتم تحصين القوات
الدرزية ويحدثنا ان النخوة تشعبت في اعصاب ناصيف وتجلت بكل مظاهرها
وانه القى كلمة حماسية على مسامع جنده افتتحها بالاستغاثة برسول الله صلى
الله عليه واله وسلم ثم نادى باعلى صوته ابن حماة الاعراض ابن الاسخياء
في اليوم العصيب فاجج نار الحمية في نفوس الابطال فتناخى حماة الجيش
من كل جانب ، وان محمودا ندب اخاه ناصيفا للحملة من الجهة الشمالية فلباه
ولما هم بالحملة قبض الغلمان على اعنة جواده ومنعوه من الانطلاق فصاح بهم
ناصيف صيحة ارهبت الاعداء واستلفتت انظارهم واخيرا تغلب الجواد
عليهم وطار به كانه عاصفة وبيد ناصيف صفيحة بيضاء تمطر الاعداء حمما
يحصد بها الهامات وينثر الأكف والايدي والى جانبه بطل العامليين اخوه
محمود ينظم الكلا بالمثقفة السمر وان الشباب ضربوا نطاقا حول ناصيف وظللوه
بالسيوف والرماح ، وفدوه بالانفس والارواح ، فكان ناصيف كلما اجتاز
بجانب زعزعـــه وكلما توجه الى مجمع اقتلعه فما هي الا حملتان واذا بالجيش
الدرزي يستغيث من حملاته وترتعد فرائصه من سطواته ، حتى اختلت
عقولهم كما يحدثنا الشهابي ثم انهزم الجمع وولو الدبر ويحدثنا ان الحملة الأولى
كانت في طريقه الى الجهة الشمالية وانه كان يتقصد الفرسان المرابطين على
رؤس الروابي والا كام وان الحملة الثانية كانت على معظم الجيش وبعد
ذلك قامت الصيحات في جيش الدروز وحدثنا شناعة ايضا ان الامير

يوسف حاول ان يخدع العامليين فانه طلب منهم الصلح ويظهر ان ذلك لم يؤثر شيئا فانه سماه مكرا محمولا في جراب ومما يلفت النظر ان اللغة العاملية في ذلك العصر تشبه اللغة العراقية الدارجة اليوم فان كثيرا من مفردات القصيدة لا يفهمها الامن يتذوق لغة العراق وهذا يدلنا على ان الانفصال حصل في الزمن الاخير ؛ كما ان الشاعر قد كرر كل قافية مرتين مع اختلاف المعنى واذا فاته ذلك فلم يفته لزوم مالا يلزم (القصيدة)

قال ولد مربع في بياتو شكل ... في زمان كل احواله شكل
سائلوا من كان داري بالامور ... تاتشوفوا ايش محصوله شكل
وقعة صارت على جيش الدروز ... رحت انشد عاذلي عنها وسل
واشرح اللي صار فيها بالقريض ... واقترحها لاجل ما صار وحصل
عسكر جروه عا ديرة جباع ... كالجراد وقايده ليث وفحل
ولد ملحم راعي الحظ المنيف ... لا عقود ام العلى بيده يحل
قادها من حمص لا ديرة حما ... لا قرايا الشام صيراته وصل
من ارض بيروت للشوف العريض ... من بلاد جبيل كم فارس وصل
وانحدر بجموع ما الهم عدد ... يا جميل الستر من هذي الملل
شي دروز وشي يهود وشي قرود ... وشي انصاري وشي اكرادوشي ملل
ما تأخر جيشهم الا وصل ... عا بلاد جباع خلوها سهل
يا رجال الشوف ملون الفجاج ... حريهم وعلاج ما ظني سهل
رايدين لا ديرة بشاره جميع ... لا صفد وبلادها ساحل جبل
ما يعرفون الظاهري الظاهر زعيم ... عز من بذراه للحنى جبل
كيف نسيوا صولة الزير العنيد ... ينصر المظلوم ناصيف اعتدل
ويم الويح من غارة هذول ... سائلوا عثمان باشتهم عدل

كل حامي ديرتو صعب المراس   والقرايا دونها خيل ووهل
دونها من كل غطريف علاج   طالعو بالسعد عالزهرا اهل
يا دروب الخيل صفوها جموع   حصنوا البارود فى ذاك المحل
خيل مثل السيل وقروم تريع   كم وكم ديرات ادعوها محل
واعتقد ناصيف عا كل الجموع   صار مثل الليث اسرع من قتل
كم وقايع قبل هذي يحدها   كم شوارب حزها بيدو وفتل
مثل مير الشوف يوسف يوم صال   لا عرب صاليم عالوادي نزل
في عساكر عدها تسعين الف   او تزيد عداد خوفي من الزلل
جاهلين الحرب ما يدرو الزمان   خايفين الدهر وصروف النكل
شايلين المكر معهم فى الجراب   حيث ان العلم دزونه قبل
لا علي تروح لا عند الأمير   تايجير الصلح ونعاود قبل
واعقبوا بجموع يبغون المراد   عاكفر رمان فاتوا بالعجل
لا يحيط المكر الا بالجنود   مدفع الباغين قصر بالعجل
رايعين حصارنا وسط الجدار   ليش مير لصال ما يدري الفشل
من يغالط عزوة الزير العنيد   جرح قلبه كل ما ينقض فشل
ثارت النخوات في روس الرجال   واعتلوا الزانات من فوق الجبل
هون طاب الموت واختار الجبان   ما بها للبين والواشي حيل
وانتخى محمود لا ناصيف اخوه   لا علي الفارس تحدر كالجبل
شفت اخو زينب كريم شبه ذيب   ينتخي للكل يحملهم حمل
شفت اخو يسرى واسعد كالفهود   شفت عباس العلي يوم حمل
طالبين العون من رب العباد   ان يحل السعد فى ذاك المحل
وانتخى ابراهيم لا قاسم مراد   كان ابن دبور فكاك العقل
من قفاهم خيل صارت كالغيوم   هزبري لو كان حاضر ما غفل

واشتهر ناصيف لما يعرفوه   صار مثل الطود يهوي ان تزل

شفت ذاك الساع للفعل المهول   والخصيم اللي يغالطهم أضل

يا علي الفارس يعارك بالجموع   شبه ليث صال واسرع من بطل

بعد هذا احجمت جمع الدروز   للمتارس عمرها بالعجـل

ارسلو الصوات لاناصيف يقول   ان هذا الامر ما عاد يتمهل

انتخى فى الحال ناصيف العنيد   صار مثل السبع يهدر كالجمل

او كبت حوله رماحو كالغيوم   يا كرم ايوب ياما قد فعـل

انتخى محمود برمحو بالجموع   قال يا ناصيف امض من شمال

ذاك كان بالرأي مالو من شبيه   غير عباس العلي نعم البطل

نهضة الحكام لا سحب السيوف   سيدها ناصيف يا نعم البطل

كان يوم مر من يوم الفراق   عالدروز الكمر واليهم نزل

شوف خيل الزير فاتت عالظهور   شبه غيم طافها ساحل جبل

والكواخي قاضبة رأس الحصان   خايفين عالشيخ من ذاك الملل

وهو يهدر بينهم مثل البعير   او كسبع هاج فى روس القلل

من كثر ما هاج ارخوا للحصان   ارعب العدوان فى كثر الصهل

هاجت الصبيان في سحب السيوف   او كبت خلفه كغيث لو نزل

سيفهم ناصيف يا نعم العقيد   شاهرا للسيف فى يدو نصل

او كبت خلفه فوارس كالغمام   شاهرات سيوف بيديهم نصل

شاهراً للسيف في يدو اليمين   طارح الابطال فى روس التلل

والذي منهم سياج الناقضات   ذاك اخوه الليث محمود الخصال

ناقلا الرمح في كف اليمين   مردي الفرسان فيه بالعجل

صال فى العسكر يميناً مع شمال   يا اخوه الزير يهدر كالجمل

اظلم الافاق من كثر العجاج   شوف لمع السيف يبرق بالعجل

صاح مير الشوف هاتولي الحصان … من عظم ماشاف نسيوا للبغل

وارتعب من حين شاف الخيل اجت … افقست كالرعد لو جاد وهطل

سيفها ناصيف يا نعم العقيد … شاهراً للسيف فى يد ونصل

صاح باعلى الصوت يا جد الحسين … اين اهل العرض وارباب البذل

جردون الحدب برماح طوال … وانطر بن الخيل واصطكت شمل

اول المشوار لا علج الطريق … وثاني المشوار للقارح شمل

واذهل العقال رقص الصافنات … من ظهور الجيد يخفون الصقل

قامت الصيحات فى جيش الدروز … يا جميل الستر من هذا البطل

شبه ليث مذ اتى لينا سريع … يا خيوله شبه غيث لو هطل

هون شفت الفعل من سيدي يبان … جاد اخو محمود فيها قد فعل

كم طريح راح من كفو ينود … من جناب السيف دلاله فعل

ما يفوت المير ديرتنا حرام … لو نبت من فوق طربوشه نخل

جاش يا اهل الخيل باطل يا قروم … كلمن يوزم لا عظمو نخل

راح مير الشوف مقتول ذميم … علقت بذراه نيران الشعل

اين مير الشوف يوسف اين راح … الذى للحرب راكبلو بغل

ما فطن لا حرب محمود الزعيم … راح قلبو ممتلي منهم دغل

شاف قومه قفوهم خيل تزوم … كاشحات شاب شلتهم شلل

يحسبون الحرب هو بيعة حرير … ويش جاب الحرب لا غزل الشمل

شيخهم بالواد فاتونه خصيط … بفرا السمور وجميع الثقل

قصروا الخطوات منهم بالصعود … هر ولوا والكل صايبهم ثقل

والذي ما فات منهم قول مات … والسليم يقول عمري ما بصل

هون عشرة وهون مية واقعين … حالبين عيونهم مما يصل

ذاك بالوادي وهذا في البطين … والذي مشهور منهم فوق تل

خمت القيعان منهم والفـلا من كثر ما صار عالبيدا قتل
ذاك بو جرجين هذا بو ثلاث صابهم هدلان واكثرهم هزل
راحت العقال صابهم صراع ما يعرفون الجد من بعض الهزل
من كفار الشوف تدعس في رمام لاقفا جرجوع ما قالوا دخل
وصل لا جزين يوسف واستراح عرف قوى البأس منه وانشغل
يا وقعة ما مثلها ظنى يصير يضربوها عاد في الدنيا مثل
نالها ناصيف كساب الحميد مسقي العدوان من حنظل وخل
الفتى ناصيف ماله من شبيه بالمراجل فاق عاكل المال
في بني متوال ماظني يصير مثل ناصيف الاسد نعم البطل
صوته كالرعـد عند الازدحام يزعج الابطال يهتز الجبل
ذاك ستر لابني متوال جميع صانها بالسيف ساحل مع جبل
ومن بعد ذا نذكر محمد بالصلا احمـد المبعوث لاكل الملل
مع ذويه الغر انوار الهدى حجة الرحمن عا اهل النحل

واقعة صيداء

الخميس ٩ ربيع الاول سنة ١١٨٦ هـ «١»

---

١ - وقتها الركوني بهذا التوقيت ثم ضبط هذه الواقعة وما قبلها بقوله كان بين وقعة الباشوات في الحولة ووقعة كفر رمان مع الدروز خمسين يوما ، وبين وقعة كفر رمان ووقعة صيدا مع الدالي خليل والدروز ثمانية اشهر الا يومين ، واما الشهابي فقد عدها في حوادث سنة ١١٨٥ هج وزعم انها كانت نهار الثلاثاء في رجب واما مروة فانه عدها في حوادث سنة ١١٦٦ هج فهو يوافق الركوني

بعد ما انهزم عثمان باشا الصادق الكرجي تلك الهزيمة الشنيعة في حرب البحرة ، حاول اضعاف العامليين بالقاء الفتنة بينهم وبين جيرانهم فاغرى الامير يوسف، فى اعلان الحرب عليهم وبعدما فشل الامير يوسف فى حرب كفر رمان استولى ناصيف وظاهر على صيداء وكان ناصيف قد طرد درويش باشا منها قبل ذلك ، بعد ذلك كله تحقق عثمان باشا انه لاطاقه له بمقابلة زعماء عاملة وحليفهم الشيخ ظاهر ، فرفع عريضة الى الدولة العلية ، يذكر فيها تمردهم ، وتملكهم ايالة صيداء ، فحضر كتاب شريف الى الامير يوسف بالقيام لحرب الشيخ ظاهر والشيخ ناصيف ، وبذلت له الدولة لقاء ذلك المال السلطاني المرتب على بيروت والجبل في تلك السنة بعنوان نفقة عسكر ، وكانت الدولة مشغولة في تلك الايام بحرب الدولة المسكوبية ، وفي هذه السنة توفي عثمان باشا الصادق الكرجي في دمشق فتولاها بعده عثمان باشا المصري ، وكان قد خرج ساري عسكر على عربستان فكتب الى الامير يوسف يامره بجمع العسكر لحرب زعماء عاملة وارسل اليه الدالي خليلا وزير كوت سابقا وحضر معه احمد بك الجزار ومعهما الف فارس ومدافع وزنبركات وذخيرة ، وعند وصولهم الى عين السوق تلقاهم الامير يوسف الشهابي ابن الامير ملحم بكل اكرام وجمع عساكر بلاده وساروا جميعا الى حصار صيدا وكانت عساكرهم اكثر من عشرين الفا فاقاموا على حصارها سبعة ايام وتضايق احمد آغا الدنكزلي المغربي الذي اقيم فيها يوم دخلها ناصيف وظاهر في ١٥ رجب بعد انتهاء الحرب فى كفر رمان بلا فصل وفى اثناء

هذه المدة رجع اكثر عسكر الدروز الى بلادهم فسكن روع احمد آغا وقد ذكرنا ان علي بك وظاهر العمر كاتبا ملكة المسكوب وطلبا منها ان تمدهما بالمراكب ، فاتفق وصول المراكب في ذلك الوقت الى عكا وهي خمس مراكب كبيرة وجملة مراكب صغيرة ، وبمجرد وصولها الى عكا ارسلها الشيخ ظاهر الى صيداء وكان عسكر الامير يوسف والدالي خليل لايزال محاصرا صيداء فاطلقت المراكب عليهم المدافع فانسحبوا الى حارة صيداء وارسل الشيخ ظاهر كتابا الى الامير يوسف يطلب منه ان يحضر بعسكره الى جسر صيداء ليجري الاتفاق بينهما هناك والا نا جزهم الحرب هو والشيخ ناصيف وبقية زعماء عاملة فابى الامير يوسف فسار اليه الشيخ ظاهر وزعماء عاملة وجملة فرسان من الغز الذين كانوا مع علي بك فكان عددهم ينوف عن عشرة الاف مقاتل ولما وصل العسكر الى براك التل الذي هو قرب سهل الغازية بالقرب من مدينة صيدا وضع اثقاله هناك وبات تلك الليلة في ذلك المكان وفي صباح ٢٢ ايار الموافق شهر رجب نهار الثلاثاء من سنة ١١٨٥ هـ التقى العسكران في سهل الغازية فضربت عساكر الدولة عساكر المتاولة الغز بالمدافع والزنبركات فقتل منهم نحو مائة قتيل وهجم الدالي خليل واحمد بك الجزار على القوم ونشب بينهم القتال فانكسر عسكر الدروز من خلفهم وهجم الغز الذين هم مع علي بك وفي مقدمتهم علي بك الطنطاوي وكان من اشجع غز مصر ودام ضرب السيف بينهم برهة فانكسر عسكر الدولة وقتل منه نحو خمسماية قتيل وانقلب راجعا الى دمشق

فكان عسكر الدروز الذين معه يسلبون من عسكر الدالي خليل والجزار مايقدرون عليه من سلاح وغيره وعند رجوع الامير يوسف الى دير القمر جمع بعض المسلوبات وارجعه للدولة ورجع الدالي خليل ومن معه الى دمشق وهو يذم الدروز بكل شفة ولسان ولولا الدالي خليل ما سلم احد من الدروز والدولة فى تلك الموقعة فانه فعل في ذلك اليوم افعالا تعجز عنها الاسود (١) وهناك رواية اخرى انفرد بها الخال رحمه الله تعالى في المقدمة (٢) فانه بعد ما وقت الحادثة بسنة ١١٦٦ ﻫ وذكر ان عسكر الامير يوسف والدالي

---

(١) هذه رواية الشهابي واما الركوني فانه قال فى عاشر صفر سنة ١١٨٦ ﻫ كان ظاهر العمر متجها الى بلاد الشقيف للاجتماع بعسكر الشيعة المتوجه الى حرب الأمير يوسف في ارض صيداء فاستطرق على الحولة ونهب مواشي اهل الهوارة وبات على عين الذهب وعبر جسر خردلة الى بلاد الشقيف وجائت المراكب فى البحر الى ملاقاتهم وفى يوم الخميس ٩ ربيع اول صارت وقعة عظيمة بين مشائخ الشيعة الشيخ ناصيف وبقية المشائخ والشيخ ظاهر وغز مصروبين الدروز والدالي خليل وقتل من الدروز اكثر من الف وخمسماية رجل وغنموا غنيمة عظيمة منها مدافع الدروز والدولة انتهى : واذا لاحظنا رواية الشهابي من دعوى الحصار سبعه ايام وتفرق بعض الدروز وغير ذلك وجدنا انه يمكن التوفيق بينها وبين رواية الركوني كما ان قول الشهابي عساكر المتاولة الغز الخ يدلنا على ان الغز كانوا في مقدمة الجيش العاملي وان القتلى كانت منهم

(٢) ذكر الخال جملة من الحوادث في المقدمة اسندها الى المخطوطات ـ

كان مؤلفا من شوفيين وبعلبكيين وغز واكراد وان الغز والاكراد كانوامع الدالي خليل والجزار وان الامير يوسف كان امير الجيش باجمعه وان الغاية من هـــذه الحرب امتلاك صيداء وبلاد بشارة فقط وبعد ما اورد قصيدة شناعة الهائية الآتية قال : قيل لما توافق العسكران فى سهول صيداء راى العامليون ان جيش الامير يوسف اكثر عددا وعدة لكثرة الرجال والسلاح فصنعوا مكيدة لالقاء الرعب في قلب القائد العام الامير يوسف فدخل احد الفدائيين في عسكر الامير يوسف، بشكل سائل غريب ولما جن عليه الليل دخل خيمة الامير يوسف من ظهرها ووضع خنجرا فوق راسه ثم خرج ، فاحس به الحارس فانسل الفدائي وكفأ عليه قدرا من قدور العسكر حتى سكن عنه الطلب فخرج كما دخل

وقيل ايضا ان الشيخ علي الفارس سار مع جماعة فى ظلمة الليل متكتمين واحدا واحدا واجتمعوا في نقطة معينة اتفقوا عليها وقرروا بينهم علامـة يعرفونها ثم تفرقوا حول عسكر الاعداء واطلق كل واحد منهم عيارا ناريا من بندقيته وضرب من كان امامه بسيفه وانسلوا راجعين فظن عسكر الشوف ان هجوما مدبرا باغتهم وكان ظلام الليل قد ارخى ستره ، فاختبط العسكر في الظلام وجعل يضرب بعضه بعضا فلما اصبحوا سرى فيهم الفشل وهجم عليهم عسكر العامليين بغتة وثارت الثائرة فكانت الغلبة للعامليين

— وذكر جملة اخرى اسندها لما سمعه من المرحوم والده والمعمرين من مجاوريه ولعل هذه الرواية من القسم الثاني

وحليفهم الشيخ ظاهر العمر الذي امدهم بعسكره وكانت عساكره بقيادة ولدية علي وعثمان وابني عمه اسعد واحمد ﴿ ١ ﴾ فانهزم الدالي خليل والجزار والامير يوسف ، ولشناعة الشاعر العاملي الزجلي فى ذلك العهد قصيدة بمناسبة هذا الحادث نستحسن اثباتها لأنها تحفظ كثيرا مما نسيه التاريخ وهي ماخوذة من المقدمة الخطية التي هي بقلم الخال رحمه الله تعالى

واما عدد القتلى من الطرفين فقد اختلفت فيه الروايات فقيل انه قتل من الدروز اكثر من خمسماية كما فى رواية الشهابي وقيل اكثر من الف وخمساية كما فى رواية الركوني وقيل ثلاثة الاف كما في رواية مروة واما من قتل من عسكر العامليين فقيل مئة قتيل كما في رواية الشهابي وقيل غير ذلك كما فى رواية مروة ﴿ ٢ ﴾ لاحض الهامش واليك قصيدة شناعة

ـ ١ ـ المقدمة

ـ ٢ ـ قال مروة ما لفظه : وركب الامير يوسف على بلاد المتاولة من صيدا الى جبع وصارت الوقعة فى كفر رمان الى جرجوع وقتل من الدروز ثلاثة الاف ومن المتاولة ١٥ رجلا وكان مع الدروز الوالي (؟) خليل والجزار انتهى مافى نسخة العرفان والمظنون انه سقط سطر او اكثر من قلم الناسخ واما نسخة الفقيه ففيها بعد قوله ثلاثة الاف وفى سنة ١١٨٦ ﻫ صارت الوقعة فى صيداء بين المتاولة والدروز وقتل من الدروز ثلاثة الاف ومن المتاولة ١٥ رجلا وكان مع الدروز الوالي (؟) خليل والجزار واما نسخة الخال ففيها بعد قوله ثلاثة الاف وانتصرت المشايخ وفي سنة ١١٨٦ ﻫ صارت الوقعة في صيدا بين المتاولة والدروز ـ

يقول المرجي من ضميرو	بيوت من الذ كافيها بناها
على ماصار في بيوت القوافي	معاني يطرب الفاهم لغاها
ويذكر وقعة صارت بصيدا	جموع وماها حد تراها
من الشوف العريض ومن بعلبك	جراد (؟) قد غشى ثراها
لفا الجزار والدالي معاهم	كراد وغز مانفهم لغاها
ولانعرف كواخي من امارا	ولانعرف توابع من لفاها
عقيد الكل مير الشوف يوسف	بقومو صار للحارا وأجاها
وقال اليوم نملك باب صيدا	ونملك ديرة بشارا معاها
حتم ناصيف بالجيرة وزمزم	برب البيت والمختار طه
مزالي جاذب السرعين بيدى	بلادي ماالحد غيرى يطاها
ونبه عارجالو مع ابطالو	أسود الحرب ياما اصعب لقاها»
حلف محمود (١) بالدين المعظم	ورب العرش والياسين طه

ـ وقتل من الدروز ثلاثة الاف ومن المتاولة قليل قيل مائة وخمسة عشر وكان علي الدروز الوالي ـ ؟ ـ خليل والجزار انتهى والنسخ كلها عبرت بالوالي خليل والصواب الدالي خليل والدالي في اللغة التركية بمعنى المجنون وكان في طبع خليل خفة ومن اجل ذلك لقب بهذا اللقب والاتراك لايستنكرون من هذه الالقاب ذكر ذلك الشهابي ص ٨١١ وقد تعرض الى واقعة صيدا في ص ٨١١ وص ٨١٢

ـ ١ ـ محمود هو ابن نصار الاحمد اخو ناصيف النصار ومحمد النصار ومراد النصار. اما مراد فانه خلف قاسما المعروف بقاسم المراد ولانعرف ـ

مازالي ناقلا للرمح يدى — بني منوال في عز وجاها
علي الفارس تفرس بالفضايل — بلاد ومن العدا د وما حماها
علي الفارس شديدالباس صعب — جموع الضد في سيفو محاها
وقاسم سترها يوم الهيازع — اذا شح الندا قاسم نداها
وعباس المحمد كان حاضر — برمحو جال بالميجا وجاها
وعباس العلي ذيب المشاتي — اخو شيرى بنيرانو حماها
مشاعيل الطراد اولاد واكد — على خيل ذدت عنها فلاها
حفا يوم انى الاصوات صايح — اتوا من كل نج ومن فلاها
فتام كل واصول غشمشم — حماة الصور بو محمد فتاها

ـ احفاده واما محمد فقد خلف جماعة منهم عباس المحمد المشهور وحمزة المحمد وعلي المحمد وعلي المحمدخلف جماعة منهم عباس العلي المشهوروواما محمود النصار فقد انجب ولدين اولهما حمد البك وكان سيد العرب فى عصره ولم يترك عقبا ثانيهما محمد البك وتوفي قبل اخيه حمد البك ولم يخلف الا اسعد البك وتوفي اسعد البك وترك ولدا واحدا وهو علي بك الاسعد الشهير فعاش علي بك تحت ظلال جناحي عم ابيه حمد البك وكانت ذرية بطل العامليين الشيخ محمود النصار قدانحصرت به فانجب علي بك ثلاث بنين منهم شبيب باشا وانجب شبيب باشاعلي نصرة بك الأسعد المتوفي قريبا وكان كل من علي بك وولده شبيب وحفيده علي نصرة من مشاهير الرجال على عهد الدولة العثمانية وانما ذكرناهذا حفظا له لاننا على وثوق منه ولانه يشتمل على التعريف بجملة من ابطال هذه الوقائع الذين ذكرهم الشاعر الزجلي والركوني

مجمل حوادث سنة ١١٨٥ ه وما بعدها

في ١٨ صفر من سنة ١١٨٥ ه استقبل زعماء عاملة ابا الذهب الى جسر بنات يعقوب واشتركوا معه في حرب عثمان باشا الصادق والي الشام وهزموه ، وفي هذه السنة شيع زعماء عاملة الشيخ مقبلا الى عكا عند ما كان متوجها لحج بيت الله الحرام (١) وفي اول جماد اول غزا زعماء عاملة مع ظاهر العمر الى جبل نابلس وفي ١٨ جماد اول كانت واقعة البحرة التي مرت مفصلة ، وفي رابع رجب ركب ظاهر العمر الى راس العين وجاء الغز ومعهم عشرون مركبا بحريا واطلقوا المدافع قرب صور وفي نهار الاثنين ١٢ رجب كانت واقعة كفر رمان او واقعة النبطية الثانية التي مرت آنفا وفي ١٥ رجب بعد انتهاء واقعة كفر رمان دخل الشيخ ناصيف والشيخ ظاهر الى صيداء ونهباها واحرقا اقليم الخرنوب وامر الغز بالاقامه في صيدا وتسلمها احمد اغا الدنكزلي المغربي من قبل ظاهر العمر وفي ٦ شعبان ركب ظاهر العمر الى راس العين بعسكره وتجهز زعماء عاملة لغزو الدروز وتحدوهم فلم يحرك الدروز ساكنا وكاتبوا ناصيفا وظاهرا وتفرقت العساكر وفي نهاية شوال غضب ظاهر على ولده عثمان وارسله الى مصر بحرا الى عند علي بك ، ومن اجل هذا يقول الشهابي احتال على ولده عثمان

ـ ١ ـ للان لانعرف مقبلا ولم يحدثنا عنه الركوني غير هذه المرة ومرة اخرى فانه حدثنا بانه ذهب لزيارة الأئمة في العراق ولا نستبعد ان يكون اخا قبلان

وارسله الى علي بك رهنا كما قدمناه (١) وقال الشهابي ان زعماء عاملة والشيخ ظاهر اصبحوا يتطاولون على اطراف بلاد الدروز ، مثل اقليم الخروب واقليم جزين اكثر من الاول و كان الشيخ كليب نكد قد رجع من حاصبيا الى دير القمر فركب الى قرية برجة وغزا المتاولة في قرية علمان فهزمهم ومنعهم عن الحضور الى اقليم الخروب وتلك الاطراف (٢) واما عثمان باشا الكرجي الصادق فانه توفي قبل حادثة صيدا وتعين مكانه عثمان باشا المصري «٣» وفي نهاية ذي الحجة ركب الشيخ ناصيف الى جبل نابلس هو والشيخ ظاهر العمر وقيل جرت حرب بينهم وبين اهلها :

وفي سنة ١١٨٦ هـ في ١٠ صفر استطرق ظاهر العمر على الحولة ونهب مواشيها وبات على عين الذهب وعبر جسر خردلة الى بلاد الشقيف لملاقاة عساكر العامليين المتجهة الى حرب الامير يوسف في صيدا ولاقتهم المراكب

ـ ١ ـ لخصنا هذا كله من كتاب الركوني وقد اشار الشهابي لشطر منه واختص الشهابي بتسمية متسلم صيدا وبدعوى انه تسلمها من قبل ظاهر وينبغي ملاحظة هامش ص ١٠٦ من هذا الكتاب

ـ ٢ ـ لاحظ تاريخ الشهابي ص ٨١١

ـ ٣ ـ كان عثمان باشا الكرجي من مماليك اسعد باشا العظم و كان اسعد باشا يقربه لنباهته فلما توفي اسعد باشا ضبطت الدولة امواله واخبرهم عثمان بخزائنه ثم وجدوا قائمة فيها فكانت مطابقة لكلامه فلقب بالصادق وانعمت عليه الدولة بثلاثة نياشين ثم اصبح واليا مكان مولاه لاحظ تاريخ الشهابي ص ٧٨٥

في البحر وفي ٩ ربيع الأول حدثت واقعة صيداء التي اسلفناها فانتصر العامليون وحليفهم ظاهر العمر وغنموا غنيمة عظيمة وفي ١٥ ربيع الثاني ركب الشيخ حمد العباس المحمد النصار والشيخ ابو حمد محمود النصار والشيخ ظاهر العمر مع علي بك الى جهة مصر لاجل حصار يافا وضربوا عليها الحصار نحوا من شهر ونصف وفي يوم الاثنين ١٦ جماد الثاني كبس الشيخ علي الفارس قرية آبل واخذ «عجالها» بقرها وقتل ١٥ رجلا وقتل عبد من عبيده اسمه زيتون والحاج حسين عليق وفي نهار السبت ١٩ رجب اجتمع العسكر في شحيم ثم تفرق بسبب ذهاب الامير اسماعيل الشهابي الى عند الشيخ ظاهر العمر وفي ٢٩ ذي الحجة ركب الشيخ ناصيف والشيخ عباس الى جبل نابلس «١» وفي سنة ١١٨٧ ه في صفر توجه محمد بك ابو الذهب من مصر بعساكره الى حرب استاذه علي بك وذلك بعد حصار يافا في العام الماضي (٢) وعند وصوله الى غزة التقاه علي بك بجنوده ووقع القتال فانكسر علي بك كسرة هائلة وقتل علي بك الطنطاوي وسحقته الخيل حتى لم يعرف بعينه وجرح علي بك الكبير في وجهه جرحا بليغا وسقط الى

- ١ - هذا كله ملخص عن جبل عامل في قرن للركوني وقد ذكر الشهابي توجه علي بك مع عساكر الشيخ ظاهر العمر الى الديار المصرية في تاريخه ص ٨١٤ ولم يصرح باسماء العامليين

- ٢ - الركوني ولكنه لم يحدثنا عن نتيجة هذا الحصار واما الشهابي فانه لم يشر للحصار ولا الى توقيت حوادث الحركات بين علي بك وابي الذهب ونحن اعتمدنا على الركوني في ذلك كله

الارض واخذ وقدم الى ابي الذهب فانكب ابو الذهب عليه وقبل يده وبكى واقبلت السناجق والكشاف يقبلون يديه وحضروا به الى مصر واحضر له ابو الذهب الجراحين ولما اوشك ان يبرأ دسوا له السم فى الجرح فمات « ١ » ولما قتل علي بك الطنطاوي وجرح علي بك الكبير انهزمت الجيوش التي صحبته من عاملة وبلاد صفد وقتل منهم الشيخ صليبة ابن الشيخ ظاهر العمر :

وفى هذه السنة نهار الاربعاء ٢٦ صفر توفي الشيخ عباس ابن الشيخ محمد النصار وفى ٢٠ ربيع اول توفي الشيخ علي منصور « ٢ » واما المراكب المسكوبية التي حضرت واقعة صيداء واعانت العامليين على طرد الدروز والدالي خليل فانها توجهت بعد انتهاء الحادث الى بيروت فافتتحوها ونهبوها ولما انتهى الخبر الى الامير يوسف، تجهز برجال بلاده الى حدث بيروت فارسل اليه ساري عسكر المراكب يطلب منه نفقة عسكر ليسافر عن المدينة فارسل له ٧٥٠٠ قرش فاخذها وعاد الى عكا ثم ان الامير يوسف

ـ ١ ـ الشهابي ص ٨١٤ ولنذكر لمحة عن حياة ابي الذهب ليعرف القارئ علاقته بعلي بك فى سنة ١١٧٨ هـ كان محمد بك خزندار عند علي بك وفى هذه السنة البسه سنجقا وكانت عادة الغز حين يلبس احدهم السنجقية يخرج من دار استاذه وينثر الفضة على الخدم ولكن محمدا هذا نثر الذهب عند خروجه بدل الفضة فلقب بابي الذهب الشابي ص ٧٩٠

ـ ٢ ـ الركوني هو الذي اشار للهزيمة ولوفاة الشيخ عباس والشيخ علي منصور ومقتل الشيخ صليبة

اعلم عثمان باشا المصري بذلك فارسل نائبه محمد اغا ومعه الجزار ومعهما ثلثمائة نوتي الى مدينة بيروت وتسلم الجزار بيروت من قبل الامير يوسف لانها تحت حكمه وعند قدوم الجزار الى بيروت اطلق عليه ابو عقلين المغربي الرصاص فاصاب عنقه فقدم له الامير يوسف الجراحين وعالجوه حتى برئ ثم ان الامير يوسف طلب من عثمان باشا رفع الجزار عن بيروت فابى عليه ومذ علم الجزار بذلك اصلح سور المدينة وتأهب للحصار ومنع الدخول الى البلد والخروج منها فلما علم الامير يوسف بذلك جمع عسكرا وحضر به الى قرية بعبدا وجعل يراسل الجزار ويذكره صنيعه فطلب الجزار الاجتماع به فاجتمعا في «المصيطبة» قرب المدينة «١» فاستمهله الجزار اربعين يوما فامهله ولما رجع الجزار زاد المدينة تحصينا ثم اعلن التمرد والعصيان وجعل المغاربة المقيمون في بيروت يغيرون على ضواحيها فيقتلون وينهبون فاتفق الامير يوسف مع الامير منصور وجمعوا العساكر وحاصروا بيروت واستعانوا بالشيخ ظاهر العمر فامدهم بالمراكب المسكوبية وكانت قد زادت على ان يسلموا ثلثمائة الف قرش اذا ملكوا بيروت واخذوا رهنا على ذلك الامير موسى ابن الامير منصور فحوصرت بيروت برا وبحرا اربعة اشهر واطلقت عليها المراكب ستة الاف مدفع دفعة واحدة فاضطر الجزار الى التسليم لنفاد المؤن فسلم عن يد الشيخ ظاهر فتسلمه وكيل الشيخ ظاهر ومن معه وسار بهم الى عكا ثم ان الجزار اختلس جمله بغال للشيخ ظاهر وسافر

ـ ١ ـ المصيطبة الان في قلب المدينة

ليلا (١) واما الركوني فانه ذكر ان مراكب المسكوب حاصرت بيروت في ٢٣ جماد اول سنة ١١٨٧ ه

واقعة القرعون

وبعد مافتحت بيروت وقع الاختلاف بين عثمان باشا المصري والامير يوسف فجهز الباشا عسكرا مؤلفا من خمسة عشر الفا وخرج به الى البقاع وضرب خيامه في بر الياس فجمع الامير يوسف عسكر بلاده وتوجه الى المغيثة وجرت بينهم جملة وقائع فاستنجد الأمير بالشيخ ناصيف النصار فسارع ناصيف لنجدته وقاد فرسانه بنفسه ومذ وصل الى القرعون وفهم بذلك عثمان باشا هرب ليلا بعساكره الى دمشق تاركا اكثر المبرة والذخائر والمدافع وعند الصباح حضر عسكر الامير الى القرعون واخذوا ماوجدوه

-١- هذا كله ملخص عن الشهابي ص ٨١٢ و ٨١٣ و ٨١٤ ولنذكر للقارئ لمحة من حياة الجزار لاننا سنحدثه عنه في نحو من ثلاثين سنة بعد هذا التاريخ : الجزار رجل عاتي جاء الى مصر وخدم في بيوت الحكام ولبس لبس المماليك ثم ان عرب الهنادي قتلوا سيده عبد الله بك فقتل منهم كل من قدر عليه وكان من بينهم اربع مشائخ وملا ذكره وسمي الجزار ثم فر على عهد علي بك الى القسطنطينية ثم سافر الى حلب وتجول في بر الشام واتصل بعثمان باشا المصري وحضر واقعة صيداء لاحظ الشهابي ٧٩٧ و ص ٧٩٨ و ص ٨١١ وقيل في شأنه غير هذا كما في غير تاريخ الشهابي

واحضروا المـــدافع الى قلعة قب الياس وطلب الامير الاجتماع بالشيخ ناصيف « للاكرام فاجاب بما أنه لم يبق حاجة لايمكنه المكث وانثنى راجعا الى بلاده ورجع الامير يوسف الى دير القمر » وصارت بينه وبين زعماء عاملة محبة عظيمة وزالت من بينهم الاحقاد القديمة واخذوا على بعضهم العهود والمواثيق « ١ » واما الركوني فانه يقول فى ٢٥ جماد الثاني سنة ١١٨٧ ه توجه الجزار بعسكر عظيم من الشام لحرب الدروز وان الشيخ ناصيفا والشيخ ظاهرا توجها معـا الى جهـة صيدا وفي نهار السبت توجهت العساكر الى مرجعيون ثم الى البقاع لمعاونـة الدروز ولما اقبلت عساكر ناصيف وجنوده وفهم بها جندا عثمان باشا طار في الليل تاركا المدافع والخيام وسائر المعدات والالات وكان مع العاملين علي الظاهر وبعد فرار الجند زحف على الظاهر وكان مع العامليين على قرى الشام ونهبها وفى نهار السبت ٢٢ رجب انعقدت جمعية بين ناصيف والدروز في وادي صيدا وتمت المعاهدة (١)

وذكر الشهابي ان عثمان باشا طلب من الدولة الصفح عن الشيخ ظاهر العمر على ان تكتب عليه ايالة صيداء ويؤدي الاموال المتاخرة فاجابته الدولة بالموافقة وكتب عثمان باشا رسالة الى حكام المقاطعات ومنهم الامير يوسف وقبل الامير يوسف بذلك مرغما لانه لم يحب ان يكون تحت امرة

- ١ - الشهابي ص ٨١٨ وص ٨١٩
- ٢ - الركوني

الشيخ ظاهر وكان تاريخ الكتاب في ٢٧ ذي الحجة سنة ١١٧٦هـ «١»

اسباب انقراض حكم ظاهر العمر واولاده

وفي سنة ١١٨٨هـ نهار السبت سادس محرم توفى محمد البدوي بن عباس العلي وفي نهار السبت ١١ صفر ركبت خيل بلاد بشارة والشومر والشقيف مع ظاهر العمر على بني عدوان عرب الوكر وفي نهار الخميس سادس ربيع الثاني سافر الزوار مع الشيخ مقبل «٢» وفي هذه السنة عزل عثمان باشا المصري عن دمشق وتولاها محمد باشا العظم وفيها وصل القبجي وكان يحمل كتاباً من الباب العالي للشيخ ظاهر العمر يتضمن العفو المؤكد عنه وكان تاريخه في ذي القعدة سنة ١١٨٨هـ فتأهب الشيخ ظاهر لدفع الأموال المتخلفة عليه وكان في ذلك الوقت يحكم صيدا وعكا وحيفا ويافا والرملة وجبل نابلس وبلاد نابلس وبلاد اربد وبلاد صفد، وفيها رفع ابو الذهب عريضة للدولة تتضمن ما كان من علي بك وظاهر العمر وطلب الرخصة في تأديب ظاهر واسترجاع الأموال التي غنمها من معسكر علي بك فاذنت له الدولة بذلك فتوجه بجيش يربو على الستين الفاً فسارت الدعاية امامه فكان له منها قوة اخرى فكان الناس يقولون ان الجمال المخصصة لنقل الجنود ثلاثون الفاً وان قطار النقل بين مصر وفلسطين ثلاثة وانه خصص

«١» الشهابي ص ٨١٦.

«٢» الركوني في جبل عامل في قرن.

لكل قطة عشرة آلاف بعير وانه يصحب معه معامل لصنع المدافع . ان المدافع تصنع له على القدر الذي يريده من الصغر والكبر ، وقد بلغت هذه الدعاية منتهاها فقد وجلت منه جميع سكان سوريا ، واخلوا صور وصيداء وبيروت بمجرد وصوله الى يافا وفر زعماء الدروز الى الجبال ومثلهم اهل نابلس وغيرهم (١) وكان ظاهر قد حصن يافا بالرجال والمدافع وكان المتسلم فيها الشيخ كريم الأيوب ابن الشيخ ظاهر فاغلق الابواب واحاطت بها عساكر ابي الذهب من كل مكان . واستمر الحصار ستين يوماً ، ثم تملكها الغز بالسيف ولم يسلم من اهلها الا القليل وقبض ابو الذهب على الشيخ كريم الأيوب واحضره معه الى عكا ثم خلع عليه واطلقه فلحق بالشيخ ظاهر وقبل وصوله الى صور مات كمداً ثم توجه ابو الذهب الى عكا ، ففر الشيخ ظاهر الى صيدا ثم رجع من صيداء الى صفد ثم فر ومعه اولاده ونقله الى عرب عنزة ، فارسل احمد اغا الدنكزلي رسالة الى ابي الذهب يعرض فيها طاعته ، فاقره على صيدا وكان متسلماً فيها من قبل ظاهر ثم احضر الشيخ ناصيف النصار الى مقابلة ابي الذهب وصحب معه عشرين حصاناً من جياد الخيل وقدمها له فطيب قلبه وامره بالاقامه عنده ليثما يحضر

---

(١) عدد الجند وماقبله نقلناه عن الشهابي ، وحديث الجمال والمدافع نقلناه عن الركوني ، وقضية هزيمة الزعماء واخلاء المدن تعرض لها كل منهما .

جميع زعماء عاملة ، هذه رواية الشهابي «١» واما الركوني فانه قال :- في سنة ١١٨٩ هـ نهار الخميس ١٤ من المحرم وصل القبجي من اسلامبول الى صيدا في طلب ميرة خمس سنين ولاقاه جميع المشايخ القواطعجية الى عكا الى عند الشيخ ظاهر العمر وفي نهار السبت نهاية المحرم توجه جميع المشايخ الى استقبال ابي الذهب في غزة بخيلهم ورجالهم بطلب من ظاهر العمر ، وفي يوم الأثنين ثاني صفر توفي الحاج يوسف ابن الشيخ مشرف «٢» وفي هذا الشهر ارسل المشايخ القادم والذخيره الى باشة الشام وفي ١٧ ربيع الأول وصل الخبر باستيلاء ابي الذهب على يافا ثم جاء الى عكا وفر الشيخ ظاهر الى صيدا ثم رجع الى صفد على ماقيل وفي نهار السبت رابع ربيع الثاني سافر الشيخ ناصيف الى عكا للاجتماع بأبي الذهب فاكرمه اكراماً زائداً ، وكانت شفاعته لديه ماضية في كل مايريد وقيل أن ظاهراً فر هو واولاده الى عرب الطيار المقيمين في الباديه ، ثم امر ابو الذهب بهدم صفد فهدمت ، وخافته البلدان القريبة والبعيدة ، ثم توجه الشيخ قبلان لمواجهة ابي الذهب في عكا وبينما كانت الناس منه في وجل عظيم واذا به صريع القدر ، وكان ذلك في ليلة الجمعة عاشر ربيع الثاني سنة ١١٨٩ هـ فتنادى عسكره بالرحيل وحملوا جثمانه محنطاً ، ورجع الشيخ قبلان والشيخ

«١» في تاريخه ص ٨٢٤ وماقبلها .

«٢» لايبعد ان يكون الحاج يوسف ابن صاحب المزرعة المتوفي سنة ١١١٤ هـ لاحظ ص ٦٦ من هذا الجزء .

ناصيف سالمين غانمين (١) ولما عاد المشايخ ارسلوا سرية قليلة ليتسلموا صيدا من السنجق المقيم فيها ويخرجونه منها طوعاً او كرهاً، فتحصن فيها وقُتل منهم خمسة عشر رجلا وقال لا اخرج الا بامر سلطاني وفي يوم السبت ثامن جماد الثاني توجه الشيخ قبلان لمواجهة محمد باشا العظم باشة الشام، وقبل وصوله علم بان ظاهر العمر قد هوجم مرة اخرى (٢) وذلك انه عندما بلغ الدولة موت ابي الذهب تجهز حسن باشا غازي في العمارة الهمايونية وحضر الى يافا وكان الشيخ ظاهر قد رجع الى عكا وعندما وصل حسن باشا الى يافا ارسل الى الشيخ ظاهر فرماناً يشتمل على المطالبة بالاموال المتأخرة واعطاء الامان وابقاء الايالة كلها بيده كما كانت من قبل، فعقد مجلساً لمداولة الرأي فاشار الدنكزلي بالموافقة وتبعه الشيخ ظاهر، واشار امين المال بالحرب قائلا ليس عندنا مال ليس عند الشيخ ظاهر جواب الا الخيل والرجال، فكان هذا النزاع اول الفشل لانه لم يفصل الخصومة بنفسه ولم يبت بالامر، ومن ثم خرج الجمع دون ان يتوحد اتجاههم، وذهب الدنكزلي

«١» هذه رواية الركيني واما الشهابي فانه قال قيل انه مات فجأة وقيل انه اختل قبل موته بساعات فكان يقول ردوا عني هذا المفترس وقد ذكر تاريخ وفاته شعراً وهو هذا «ارخت مات ابو الذهب» كما اشار الى ما غنمه ناصيف وبالغ فيه واشار للمعركة التي جرت بين الشيعة ومتسلم صيدا وذكر اموراً اخرى لاحظ ص ٨٢٤

«٢» هذا تمام حديث الركيني وهو يوافق توقيت مروة لانه جعل بين موت ابي الذهب ومجيء حسن باشا شهراً واحداً.

الذي اشار بالمسالمة اليوم وكان متسلم صيداء بالامس الى ارباب المدافع وافهمهم بما كان وخوفهم عاقبة الامر وامرهم باقفال المدافع واعلم حسن باشا بما كان واستحثه على القدوم فزحف حسن باشا بعمارته الى عكا وارسل الى محمد باشا العظم وزير القدس ان يزحف بعساكره براً ، وارسل من قبله وزيراً الى صيداء وطفق حسن باشا يطلق القنابل على عكا ولم يقابله احد فاصدر الشيخ ظاهر اوامره باطلاق المدافع على المراكب فامتنع المغاربة بحجة عدم جواز حرب السلطان وتحصنوا ولم يمكنوا احداً من المدافع، فعند ذلك جزع الشيخ ظاهر جزعا شديداً وفر هاربا فرماه احد المغاربة برصاصة في صدره عندما كان خارجا من باب المدينة فخر على الأرض قتيلا «١» وفر اولاده ملتجئين الى الشيخ ناصيف النصار ، فرحب بهم ، ثم دخل الجيش المحتل واستولوا على خزائنه فوجدوا عنده اكثر من اربعين الف الف غرش من النقود عدا الحلي والسلاح والخيل والتحف والذخائر التي من بينها دواة عزيز مصر وكانت قطعة واحدة من الزمرد ، وكان يمكنه ارضاء السلطة بمئة الف قرش ، وعندما استولى حسن باشا على المدينة ارسل اماناً الى اولاد الشيخ ظاهر وكانوا لم يزالوا عند الشيخ ناصيف النصار فخذرهم الغدر فلم يقبلوا ولما احضروا بين يدي حسن باشا امر بهم فاوثقوا

«١» وذكر الركوني انه بلغهم قتل ظاهر العمر يوم الثلاثاء في ٢٥ جماد الثاني سنة ١١٨٩ هـ وان رأسه حمل على اعمدة البواخر الى اسلامبول.

كتافا وهم المشايخ الاربعة عثمان وسعيد واحمد وصالح واما علي فانه لم يشترك معهم في شيء من الحرب والهزيمة وعندما تم امرهم جعل الشيخ سعيد ينال من الحكومة لغدرها بهم بعد الامان فامر بهحسن باشا فقتل وارسل اخوته الثلاثة مع رأس ابيهم الى القسطنطينية ؛ وبعد وصولهم انعمت عليهم الدولة فجعلت عثمان وزيراً في جدة واحمد وزيراً على مدينة في بر الروم (١)

وفاة بطل العامليين الشيخ علي الفارس

وفي سنة ١١٨٩ هـ نهار الاثنين ١٥ رجب توفي الشيخ علي الفارس بن احمد الفارس صاحب قلعة الشقيف وهو صاحب المواقف المشهودة في واقعة الدولاب وكفررمان وصيداء وغيرها ، وكانت وفاته في قلعة تبنين بعد عودته من بلاد صفد لانه كان في مواجهة محمد باشا العظم والي الشام وصيداء وكان نجي بلاد صفد (٢) وفي هذا اليوم توفي ايضاً الشيخ ابراهيم

(١) الشهابي ص ٨٢٦ وماقبلها.

(٢) الموجود في رسالة الاستاذ الشيخ احمد رضا التي ارسلها لنا المتضمنة لبعض الحوادث التاريخية انه توفي في قلعة الشقيف بعد حصار الجزار ولا نعرف مستنده كما ان صاحب العرفان وضع علامة استفهام على قول الركوني باشة الشام وصيداء ولم نعرف الامر الذي ينكره من رواية الركوني.

بن محمد حرب وفي نهار الخميس ١٨ رجب توفى الشيخ ايوب بن علي موسى حرب ، وفي شهر ذي الحجة توفى الشيخ فارس بن علي الفارس (١)

وفي سنة ١١٩١هـ كتبت ولاية صيداء على الجزار وعزل منها محمد باشا الذي تولاها من قبل حسن باشا غازي فغضب حسن باشا لذلك لأنه عين بدون مراجعته مع انه هو الذي يتولى بلاد عربستان ، ثم ان حسن باشا امر بقتل الدنكزلي الذي نصح له وخان الشيخ ظاهر العمر ، وفي هذه الايام وصل الى عكا ستمائة خيال قبيس وهم من وجاق يقال له «لاوند» وهم الذين يلبسون الطرابيش الطوال بعد ما موا وكانوا ستة عشر الفاً ولم يسلم منهم الا العدد الآنف فاقسموا شطرين شطر ذهب الى الجزار وشطر ذهب الى محمد باشا العظم لأن البرزين فهم كانوا مختلفين ، فافترقوا واتبع كلا منهم جماعة وكانوا من اشد الناس في الحروب وفي هذه السنة توجه الجزار للقضاء على الشيخ علي الظاهر وكان علي الظاهر منحرفاً عن ابيه واخوته ولذلك لم يشترك معهم في مآسيهم (٢) وكان الجزار يحكم صيداء وعكا ففتح دير حنا وهرب منه علي الظاهر ثم عسكر علي الظاهر في دنلما فوجه الجزار عسكراً لحربه فانهزم الجزار ثم عسكر علي في

---

(١) جبل عامل في قرن للركوني ولم نجد العدد الرابع من م ٢٨ من العرفان المتضمن لحوادث سنة ١١٩٠هـ وسنة ١١٩١هـ .

(٢) الشهابي ص ٨٢٨ .

«دبشوم» وفيها قتل «١» وقد اتفقت الرواية على ان القبسيس قتلوه ولكن المؤرخين اختلفوا في ذلك : قال الشهابي «٢» في هذه السنة جرت حروب كثيرة بين الشيخ علي الظاهر وبين عساكر الجزار وقتلوا ولديه الحسن الحسين وكان علي القيصرلي هو المقدم على القبيسي المستخدمين عند محمد باشا العظم وفي تلك الايام اتهمت الدولة محمد باشا بالخيانة والمفاهمة مع علي الظاهر فاراد ان يبرر موقفه لدى السلطة فامر القيصرلي بمراسلة علي الظاهر سراً وانه يحب ان يخدم عنده ويحارب معه ، ونظراً لما يعهده من العداوة بينه وبين القبسيس الذين هم عند الجزار رضي بذلك بعد ان استوثق منه بالايمان المغلظة ولما دخل القيصرلي واتباعه عليه قدم لهم القهوة فلوح بالفنجان وكان هذا التلويح رمزاً بينه وبين اتباعه للفتك بعلي الظاهر فوثبوا سراعا وقتلوه وانتهت سلطة الزيادنه . واستقل الجزار بادارة بلادهم وجمع منها اموالا لاتحصى ووضع ضرائب جديدة : وقال مروة ، ان الجزار ارسل اليه القبسيس ليخدموه فقتلوه وحملوا رأسه وهربت فرسه الى «صلحا» وبعد الواقعة احضر الشيخ ناصيف جثته ودفنه في «عيتاتا» وهذا يدلنا على انه قتل في المعركة غيلة لا كما يزعمه الشهابي ونحن نستقرب ان يكون شكل الخديعة بالنحو الذي ذكره الشهابي

---

(١) مروة في جبل عامل في قرنين .

(٢) ص ٨٣٢ وقد لخصنا الحديث .

والقتل بالنحو الذي ذكره مروة «١» ويقول الشهابي لم يكن في زمان علي الظاهر افرس ولا اشجع ولا اكرم ولا افصح منه ولا اكبر قساً حتى انه لم يزوج بناته أنفة من ان يقال بنت علي الظاهر لها زوج يأمرها وينهاها وقيل ان عبداً حاول مبارزته فترفع فالح العبد فاعترضه بالسيف فسار

«١» واما الركوني فلم نتمكن من الحصول على عدد العرفان المتضمن لحوادث هاتين السنتين ولننقل ما في رسالة مروة بلفظة وفاء بالوعد قال :
وسنة ١١٨٩ هج جاء ابو الذهب الى يافا حاصرها ففتحها وركب على صفد وهربت حكامها وواجهه ناصيف في عكا وامنه فرجع الى بلاده فما كان الا شهر واحد حتى جاء حسن باشا فحاصر عكا وقتل ظاهر العمر فيها وفي سنة ١١٩١ هج حكم الجزار في عكا وصارت باشوية ففتح دير حنا فهرب منه علي الظاهر فاخذ اخوة علي وحبسهم في عكا فرجع حسن باشا واخذهم الى القسطنطينية وبعد ذلك عسكر علي الظاهر في علما من بلاد صفد فركب عليه الجزار عسكراً وباتت الغلبة على العسكر ثم عسكر في « ديشوم » فارسل اليه الجزار عسكراً برسم انهم قبسيس ليخدموا عند علي الظاهر فقتلوه واخذوا رأسه وهربت فرسه الى « صلحا » وبعد الواقعة احضر ناصيف جثته ودفنه في عيناثا وسنه ١١٩١ هج ركب الجزار باشا على صيدا وكبس مزارع اقليم الخروب حتى وصل «جون» وروم ونهب «دير المخلص» وصار جراد عظيم فغلت الاسعار فبيع مد القمح بقرش وخمسة والرز بقرش وربع والشعير مد الاربع بقرش انتهى وفي نسخة الفقيه والخال والشعير مدين الاربع بقرش انتهى .

جواده قليلاً ثم وقع نصفه الأعلى وثبت النصف السفلي على الجواد ويقول الامير حيدر انه رأى بناته تسألان الناس الصدقات ، وليكن في هذا عظة لذوي النعم والرفاه والعزة والكبرياء فان الله سبحانه بالمرصاد .

وفي سنة ١١٩٢ هـ رحل المشائخ النكدية الى عاملة هرباً من المال المتخلف عليهم وهو مائة الف قرش ونزلوا ضيوفاً على الشيخ ناصيف النصار فقبلهم بكل اكرام «١» وفي يوم ٢١ شعبان من هذه السنة ركبت خيل المتاولة اجمع الى البقاع الى الدروز وفي يوم الاثنين ٢٢ شعبان ركبت خيل المتاولة على عرب الطيار ، وفي غرة ذي القعدة ركب الشيخ عقيل ابن الشيخ ناصيف النصار لتعزية اولاد الشيخ علي جنبلاط بابيهم ، وفي يوم الثلاثا ١٦ ذي الحجة توفي الشيخ محمد العلي بن علي منصور منكر في جبع «٢» وفي يوم السبت ٢٠ ذي الحجة صار بين الجبلية والجزار وقعة فانهزم الجزار وقتل من « حرفيش » و « جب جنين » قدر ثلاثين . «٣»

استشهاد ابي حمد الشيخ محمود النصار الأحمد

او واقعة الرقاد سنة ١١٩٣ هـ

في سنة ١١٩٣ هـ استنصر عرب الصقر وعرب السردية وعرب بني صخر بالشيخ ناصيف النصار على خصومهم بني حسن المرؤسين لآل المزيد وكان آل المزيد قد استنصروا بالحكومة وكان اسم رئيسهم فاضل المهنا

«١» الشهابي ص ٨٣٥ . «٢» لاحظ ماذكرناه ص ٨٥ من هذا الجزء . «٣» الركوني في جبل عامل في قرن .

فامدهم ناصيف بجيش ذي عدة وعدد وتوجهت الجيوش يوم السبت تاسع ربيع الأول فالتقى الجمعان في نهار الاثنين الحادي عشر من ربيع الاول من سنة ١١٩٣ هـ في (الجيدور) من اعمال حوران على مقربة من (الحارة) وكان نهر الرقاد يفصل بين القوات المتحـــاربة وكانت هذه الواقعة في فصل الشتاء وقـــد استمر المطر ثمانية ايام بلياليها واشتد البرد وتوحلت الارض وكثر الضباب ومل الناس من الانتظار فجازف ابو حمد واجتاز النهر والظاهر ان الفرسان كانت تجتازه احادلولما اجتازه وهو مثقل باعباء المطر والبرد والعبور وكان ذلك اليوم كثير المطر والضباب فانهال الفرسان عليه من كل جانب وهم لا يعرفونه ولم يجد مجالا للقتال ومذ تجلى الضباب وتكشفت الحرب تبين ان ابا حمد قد قتل وهكذا كان حال كل من عبر النهر ولم يجرأ بعده احد على العبور وكل من عبر النهر قتل وقد استشهد معه ابن اخيه قاسم المراد النصار صاحب قلعة دوبية ومائة فارس وقد قطعت الحكومة رؤسهم ورؤس من مات من البرد وجردهم اعداؤهم من اللباس وتركوهم عرايا مسلبين وعندما فهم بنوحسن بقتل ابي حمد ايقنوا بالهلاك والبوار ، وتهيأوا للفرار ، وطلبوا الفيافي والقفار ، ولما انتهى الخبر الى ناصيف هب للاخذ بالثار ، وطارد ما تيسر له من الفرسان واقتفوا اثر المنهزمين فدفداً بعد فدفد وكان المنهزمون يصلون الليل بالنهار لشدة خوفهم وكان ناصيف يسرع في اثارهم الى ان ادرك احدى المنازل و اثار النار لم تزل فيها فعلم انه قـــد

اقرب منهم فجد في السير والطلب ، ولما لاحت اشباح الغزات للمنهزمين ايقنوا بالهلاك والبوار فنجوا بانفسهم تاركين الاثقال والنساء والاطفال فانتهى ناصيف الى منازلهم ورأى اثار التسليم بادية ولم يجد في المنازل احداً من الرجال فعندها حملته سجاياه على العفو والاحسان فامر الفرسان باعتزال البيوت ونزل هو في بيت كبيرهم ودعا باكبر اولاد فاضل المهنا وكان له من السن دون العشرة فخلع عليه فرواً ثميناً ثم دعا باولاد الشيوخ والموجهين فخلع عليهم كلا بحسبه فضج الحي ومن فيه بالدعاء والابتهال وفي رواية مروة انه وجد ولدين مجدرين في الحارة لفاضل المهنا فخلع عليهما (١) وقد ارخ شاعر عاملة الشيخ ابراهيم يحيي وفاة ابي حمد فقال :ـ

اقول والنار في الاحشاء ساطعة   والدمع مابين منهل ومدرار
ياليت شعري اينجاب الدجى وارى   من المسرة شمساً ذات انوار

---

(١) هذه الرواية مستقاة من الركوني في جبل عامل في قرن ومن ديوان شبيب باشا ابن علي بك ابن اسعد بك ابن محمد بك ابن ابي حمد محمود النصار الاحمد في ص ٢١ ومن رسالة مروة فانه قال وسنة ١١٩٣ هجـ ركب ابو حمد على عرب عنزة فقتل هو وابن اخيه قاسم المراد ومعهم مائة فارس هكذا في نسخة العرفان والفقيه وفي وفي نسخة الخال هو ومائتا فارس على نهر الرقاد في الجولان فركب ناصيف من تبنين فهربت العرب فلحقهم للرمثة وقطعوا البرية ففاتوه هرباً فرجع فوجد ولدين صغيرين في الحارة لفاضل المهنا كبير العرب مريضين في الجدري فخلع عليهم ورجع للبلاد انتهى .

ويـفر الدهر عن يوم نصادف في تاريخه ثار محمود بن نصار

وقد كان ابو حمد يعد بالف فارس ومـواقعه في واقعة تربيخا وكفرمان مشهورة «١» وفي شهر ربيع الثاني من هذه السنة نهب الشيخ ناصيف بقر الزركشية التركمان وفي نهار الثلاثا ثلاثين جماد الاول توفي الحاج نصر الله ابن الحاج حرب من الصعبية وفي ليلة المبعث ٢٧ رجب تأهل الشيخ علي ابن الشيخ ابي ناصيف وفي ليلة الاثنين اطلقت المدافع في صور في وقت متأخر فظن اهل القرى ان صور كبست فركبت الخيل وزحفت الرجال فظهر ان هلال العيد ثبت بشهادة الشهود في ذلك الوقت «٢» وفي غرة رمضان جاء الامير محمد الحرفوش وسكن في قرية شحور وفي منتصف ذي القعدة جاء كليب بن ابي نكد وسكـــن في قرية ديردغيا .

وفي سنة ١١٩٤ هجـ في ٨ صفر توفي صليبة ابن الشيخ حيدر فارس وفي

«١» قال الشهابي في حوادث سنة ١١٩٧ هجـ ص ٨٤١ و ٨٤٢ و كان عندهم يعني الشيعة ابطال لانطاق في الحروب ... الى ان قال قتل الشيخ ابو حمد و كان يعد في الحرب بالف فارس : وقد وقع في هذه الصحائف اشتباه من الشهابي لان اباحمد استشهد في سنة ٩٣ كما سمعت وله اشتباهات اخرى ههنا .

«٢» ولعل هذه الحادثة هي التي زعم الاستاذ رضا انها حدثت على عهد عباس العلي وينبغي ان تعد جميع الحوادث التي كانت في هذا العصر على عهد ناصيف لانه حاكم البلاد لاحظ ص ٣٤ من هذا الكتاب ج ١

جماد الاول كبس حيدر الفارس عرب القرية وقتل منهم رجلا وفي يوم الخميس ٢٥ رجب ركبت خيـــل الشيخ ناصيف الى عند الجزار الى عكا لمحاربة محمد باشا باشة الشام وفي هذه السنة انتقل الجزار من عكا الى صيدا وفي ٧ شوال بات عسكره على رأس العين وتوجه هو الى صيداء بحراً وفي هذا الشهر قتلت الدروز رجـلا من عنابة جبع ورجلين من بلاد الشقيف وفي هذه السنة انتقل الشيخ ابو صلية الحمادي الى مدينة صور وسخروا له دواب القرى والذي لم يرسل دابته يؤخذ منه مقدار كراها والقرية التي لم ترسل دوابها يؤخذ من اهلها قرشين او ثلاثة ويستأجر بها «١» وفي هذه السنة اجتاز الامير يوسف الشهابي بالشيخ ناصيف النصار وهو ذاهب الى عكا بعدما حلف اخوه الامير السيد احمد اهالي البلاد ولم يكن مع الامير يوسف الا خدمه والشيخ كليب نكد فتلقاه الشيخ ناصيف ونهاه عن النزول الى عكا وقال له انه يسلمه بلاد الشيعة ويكون هو تحت يده فما قبل الامير

«١» هذه الحوادث كلها منقولة عن الركوني : ويظهر ان المشائخ الحمادية كانوا كثيرين في عاملة ويظهر ان ابا صليبة شخصية بارزة وان الحكام يهتمون في امره ويرغبون في اسكانه في صور ومن ثم امروا الناس بنقل اسبابه واحتياجه الى هذا المقدار في امر النقل يدل على كثرة الاثاث واللوازم والظاهر انهم من عشيرة آل حمادي البقاعيين ومواقفهم مشهورة وتاريخهم حافل بالبسالة ومن احفادهم اليوم الزعيم اللبناني الكبير الامير صبري حمادي رئيس البرلمان اللبناني .

يوسف ولما وصل الى عكا استقبله الجزار واكرمه «١» .

وهذا الحادث يدلنا على ان ناصيفا كان متيقظا لحركات الجزار عالما بنواياه ساهراً على مصالح الاقطاع اللبنانية اجمع لانه كان يحاول قطع العلاقات بين الجزار والزعماء من جهة ويحاول اصلاح ذات بينهم من جهة اخرى .

وفي سنة ١١٩٥ هـ وتاريخها ، ظريفة ، «٢» صارت الجمعية بين الشيخ ناصيف والامير محمد الحرفوش في الطيبة من بلاد عاملة ؛ وركبت خيل الشيخ ناصيف مع الامير محمد الحرفوش الى بعلبك وفي ٢٠ من المحرم بلغنا ان الامير محمد الحرفوش خرج من مدينة بعلبك الى الشوف الى دير القمر ونزل على الامير يوسف الشهابي ، فقتل الامير يوسف اخاه افندي في دير القمر وذهب الى مدينة صيدا ثم الى صور واجتمع بالشيخ ناصيف في ٢٨ من المحرم ثم توجه الامير يوسف الى عكا لمواجهة الجزار وبقي الشيخ كليب في صور ومعه قدر ستين ، بواردي ، مسلحاً :

هكذا يقول الركوني ولعل هذا الحديث هو الحديث الذي رويناه عن الشهابي آنفا : وفي نهار السبت ثاني صفر كبس الشيخ حيدر الفارس

«١» الشهابي ص ٨٣٨ .

«٢» هذا التاريخ من صنع الركوني تحسب الفاء كما تكتب لا كما تلفظ ، وهذه السنة كانت عبرة بحق لانها اشتملت على اعظم عظة فبينما كانت ساطة العاملين فيها في اعظم صورها واذا بها هباء منثورا .

الزازات في صور ونهب مواشيها .

وفاة الشيخ عباس العلي

وفي ليلة الاربعاء في الحادي عشر من ربيع الاول من سنة ١١٩٥ ه
توفي الشيخ عباس العلي .

واقعة دير القمر

وفي يوم السبت ١٤ من ربيع الاول ركب الشيخ ناصيف والشيخ حمد العباس مع الجزار والامير يوسف على الشوف وكان ذلك في ٢٧ شباط وبمجرد وصول الخبر الى اهالي الشوف فروا هاربين حذراً من سطوة الشيخ ناصيف وجعل الامير يوسف يهدم الدور والقصور في المختارة وبعذران ، واما اولاد الشيخ علي جنبلاط فقد نجوا بانفسهم وتركوا جميع اقالمهم وفروا الى الريحان ورجعوا خفية الى عند فقهاء بيت الحر في جبع ليتشفعوا لهم عند الشيخ ناصيف فاجابهم الشيخ ناصيف بان هذا الامر يرجع للدولة ووعدهم يبذل المجهود ولما راجع الجزار في ذلك اجابه لما يريد بشرطين اولهما دفع الف وخمسمائة كيس وثانيهما اسكانهم في المكان الذي ترغب فيه السلطة وكانت هذه الغزوة اول غزوة يدخل فيها الجيش العاملي دير القمر محتلا ولم يدخلها قبل هذا الا ناصيف باشا سنة ١١٢٣ هج واخذ

زوجة الامير حيدر ام الامير ملحم (١)

وفي هذه السنة ركبت خيل المتاولة اجمع مع الامير اسماعيل على دولة الشام وكان الركوب يوم ٢٠ من ربيع الثاني وذكروا انها حدثت واقعة

---

١ الركوني في جبل عامل قرن ولا بأس بنقل قطعة من كلام الركوني لان فيها صورة عن ذلك العهد قال: وصل العسكر - يعني عسكر الشيخ ناصيف - الى جزين نحين وصل الخبر الى اهالي الشوف، بوصول عسكر الذين قلوبهم بحب الله مشغوف، زعق في الشوف غراب البين، ونادوا باجمعهم من اين الى اين، ووقع فيهم الرحيل والشتات، وخرجت المخدرات، في البراري هائمات، والرجل يفر من امه وابيه واخيه، وصاحبته وبنيه، خوفاً من المنية تلتقيه ... وارسل الامير يوسف ... الى الشيخ ناصيف المؤيد المسدد. نطلب من الله العظيم وشعيب النبي الكريم، ان لا يعدونا صاحب الهمة العلية، والنفس الزكية الرضية، ان رأيتم لائقاً في غيرنا غير مأمور على جنابكم الشريف تكفوا العسكر عن القتل والنهب والحريق لان البلاد بلادكم، والرعية رعيتكم، وامر جنابكم ماض علينا في الرخا والضيق ... الى ان يقول وكان قائلهم - يعني متكلمي الدروز وعقالهم - يقول والله سيدي شعيب ان مثلنا مع بني متوال كمثل السمرمر مع الجراد اذا حضر واحد منهم يهرب منه الف الى اخر هذا الحديث كله على هذا المنوال وهو مملوء بالدعاء لناصيف مما يدل على ان القلوب كانت تهجس بالعواقب .

عظيمة بين والي الشام ودروز راشيا في ارض الظهر الاحمر وفي هذه السنة في جماد الاول ركبت خيل المتاولة اجمع مع الامير يوسف ابن الامير ملحم الشهابي الى البقاع على اخيه الامير السيد احمد، واشترك والي الشام والجزار في هذه الحرب ويظهر من عبارة الركوني ان الجزار كان مع الامير يوسف ووالي الشام كان مع أخيه الامير السيد احمد وفي ٢٩ رمضان من هذه السنة قيل ان الشيخ ناصيفا كبس قريتين من الحولة ونهب مواشيهم (١)

واقعة يارون

— استشهاد شيخ مشايخ عاملة وحاكم البلاد الشيخ ناصيف النصار —

استشهد ناصيف النصار نهار الأثنين خامس شوال سنة ١١٩٥ هج (٢) والسبب في ذلك ان الجزار بعد استيلائه على فلسطين وبعد الجرائم التي ارتكبها فيها تيقن ان زعماء عاملة وجبال الدروز سوف يثأرون لاحوانهم ويأخذون الحيطة لأنفسهم وانهم يستعرضون الحوادث، لذلك اصبح منتهى همه امتلاك بلاد عاملة، لان الدروز كفوه مؤنة انفسهم بسبب الفتن الداخلية التي كانت قائمة بينهم على ساق لذلك كان امرهم هينا اضف

١ — الركوني. ٢ — اركوني ومروة.

الى ذلك انه اذا ابتدأ بمحاربة الدروز سوف لايتركهم العامليون لانهم عالمون بالنتيجة ، والدروز على العكس لان الخلاف الذي بينهم يمنعهم من معاونة الجيران : جعل الجزار يفرغ جهده في امتلاك بلاد بشارة وكان المتاولة متحصنين في القلاع مستعدين للقتال ، وهم ثلاث قبائل تحت رياسة ثلاث عائلات وهم بنو علي الصغير ومقدمهم الشيخ ناصيف النصار واخوته وبنو منكر فريق منهم مقدمه الشيخ محمد الحسن وعشيرته والآخر مقدمه الشيخ حيدر الفارس ، وكان عندهم ابطال لاتطاق في الحروب وكان قد جرى بينهم وبين الجزار وقائع كثيرة ولم يظفر منهم بطائل فجهز لهم في هذه المرة عسكرا عظيما (١) وساقه عليهم بغتة وعندما قارب حدود البلاد جاء النذير الى قلعة تبنين فخف الشيخ ناصيف الى المقاومة بمن معه داخل القلعة وهم سبعمائة فارس لاغير من دون ان ينتظر

---

(١) الشهابي ص ٨٤١ وقد وقع منه هنا عدة اشتباهات منها انه جعل الحادث سنة (١١٩٧ هج) ومنها انه جعل مقتل الشيخ ابي حمد في هذه الموقعة لانه قال وحمل الشيخ ناصيف في مقدمة العسكر فاصابته رصاصة في رأسه فقتل ثم قتل اخوه الشيخ ابو حمد وكان بعد في الحرب بالف فارس ومنها انه قال ان الجزار احتل قلعة هونين وبونين والصواب انه احتل قلعة تبنين ومنها انه ذكر ان الزعماء كلهم اشتركوا في حرب الجزار ومؤرخوا العامليين على خلاف ذلك كما ستعرفه انشاء الله تعالى .

اجتماع بقية القوات الرابطة في بقية القلاع فالتقى بعساكر الجزار الجرارة قرب قرية يارون الداخلة ضمن بلاد بشارة فاقتتلوا قتالا شديدا كاد ان يأتي على الجمعين ويفني الفريقين وكان ناصيف يباشر الحرب بنفسه وبينما هو يجالد الفرسان ويطاعن الاقران واذا بالقدر يرف فوق رأسه وعندما حمل على فارس كان يبارزه في المعركة واذا بفارس آخر زنجي اطلق عليه الرمح فاصابه بجرح فثبت له وانثنى كاراً عليه وضربه بالسيف فقتله ، وبينما هو كذلك واذا بثلاثة فوارس آخرين قد هجموا عليه ، فاراد ان يلوي عنان جواده نحوهم فزلت نعال الجواد على بلاطة ، صخرة مستوية ، فسقط هو والجواد فحمل عليه اولئك الثلاثة واطلق احدهم الطبنجا فاصابته وطعنه الآخر في صدره فغودر عند ذلك قتيلا ، وقضى الامر بين الفريقين وحمل ودفن الى جانب قرية يارون ؛ ولم يزل الناس يتبركون بقبره وبزيارته كما يتبركون بزيارة الشهداء هذه رواية شبيب باشا (١) واما مروة فان روايته مضطربة لانه مرة يزعم ان عسكر الجزار كان متوجها الى حاصبيا فظن ناصيف انه يريد بلاده فخف لمقاومته واخرى يزعم انه دخل البلاد عن مؤامرة بينه وبين الشيخ قبلان وجاء الاستشار بحكم البلاد (٢) ولما استشهد ناصيف حزنت عليه بلاد عاملة باسرها

---

(١) في ديوانه ص ٢٧ واما الشهابي فانه يقول حمل - ناصيف - في مقدمة الجيش فاصابته رصاصة في رأسه فوقع قتيلا .

(٢) قال مروة ما لفظه : وفي سنة ١١٩٥ هج ارسل الجزار

وحوصرت قلعة الشقيف شهرين وكان فيها الشيخ حيدر الفارس ، اخو الشيخ علي الفارس ، ثم سلم بعد الشهرين وهدم الجزار قلعة الشقيف وهرب المشائخ الى بلاد بعلبك وهرب الشيخ قبلان واخوته الى الشام : وجعل الامير اسماعيل يقبض اتباع مشائخ عاملة ومعتمديهم ويسلمهم للجزار ويعرفه بهم ويغريه فيهم ، ووضعت الدولة الضرائب على البلاد لجمعلت تجمع الخيل والسلاح ، وارتكب الامير اسماعيل فضائع جمة في هذا السبيل وكانت هذه السنة سنة خوف وجزع وذعر شديد ﴿ ١ ﴾ وهل قتل الشيخ حيدر الفارس بعد التسليم او لا ؟ وهل كان العامليون بعد استشهاد ناصيف مشغولون بالمقاومة والدفاع عن اخوانهم المحاصرين او انهم اشتغلوا باقامة المأتم ووقفوا ينتظرون عاقبة الحصار ؟ وهل اشترك الشيخ قبلان في الدفاع او لا ؟ كل ذلك لم يحدثنا عنه التاريخ ؛ ولم يزل في مرحلة البحث والتنقيب ولكننا نستقرب من توجه التهمة نحو الشيخ قبلان بالمؤامرة مع الجزار انه لم يشترك في هذه الحرب ، ولكن هزيمته مع اخوته الى الشام تدل على ان حاله حال بقية المشائخ ، ولعل خصومه من اتباع

عساكر الى حاصبيا لجاء الى يارون فظن اهل بلاد بشارة ان العسكر يريدهم فحضر ناصيف وصارت وقعة ناصيف وخربت البلاد وقيل ان عسكر الجزار حضر للبلاد بواسطة صاحب قلعة هونين وصار قتل ناصيف بواسطته وظن ان البلاد تصفي له فلم يبق على احد منهم اه .

(١) ملخص عن جبل عامل في قرن للركوني .

ناصيف وجهوا اليه هذه التهمة ليصرفوا انظار الشعب عنه فتكون لعبة سياسية محضة وهل احتلت قلعة تبنين بعد قتل ناصيف بلا فصل او لا؟ وهل احتلت القلاع التي بيد قبلان واخوته بعد ذلك بلا فصل او لا؟ ذلك امر لا نعرف عنه شيئاً كما لا نعرف عن المناكرة وقلاعهم شيئاً غير الكلمة الآنفة التي حكيناها عن الشهابي : ويظهر من استقراء الحوادث ان البلاد لم يكن فيها بعد ناصيف زعيم مطاع تخضع اليه ، وتعتمد عليه ، وان انظار الشعب لم تكن متوجهة الى شخص بعينه ، ويظهر ان الانانية وجدت مستنقعاً يساعدها على النمو ، وان ذلك كله اوجب سكون الزعماء وتحفظهم على السلامة ؛ وقد خسروا باجمعهم معاني الحياة باسرها ، لقاء المحافظة على معنى واحد من معانيها وهو الرآسة . وتزعيم الشيخ حمزة في سنة (١١٩٨ هج) مع وجود الشيخ قبلان يدلنا على ان الانظار كانت مصروفة عنه ، وانها لم تكن مصروفة الى شخص بعينه وان اولاد ناصيف واشباههم لم يكن لهم الكفاءة الكافية وربما يكون عدم تقديم الشيخ قبلان ناشئاً عن عدم موافقته على الحرب فان قبلان كان انبل شخصية بعد ناصيف ولكنه لم يكن ليركن للزعماء ولم يكونوا ليركنوا اليه وقد كان في ايام ناصيف متحيزاً عنه ، وكان الزعماء كلهم الى جانب ناصيف ، اضف الى ذلك كله ان حركات قبلان تدلنا على انه كان شديد الاتزان ، لايهون عليه اهراق الدماء ، وكان يتمنى الحكم المطلق من

طريق السلم ويهوى دفع الشر بيد غيره ... ؟

مراثي ناصيف

لم يصلنا شيء من مراثي ناصيف ذلك لان الظرف الذي خيمت به المصيبة على عاملة اعقبته مصائب جمة انست الناس كل شيء ، وان كنا نعتقد انها لم تنسهم ناصيفا ، وان قلوبهم الدامية ظلت تقيم له المآتم نحوا من نصف قرن وانها كانت تؤبنه بالذكريات الدامية ، والزفرات الحارة وقد نظم الشيخ ابراهيم يحيي وهو شاعر عاملة في ذلك العهد واحد المشردين عدة قصائد يرثي فيها عاملة ، ويبث بها صدى ذكرياته الؤلمة قال مؤرخا شهادة ناصيف .

قتل ابن نصار فيالله من	مولى شهيد بالدماء مضرج
وتداولتنا بعده ايدي العدى	من فاجر اوغادر او اهوج
هي دولة من البلاد الظلم في	تاريخها والله خير مفرج (١)

وله من قصيدة بعد تشريده يشرح بها ما جرى على عاملة بعد ناصيف

يقولون بعد الالف اعظم شدة	وقرب المدى عندي اشد واعظم
يعز علينا ان نروح ومصرنا	لفرعون مغنى يصطفيه ومغنم

(١) قال الامين في الاعيان والصواب بغير الواو قلت لتاريخ زائد حتى لو كان بغير الواو .

وكان لها من آل نصار صارم صقيل وسهم لا يطيش ولهذم
جواد جرى والسابقين العلى فجاز مداها والكرام تجمجم
ولا امتري ان الانابيب فضلها جلي ولكن السنان المقدم
قضى في ظلال المرهفات مطهرا واي شهيد لا يطهره الدم
فقدناه فقدان الصباح ومن لنا بطلعته الغراء والدهر مظلم
فجعنا به والشمس في رونق الضحى فلم نمس الا والبلاء مخيم
وعاثت يد الايام فينا ومجدنا وبالرغم مني ان اقول مهدم
ولست ترى الا قتيلا وهاربا سليبا ومكبولا يغل ويرغم
وكم عالم في عامل طوحت به طوائح خطب جرحها ليس يلئم
واصبح في قيد الهوان مكبلا واعظم شيء عالم لا يعظم
وكم من عزيز ناله الضيم فاغتدى وفي جيده حبل من الذل محكم
وكم هائم في الارض تهفو بلبه قوادم افكار تغور وتتهم

وهي طويلة وله ثانية مشهورة تقرن على السنة الادباء بحادثة الجزار اولها

من لي برد مواسم اللذات والعيش بين فتى وبين فتاة
ورجوع ايام مضين بعامل بين الجبال الشم والهضبات



حوادث سنة ١١٩٦ ﻫ وسنة ١١٩٧ ﻫ

في ربيع الثاني من سنة ١١٩٦ ﻫ جائنا خبر موت عمر الحمد في بعلبك وفي سنة ١١٩٧ ﻫ جائنا خبر وفاة الشيخ احمد – لعله حمد – ووفاة الشيخ حسين ووفاة عمر الحمد في بعلبك ووفاة عباس العلي في مدينة عكا «١» وفيها توفي حيدر الواكد في بلاد بعلبك وتوفي الشيخ ابو صليبي وولده علي في بلاد بعلبك «٢».

وفي هذه السنة جعل الشيخ علي خاتون يدور على القرى ويجمع الاموال ليسدبها (باصة الجزار) الغرامة المالية التي وضعها الجزار على البلاد، وكل ما بذلت له قرية شيئاً من دراهم او غلة يقول لاهلها احسبوه من الزكاة ويدونه في دفتر عنده، ويعطيه للدولة ويحيل الدولة على اهالي

«١» الركوني وحديثه عن حوادث هذه السنة مضطرب فهو يروي الحوادث غير جازم ويظهر ان الاخبار كانت شديدة القلق فانه وصل الى البلاد خبر وفاة عمر الحمد مرة في سنة ٩٦ واخرى في سنة ٩٧ كما ان عباس العلي توفي سنة ١١٩٥ ﻫ لاحظ ما ذكرناه آنفا ص ١٥٢ والظاهر انه سقط كلمة اولاد من الناسخ وانه يريد اولاد عباس العلي فقد ذكر في حوادث هذه السنة تاريخ ابتداء حكم بيت علي الصغير وانتهائه وان حمدا وحسينا واولاد عباس العلي توفوا في عكا في اسر الجزار لانه خدعهم وقبضهم.

«٢» لاحظ ماذكرناه ص ١٥٠ من هذا الجزء.

القرى هذا حديث الركوني وقد ذكر في حوادث هذه السنة شيئاً لهقيمة نستحسن اثباته قال ما ملخصه ، كان ابتداء حكم بيت علي الصغير من وقعة عيناثا سنة ١٠٥٩ ﻫ واستمر حكمهم الى ان استشهد ناصيف سنة ١١٩٥ ﻫ فيكون مجموع مدته ١٣٥ سنة ثم آل امرهم بعد ناصيف الى الفرار الى الشام وبعلبك والهرمل ثم ان الجزار ارسل الى الشيخ حمد العباس يطيب خاطره ويطلب منه العود الى البلاد فلما رجع هو وعياله واخوته قبضهم في عكا وحبسهم الى ان ماتوا في السجن وهم الشيخ حمد واخوه حسين واولاد عباس العلي ثم آل امر حريمهم وبقية عيالهم واولادهم انهم دارو في البلاد يشحذون ويطلبون من الناس ا.ﻫ.

وهذا الحديث يؤكد صحة ما ذكرناه في هامش الصحيفة الآنفة .

◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎

— واقعة شحور —

(نهار الثلاثاء ١٣ رجب سنة ١١٩٨ ﻫ « ١ »)

◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎

وفي سنة ١١٩٨ ﻫ وقعت حرب عظيمة بين الجزار والامير يوسف الشهابي ، وكان العامليون يقاسون الضغط وكان الزعماء مشردين يتحينون الفرص ، ولما تسامعوا بذلك جاؤا الى الامير يوسف فامدهم بالخيل

« ١ » اعتمدنا في هذا التوقيت على الركوني والشهابي واما

والسلاح وتوجهوا الى بلادهم « ١ » وفي هذه السنة نبل ذكر الشيخ علي الزين صاحب شحور فقام التاريخ العاملي يحدثنا عنه بانه قام في الامة العاملية رافعا عقيرته وناداهم للقيــام بواجبهم المقدس وتولى بنفسه ادارة مروة فانه عدها في حوادث سنة ١١٩٧ هـ ولننقل عبارة مروة وفاء بالوعد قال ما لفظــه : وفي سنة ١١٩٧ هـ جمعوا وحشدوا وكان المدبر الشيخ علي الزين صاحب شحور فرأسوا حمزة من بيت علي الصغير هكذا في نسخة الخال والعرفان وفي نسخة الفقيه وكان المدبر الشيخ علي الزين وفارس وحمزة من بيت علي الصغير : ونهضوا الى تبنين وقتلوا المتسلم وهرب الكاتب من بيت الايوب واخذ الدفاتر الى صيدا الى الجزار فارسل عسكرا الى شحور فقتل مقتلة عظيمة واخذوا اسرى وصلب حمزة في الخازوق وفي نسخة الخال مع جماعة من اكابر الشيعة : وفكوا الاسرى فهرب بيت الزين مع اولاد ناصيف الى الشام وتلددوا هناك خفية فقدر الله ان الجزار حــكم الشام ايضا فهربوا الى العراق ونزل اولاد ناصيف على حمد الحمود كبير خزاعة وفي ذلك الوقت صار حرب بين خزاعة وثامر الحمود شيخ عرب المنتفج وظهر من اولاد ناصيف كل شجاعة واقدام وخلص الشيخ علي زين احد اهل شحور الى الهند وصار وزيرا لاحــد ملوكها ونال عنده رتبة وحين ملك الانكليز هناك هاجر الى بلاده هـ .

« ١ » الشهابي ص ٨٤٤ ومؤرخوا عاملة لا يربطون هذا الحادث بحوادث بلاد الدروز ، وغير بعيد ان تكون فرصة سنحت فاستغلها الامير يوسف والعامليون ، هذا ليرهب عدوه وهذا ليستخلص حقه .

شؤون هذه الحركات وزعم الشيخ حمزة بن محمد النصار من آل علي الصغير وهو اخو عباس المحمد وعم حمد العباس المحمد « ١ » وضم اليه اولاد ناصيف واقام الحرب على ساق ، ففي يوم الاثنين ١٢ رجب سنة ١١٩٨ ﻫ اعلنوا الثورة فتوجهت القوات الى تبنين. فقتلوا المتسلم المقيم فيها من قبل الجزار وهرب الكاتب بالدفاتر وهو من بيت الايوب الى صيدا وفيها الجزار فارسل الجزار عسكرا الى شحور فوقعت الحرب فيها نهار الثلاثاء ١٣ رجب وقتل من الشيعة .قتلة عظيمة كما في رواية مروة وفي رواية الركوني قرب مائتي قتيل واخذوا جملة اسرى ونهبوا البلد نهبة عظيمة وحملوا رؤس القتلى الى صيدا وفي يوم الواقعة فرت الناس الى الجبال والاوعار خوفا من تنكيل الجزار « ٢ » ثم قتل الشيخ حمزة شر قتلة وقتل معه جماعة من اكابر الشيعة كما قيل واطلقت الأسرى وهرب الشيخ علي الزين مع اسرته واولاد ناصيف الى الشام واقاموا فيها ثم ان الجزار اصبح واليا على الشام سنه ١١٩٩ ﻫ ففروا الى العراق واقام اولاد ناصيف عند حمد الحمود شيخ الخزاعل واشتركوا معه في حرب دارت بينه وبين ثامر الحمود

« ١ » تقدم ذكر الشيخ حمزة في هذا الكتاب مرارا لاحظ ص ٨٦ ، ١٠١ ، ١٠٤ وقد حاول امورا قبل هذا التاريخ فاخفق كما اخفق في هذه المرة وهذه الظاهرة تدعو اللبيب الى الايمان بالحظ وتدعو المؤمن الى الاعتقاد بان كل شيء رزق من الله تعالى .

« ٢ » الركوني وقد بالغ في الخوف والذعر والفرار .

شيخ المنتفج واظهروا بها كل بسالة واقدام واما الشيخ علي الزين فانه ذهب الى الهند واستوزر بها ونال رتبة عالية ثم عاد لبلاده بعد احتلال بريطانيا للهند «١»

«١» الشيخ علي الزين هو جد اسرة آل الزين فان الزعيم القدير يوسف بك الزين هو ابن الحاج اسماعيل الزين ابن الحاج سليمان ابن الشيخ علي الزين وقبيله ينتمي الى الخزرج كما ذكره لنا المرحوم المبرور العلامة الشيخ محمد رضا الزين في رسالة خطية تحتوي على اثنى عشرة صحيفة وهي محفوظة كغيرها مما كتبه لنا اعلام المؤرخين من العامليين وقد كان احفاد الشيخ علي الزين مثال النبل والفضيلة فانهم جمعوا التقوى والجاه والثراء واعمال البر حتى كانت هذه الامور تتجلى فيهم اكثر منها في سائر البيوتات العاملية ولا يزالون كذلك حتى اليوم وقد وقد كتب لنا عمنا المرحوم هذه الرسالة في ٣٠ ج ٢ سنة ١٣٦٤ هـ ١٢ حزيران سنة ١٩٤٥ م وقد انتقل الى رحمة الله في ج ٢ سنة ١٣٦٦ هـ بعد ما جدد العهد بزيارة الأئمة في العراق وقد اقمنا له فاتحة حضرها اعيان العلماء والصلحاء ٠

**

** **

** **

** **

**

جبل عامل

في القرن الثالث عشر الهجري

مآسي الجزار

استشهد ناصيف وحوصرت قلعة الشقيف وسلم الشيخ حيدر الفارس والمعروف انه قتل بعد التسليم وفر الزعماء الى بعلبك والشام وعكا وغيرها وخدع الجزار الشيخ حمد العباس فامنه ثم غدر به وباخيه الشيخ حسين وباولاد عباس العلي حتى اصبح حريمهم وباقي اطفالهم يتكففون الناس وصلب الشيخ حمزة بعدما قتل نحوا من مائتي قتيل في يوم شحور وبعدما نهبها وروع البلاد وفر اولاد ناصيف الى العراق وفر آل الزين الى الهند وبعدما هدم قلعة الشيقف وغيرها من القلاع واسر الاطفال والنساء قبل ذلك .

وفي سنة ١١٩٩ هـ كان الشيخ قبلان واخوته والشيخ عقيل - الظاهر انه ابن ناصيف - في الشام فاستقبلهم درويش باشا باشة الحاج وطيب خواطرهم وخلع عليهم وفي هذه السنة وقعت مجاعة شديدة وقيل ان الشيخ قبلان واخاه الشيخ ابراهيم توفيا في بغداد « ١ » وفيها توفي

(١) الركوني : ويظهر انهم فروا من الجزار كآل الزين

الامير اسماعيل الذى اعان الجزار على التنكيل بالعاملين في سجن الامير يوسف واخفى امره شهرين خوفا من الجزار لانه كان اوصاه به وفيها ارسل الجزار الى الامير يوسف ان يقبض على المشائخ المتاولة الذين كانوا نازلين في قرية مشغرة فقبض على سبعة عشر منهم وارسلهم الى عكا الى سليم باشا مملوك الجزار فامر بشنقهم ولامت الناس الامير يوسف على ذلك لانهم كانوا قد نزلوا في بلاده باذنه واستأمنوا به (١) وفي ١٢٠١ هـ عزل الجزار عن الشام وفيها حكم البلاد احمد اغا ابن حيمور وجميع المعلمين تعدوا عن رأيه وفي سنة ١٢٠٢ هـ جاء ابو عز المغربي والحاج حسين صبرة وجملة معلمين الى تبنين وحاسبوا اهل البلاد والمعلمين واخذوا الفقهاء جميعا الى عكا لحساب اهل البلاد (٢)

وفي سنة ١٢٠٣ هـ فهم الجزار ان في داره خناء بين المماليك والخيالة فعزم على قتلهم وترقب الى ان دخل بعضهم من باب السر فهجم عليهم يريد قتلهم فاطلقوا عليه اربع رصاصات فجرح جرحا سليما وهرب المماليك الى دار سليم باشا فخرج سليم باشا والمماليك وتبعه اعيان عسكر

واولاد ناصيف لان الجزار تولى على الشام في هذه السنة .

(١) الشهابي ص ٨٤٨ .

(٢) الركوني وقد ذكر في غضون هذه السنوات ان اخاه عليا تزوج وان ولده محمدا شرع في القرائة وعمره ست سنوات وانه رجع من الحاج وعمره اربع وثلاثون سنة .

الجزار ولم يبق عنده الا القليل وسار سليم باشا وسليمان باشا بعساكرهما الى صور وضبطوا جميع ايالات الجزار . وحضر اليهم المتاولة والصفدية وسلموهم امر بلادهم وارسل سليم باشا الخلع للامير يوسف واستبشرت الناس بذلك وتوقعوا انقراض دولة الجزار ؛ ثم رجع سليم باشا بالعساكر الى عكا وضرب عليها الحصار فجمع الجزار من كان عنده واضاف اليهم العمال واقامهم على السور وعزم على الفرار الى مصر بحرا ليلا فاشار عليه القاضي بكبس عسكر عدوه ليلا فان فتح فذاك والا فر ، ولما فعل ذعر عسكر سليم باشا وانهزم وهرب سليم باشا الى دمشق وسليمان باشا الى دير القمر وقتل عسكر الجزار من عسكرهما مقتلة عظيمة ، وقتل بعد ذلك جميع السراري والمماليك التي بقيت في عكا ؛ وفي هذه السنة وقع الخلاف بين الامير علي ابن الامير اسماعيل وبين الامير يوسف فامد الجزار علياً بمائة فارس فالتقتهم قوات الامير يوسف والامير جهجاه الحرفوشي فكسروهم كسرة هائلة ، وقتلوا من عسكر الجزار نحوا من الستين ثم ان الجزار عاودهم الكرات بقوات كاملة فهزمهم وهنا يئس الامير يوسف من الحكم ففرق عياله واتفق مع اهالي البلاد على اختيار ابن عمه الامير بشير ابن الامير قاسم الشهابي وكان الجزار يميل اليه فجهزه الامير يوسف وارسله للجزار وعاهده ان لا يضره ثم وقع بينهما قتال وحروب وانتهى الامر بشنق الامير يوسف في عكا سنة ١٢٠٥ هـ بعد

ما سجنه الجزار فيها (١) .

وفي سنة ١٢٠٤ هـ في رجب اخذ الجزار ، غير مقرو كما في العرفان ، والسيد محمد امين الى عكا ثم سافر معه الى الحج وفي شهر شوال شنق الجزار الامير يوسف في عكا وشنق الامير يوسف الثاني وشنق علي درويش في هونين وفي سنة ١٢٠٨ هـ توفي الشيخ علي خاتون في جويا وهو في اسر الجزار وقبضوا عياله واولاده من بعده هكذا يقول الركوني ويقول الشيخ احمد رضا (٢) ان الشيخ علي خاتون هاجر في طلب العلم فاشتهر فضله في العراق وايران ثم رجع الى بلاده فابتلي بفتنة الجزار فصودر ماله مرتين ولم تقبل منه فدية ثم اخذت مكتبته الكبرى التي كانت تضم نحوا من خمسة آلاف مجلد من الكتب الخطية النادرة فامست طعمة لافران عكا ويقول هو وغيره ان كتب العامليين اشغلت افران عكا بالوقود اسبوعا كاملا وحدثنا العالم المعمر المعاصر الشيخ علي مروة حفظه الله انه رأى بعينه في عكا بعض الكتب المشتملة على الاثار العاملية وقد كتب عليها انها من موقوفات الجزار وقد سمعت من آحاد ان جملة من المكاتب ذهبت ضحية الدفن حتى قيل ان دارا جددت فوجدت وسط الجدار مكتبة مندثرة من طول الزمن وحدثنا العالم الفاضل الشيخ موسى

« ١ » الشهابي ص ٨٥٣ ، ٨٥٤ وما بعدها .

« ٢ » العرفان م ٢ ص ٣٨٦ .

ري ان شيوخ بلده تبنين يزعمون ان باب عكا الحديد هو باب قلعة تبنين وان الجزار نقله بعد احتلالها ويقول مروة في جبل عامل في قرنين ما لفظه : في سنة ١٢٠٨ هـ فتك احمد باشا الجزار باكابر بلاد بشارة وقتل منهم جماعة خنقا في الحبس منهم سلمان البزي وكفل البلاد لاهلها (١) وهذا يدلنا على ان العامليين ظلوا مستأسدين في سبيل حريتهم وانهم لايرون للدماء قيمة اذا كانت ثمنا للشرف والكرامة .

«١» تتمة كلام مروة : حتى كانت سنة ١٢٠٩ هـ حضر ملك فرنسا الى مصر وملكها ثم الى عكا وهدمها على الجزار سنة ١٢١٢ هـ ودخلت سنة ١٢١٣ هـ فرحل الفرنسيس بعدما هدموا عكا ولما رأى الجزار اهالي البلاد من بلاد عكا وجبل عاملة يحضرون الدجاج والبيض وسائر الامتعة للافرنج كفرهم اي نكل بعد ذهاب العسكر واهلكهم قتلا وحبسا مع الاعمال الشاقة من حفر وبناء حتى اهلك الحرث والنسل ومع ذلك كان يعذبهم في الحبوس بتسليط الكلاب والقطط والمكاوي وضرب مقارع الحديد وكان له معذبون اكراد وعليهم رئيس يسمى الشيخ طه يزيدي يقول بروح الشروان المعظم وهو الشيطان ويسؤ من سمعوه سب الشيطان لاسيما وهي كلمة خفيفة على السنة العامة وكان من يأمر الجزار بقتله لايقتل بدون عذاب حتى تزهق نفسه وبقي الحال في شدة حتى سنة ١٢١٩ هـ انتهى ولكن في نسخة الخال سلمان البزي بالراء المعجمة وفي نسخة الفقيه سليمان كذلك وفي نسخة العرفان سلمان البري بالراء المهملة .

وفي سنة ١٢١٠ هـ فر السيد محمد امين واولاده من الجزار ومات حسين الحمد في بلاد عكا ثم ان العسكر الأفرنسي غزا البلاد الاسلامية فدخل مصر ثم دخل بلاد الشام وكان بقيادة نابليون بونابرت فحاصر عكا سبعين يوما وفرق قوات الجزار واستولى على البلاد كلها ماعدا عكا واعطاه الشيعة والصفديون زمام الطاعة تخلصا من عسف الجزار وجوره ورجع المشائخ العامليون الى مشغرة وتحسنت احوال البلاد الاقتصادية في هذا العهد وكثرت النقود ثم ان الجيش الافرنسي انجلى عن البلاد في ١٦ ذي الحجة سنة ١٢١٣ هـ بعدما دمر وخرب وبعدما وقع الطاعون فيه وجاءت الاخبار بتوجه قوات العثمانيين الهائلة التي تساندها القوات الانجليزية اليه ، ولما انسحبت القوات الافرنسية واطمأن الجزار خافت الناس منه ولا سيما الذين امدوا الافرنسيين واعانوهم وخافه الامير بشير ابن الامير قاسم الشهابي الذي كان معه ولكنه لم يقدر على اعانته وذهب المتاولة الى الامير بشير واستجاروا به من ظلم الجزار فعجز عن ذلك فجعل الجزار يستصفي الاموال ويفتك بالاعيان ويفعل ما يريد واخيرا اصبح الباً على الامير بشير وفر الامير بشير في البلاد ولما عزم على دخول دمشق رجع المشائخ المتاولة الى منازلهم في عكار عند علي بك الاسعد الذي اصبح بعد ذلك علي باشا (١) . . . »

---

(١) الركوني ومروة والشهابي ص ٨٨٨ و ص ٨٩٤ .

هلاك الجزار

وفي سنة ١٢١٩ هـ في محرم توفي الجزار في عكا وتولى بعده غيره وبعد برهة يسيرة تولى مكانه سليمان باشا وارسلت الدولة راغب افندي ناظر الخارجيـــة بالدونما الهمايونية ليشترك مع الوالي في اصلاح ما افسده الجزار فاستدعيا فارس الناصيف ابن الشيخ ناصيف النصار وابن عمه محمد البك ابن الشيخ محمود النصـار المعروف بابي حمـد واظهروا لهما الاكرام والعناية والرعاية فاطمئنا لهما وطلبا منهما اعادة البلاد الى المشائخ كما كانت في عهدها الاول لانهم توارثوها سالفا عن سالف ومدنوها واوجدوا فيها المشاريع الحيوية المتعارفة في ذلك الزمان كالقلاع والحصون والمرابط والقناطر والمعابد والبنيات والاسواق والآبار والمطاحن والاغراس ومنها جفتلك رأس العين وقسم كبير مـن بساتين صيداء فاجابهما بعدم امكان ذلك بعد ادخاله في واردات الخزينة منذ خمسة عشر عاما ثم تم الاتفاق على اعطائهم مقاطعـة اقليم الشومر برمتـه عوضا عن املاكهم المغصوبة المتفرقة في سائر البلاد واجريا ـ ترقين ـ اي اخراج قيود هذه المقاطعة من دفاتر الخزينة ووزعت الضريبة الموضوعة عليهـا من اموال وذخائر على باقي المقاطعات واعطيا بها المراسيم العالية التي من جملتها انها ـ مرفوعة القدم ممنوعة القلم ـ يعني ليس عليها شيء من الضرائب بالكلية

ثم عينا لبيت الرئاسة مائتي كيس سنويا تدفع للرئيس من خزانة عكا وتدفع له ذخائر مرجعيون في كل سنة ايضا ثم ان سليمان باشا سأل عن المحل المناسب للرئيس فاجيب بعد الفحص ان قرية الزرارية هي انسب الاماكن موقعا واحسنها هواء فاعطيت للرئيس برمتها ثم امر البنائين فشيدوا البنايات المناسبة للعيال والاضياف والحكم وبنيت على نفقة الدولة ثم انتقل فارس الناصيف ومحمد البك المحمود اليها وجمعا آل علي الصغير وآل ابي صعب وآل منكر وقسمت قرى اقليم الشومر ومزارعه بينهم كل بحسبه واصاب بيت الرياسة منها سهم وافر والرياسة كانت بيد الكبير من البيت الذي يتولى الرياسة من آل علي الصغير وانما يتولاها من قبل الوالي وكان الكبير فارس الناصيف واستدام الوضع على ذلك الى ان فتح ابراهيم باشا المصري ابن محمد علي باشا الديار الشامية (١) وقد توطدت العلائق بين الدولة وبين زعماء عاملة في هـذا العهد واشتركوا مع الوالي في حروبه واهتموا في عمران البلاد فتقدمت تقدما باهرا لاحظ حديث مروة (٢).

---

(١) شبيب باشا في ديوانه ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .

(٢) قال مروة ما لفظه : وبقي الحـال في شدة حتى سنة ١٢١٩ هـ فهلك الجزار وخلفه سليم باشا احد مماليكه فالتات عليـه الجند وقتلوه ونصبوا سليمان باشا بعد تشريده من سليم باشا واستوزر حسن آغا البلارسان واستكتب حايين اليهودي وغلب على امره

وفي سنة ١٢٢٠ هـ توفي الشيخ شيب بن ناصيف النصار في شحور وفي سنة ١٢٢٣ هـ توفي الشيخ ظاهر في مارون وفي سنة ١٢٢٥ هـ في آخر ربيع الاول غزا سليمان باشا والي الشام ومعه الدروز والمتاولة وصار بينه وبين يوسف باشا وقعة وكانت الغلبة لسليمان باشا وقتل من المتاولة احمد بن عباس المحمد النصار ومعه اثنان وهما اخوة اولاد متيرك وانهزم يوسف باشا وعاد سليمان باشا الى الشام وفي سنة ١٢٢٩ هـ توفي الشيخ

علي باشا فاستبد الثلاثة بتدبير البلاد فكان اول امرهم ان صانعوا اولاد العشاير وارضاهم وعوضهم عن املاكهم المغصوبة التي اغتصبها وردوهم الى اوطانهم بعد التشريد فبذلك استراحت البلاد من فسادهم ايام تشريدهم ومن فساد عساكر الجزار وهدأت الامور والاحوال ايام سليمان باشا وعمرت البلاد عمراناً زائداً ونمت نمواً فائقاً وعمرت الابنية وغرست الاشجار وسار سيرة حسنة الى ان هلك فاخلفه عبد الله باشا ابن علي شريك الجزار في الحكومة وهو شاب غرير وامه امرأة من طرابلس فاستبد بالامر دونه قوم اصطنعتهم امه من اهل بلاد عكا كعبد الحليم ومسعود الماضي وتركوه في لهوه وشبابه واستعمل العنف في الرعية وغرم الاهالي زيادات على المرتبات فاخذ بتعمير محلات ومدن فعمر مدينة تسمى مدينة العدل حتى تمت حيطانها ثم امر بهدمها وعمر محلا يسمى البهجة على طريقة الاستانبول وجعله بستاناً ومنتزهاً وكان يغرم عليه الاموال الجسيمة من دون طائل ثم في سنة ١٢٣٦ هـ انتهى .

نصار بن ناصيف النصار في قرية الطيبة (١) وفي سنة ١٢٣٠ هـ توجه الامير بشير الشهابي الثاني الى عكا فلما وصل الى جسر القاسمية تلقاه متسلم هونين ابراهيم آغا ومعه بلاد المتاولة ومشائخ تلك البلاد ولما وصل الى صور تلقاه المتسلم واكابر البلدة ثم سافر فتلقاه اولاد الشيخ ناصيف النصار ودعوه الى منازلهم وبالغوا في اكرامه وقدموا له الذخائر وجوادين وبات عندهم تلك الليلة (٢) وفي سنة ١٢٣٤ هـ توفي سليمان باشا في مدينة عكا وفي سنة ١٢٣٥ هـ جاءت باشوية عكا الى عبد الله باشا ، وفيها فى جماد الثاني توفي حسن الحيدر ابن الشيخ حيدر الفارس في قرية البابلية وتاريخ وفاته

حسن مضى والصالحات امامه ارخ لدى حسن شفاعة حيدر

وتوفي ابن عمه شبيب في قرية النميرية ودفنا في يوم واحد وفي سنة ١٢٣٧ هـ توفي البك ابن ابي حمد النصار في قرية الزريرية وفيها في شهر جماد الاول رضي عبد الله باشا على المتاولة وارجعهم الى اماكنهم (٣) .

(١) ملخص عن جبل عامل في قرن للركوني .

(٢) الشهابي ص ٩٢٧ .

(٣) الركوني وينبغي الاشارة الى قول الشيخ احمد رضا في العرفان م ٢ ص ٣٣٠ ان عبدالله باشا هو الذي اعطى مقاطعة الشومر للعامليين كما ان ظاهر كلامه ان عبدالله باشا استلم الحكم بعد الجزار مع انه استلمه بعد موت الجزار بنحو من خمس عشرة سنة وهذا

واقعة جسر بنات يعقوب

في رجب سنة ١٢٣٧ هـ

في سنة ١٢٣٧ هـ ارسل عبد الله باشا والي عكا الى الشيخ فارس ابن الشيخ ناصيف النصار ومشائخ عاملة انه يريد ان يرجعهم الى حكم بلادهم وهي جبل عامل التي يقال لها الآن اقليم الشومر وبلاد الشقيف وانه يريد ان يرفع المتسلمين منها والزعماء هم يؤدون الاموال التي كانت ترد عن يد المتسلمين ويترك لهم خمسين الف درهم في كل عام ومائة غرارة شعير على شرط ان يكون عندهم الفا جندي بين فارس وراجل تحت طلبه وقت الحاجة فاستعفوا من ذلك وكان غرضهم استشارة الامير بشير الشهابي فاجابهم ان الوزير قد خاصم دولة والي الشام خصاما طويلا واحتياجه اليكم يطول فارسل الشيخ فارس الناصيف معتمده الحاج حسن شيث الى عكا وطلب من عبد الله باشا ان يفعل ما اراد ويعاهدهم ان لا يغدر بهم بعد ذلك فكتب لهم صكا بذلك وارسل اليهم الخلع كما كانت عادة آبائهم من قديم الزمان وطفقوا يتحكمون في اتخاذ الاعوان والخيل والسلاح ووافق ذلك خاطر الوزير فاضاف اليهم ولاية مرجعيون ـ وكانت قبل

كله غريب جدا من الاستاذ رضا .

ذلك تضاف الى حكم الشهابيين - وفرض عليهم مالا معلوما كما كان على المتـاولين من قبلهم ثم ان الفتنة اشتدت بين عبد الله باشا والي عكا وبين درويش باشا والي الشام فارسل عبد الله باشا جيوشه لتقطع الطريق على جيوش درويش باشا التي تريد العبور الى نابلس ولا طريق لها الا من جسر بنات يعقوب وجسر المجامع وارسل عبد الله باشا الشيخ فارس الناصيف بعسكر بلاده مع عساكره وعندما احس درويش باشا بالامر امد عسكره بالجيوش ولما التقوا تقهقر عسكر العامليين الى قاطع الجسر وحوصر عسكر الارناوط والمغاربة هناك في الخان فاسرع قائد قوات عبد الله باشا لنجدة المحصورين في الخان وصباح الخميس وصل الى الجسر وقسم العسكر الذي معه فرقتين ونشب القتال بين تلك العساكر فانكسر عسكر درويش باشا وفر هاربا واحتوى عسكر عبد الله باشا على خيامهم واسلابهم ومدافعهم وذخيرتهم ثم امدهم الامير بشير بعسكره امتثالا لامر عبد الله باشا ولما وصلت عساكر درويش باشا الى سعسع وقع اختلاف بين قوادهم فاقتتلوا وكانت الواقعة في ٢٢ رجب واستمرت الى ٢٦ منه (١) وفي اول شهر رمضان انتقل عسكر عبد الله باشا ومعه عسكر الامير

---

(١) الشهابي ص ٩٨٩ وص ٩٩٢ يقول الاستاذ رضا في العرفان في م ٢ ص ٣٣٠ انه رأى شيخا مسنا اخبره بانه كان ممن حضر واقعة جسر بنات يعقوب بقيادة فارس الناصيف وقد

وعساكر عاملة الى ارض المزة وجرت بينهم حرب ثم تحصن باشة الشام في القلعة وتحصن الاهالي بالمدينة ثم ارتحل عبد الله باشا بعد عشرين يوما وكان باشة ادانا وباشة حلب قد وفدا لنصرة باشة الشام ثم توجه الباشوات الثلاثة لحرب الدروز (١) ثم جري على عبد الله باشا ماذكره مروة (٢) وفى سنة ١٢٣٨ ﻫ جاء العفو عنه وفي سنة ١٢٤١ ﻫ سلم الامير

وقت مروة هذا الحادث بسنة ١٢٣٦ ﻫ ووقته الركوني والشهابي بسنة ١٢٣٧ ﻫ .

« ١ » الركوني في جبل عامل في قرن .

« ٢ » قال مروة مالفظه : ثم في سنة ١٢٣٦ ﻫ ارسلت عليه الدولة الى الشام فاظهر العصيان وعسكر على جسر الجامع وجسور بنات يعقوب وحصر اهل الشام عسكره على ذلك الجسر وبعد حصار طويل خرجوا للعسكر ولحقوا عسكر الشام فقتلوهم في خراب ناعران من ارض الجولان ثم لحقوهم الى الشام وحضر الامير بشير من جبل لبنان بعسكره الى المزة فحرقوها ودخلوا الشام فقرأ الفرمان بان عبد الله باشا فسرملي اي خارجي فرجع الناس وكفوا وكانت البلاد جميعها عسكرت مع عبد الله باشا فرفعوا ايديهم وخرجت العساكر من الشام وعليها الحاج درويش باشا والي حلب وحاصر عكا سنة ١٢٣٧ ﻫ فاخذ بخنق عبد الله باشا فضرع له ودخل في طاعته فرق له وكتب بترضية الدولة عنه وارسل عبد الله باشا الامير الكبير بشير الشهابي كبير لبنان بل كبير القطر الشامي سفيرا الى مصر

بشير اقليم جزين واقليم التفاح وجبل الريحان لولده خليل وفي سنة ١٢٤٦ ﻫ
فتح عبدالله باشا قلعة سانور بعد حصار ثلاثة اشهر والذي فتحها هو
الامير بشير الشهابي امتثالا لامر عبد الله باشا ولكن عبد الله باشا التمس

للخديوي محمد علي باشا يوسطه بالترضية عنه فكتب للدولة فرضيت
عنه ثم استمر عبد الله باشا على عنفوانه وتناول بلاد نابلس والقدس
الشريف وعصى عليه آل جرار في قلعة سينور فحصرهم وهدمها عليهم
حتى سواها بالارض وحرثها وقطع الاشجار والاملاك حولها وهدم
قرية عرابة جبل نابلس على آل عبد الهادي وعمل العسكر هناك
عملا رديئا فهاجر شيخ عشيرة آل عبد الهادي الشيخ حسين عبد الهادي
الى مصر لعند محمد علي باشا شاكيا افعال عبد الله باشا فقدر الله ان
عبد الله باشا اغضب الامير بشير الشهابي بمروره على عكا بعد حرب
سينور ولم يشكر له عناءه واتعابه فارسل الى مصر وكان عبد الله
باشا اساء الادب مع محمد علي باشا ولم يراع حرمته وحسن صنيعة
معه فجرد عليه العساكر وقائدها ولده ابراهيم باشا فهدم عليه عكا
بالقنابل والمدافع بعد حصار سبعة ايام واخذه اسيرا وارسله الى
مصر ومن مصر الى القسطنطينية وبعد مدة وجيزة نفي اتباعه في
البلاد وكان كبيرهم حسين اغا المملوك الى قبرس وذهب حسين
المملوك الى القسطنطينية وعمل مخادعة مع عبد الله باشا حتى يشتري
له رأس العين وتوابعها البرجين وباتولية والغروية من اعمال صور فما
تمت له انتهى وفي نسخة الخال والعرفان بعد حصار سبع فقط ولم
يذكر اياما او شهورا . . .

مدافعه الجوخ الاحمر عند فتحها اشارة الى ان الفتح بواسطة مدافعه لا بواسطة الامير فاغتاض الامير من ذلك (١) . . . ؟

◎◎◎✵✵✵◎◎◎

واقعة البهجة

◎◎◎✵✵✵◎◎◎

وفي سنة ١٢٤٧ ارسل الخديوي محمد علي باشا المصري ولده ابراهيم باشا لحصار عكا فاعانه الامير بشير بعدما هدده بانه ان لم يمتثل اوامره يهدم بلاده ويغرس في مكانها التين فاس ابراهيم باشا باطلاق النار مستمرا وكان الحصار في شعبان واستدام سبعة اشهر (٢) وقبل فتح عكا نهض زعماء عاملة وجمعوا جيشا وافوا به جهة عكا وقد علق القتال مع العساكر المصرية فكانت الغلبة للمصريين وقتل من العامليين في الواقعة المعروفة بواقعة البهجة خارج عكا مايتان واربعون بين فارس وراجل ولما استولى ابراهيم باشا على تلك الاطراف ضبط املاك حاكمها ورئيسها بعد الامتناع من النزول على حكمه وكان قائد هذه الثورة حمد البك ابن

« ١ » الشهابي ص ١٠١٥ و ص ١٠٢٠ .

« ٢ » الركوني هو الذي ذكر ابتداء الحصار ومدته وقد ذكر فتح الشام وحلب واداناا ملخصا في سطور وبها ينتهي كتابه ولو ان النسخة الاصلية وصلت الينا لاستفدنا منها امورا جمة .

ابي حمد الشيخ محمود النصار وكان معه ابن اخيه اسعد البك واما محمد البك اخو حمد البك فقد توفي سنة ١٢٣٧ وبعد فتح سوريا جاآ الى دمشق فاشتريا دارا في دمشق وتركا عيالهما فيها وجهزا عسكرا من قبلهما وانضما الى العساكر العثمانيه فشهدا حرب حمص وزنب وغيرهـا الى ان بلغا قونية وهناك تغلب ابراهيم باشا فاقاما بعيالهما في قصبة الزبداني من اعمال دمشق وكانت املاكهم مضبوطة وكان ابراهيم باشا عرض عليهما بواسطة الامير بشير الشهابي الارجاع الى بلادهم كما كانوا بشرط الخضوع للحكومة المصرية وقبول انظمتها فلم يقبلا ثم انه قبل خروجه من الديار الشامية بثلاث سنين ارجع اليهم املاكهم دون حكومة البلاد وفي اثناء هذه المدة توفي اسعد البك (١) ولنعد لما كنا فيه وبعد حصار عكا سبعة اشهر امر ابراهيم باشا جيوشه ان يهجموا على عكا دفعة واحدة واطلق عليها النار باستمرار ففتحها عنوة ودخل بجيوشه واطلق الأمان لعبد الله باشا فسلم له فلما اقبل صافحه وامنه على دمه وعرضه ثم ارسله بحرا الى مصر ثم تقدمت جيوش ابراهيم باشا في الفتح حتى احتلت البلاد السورية باجمعها وقد

« ١ » ديوان شبيب باشا - الاسعد ابن علي بك ابن اسعد البك ابن محمد البك ابن محمود النصار ويظهر من كلامه ان جده محمد البك حضر واقعة البهجة مع ان الركوني ذكر وفاته سنة ١٢٣٧ هـ في جماد اي قبل حصار عكا بثلاثة اشهر تقريبا كما ان علي بك ولد في هذا التاريخ لاحظ الديوان ص ٧١ لتعرف موضع الاشتباه .

عهد المصريون في حماية المدن السورية الى الامير بشير الشهابي فعين في صيدا الامير بشير ملحم وفي صور الامير حسن اسعد ثم لما تم الصلح بين السلطان العثماني والخديوي المصري امر الوزير المصري شريف باشا بعزل المتسلمين من صيدا وصور وفي هذه السنة وضع الامير بشير ضريبة على الطواحين وعلى رجال بلاده وفي سنة ١٢٤٩ ﻫ امر الوزير على الامير بشير ان يجمع سلاح بلاد صفد وساحل عكا ففعل ثم جاء الى رأس العين وامر بجمع سلاح صور والمتاولة وتلك المقاطعات فجمعها وارسلت الى عكا وفي اخر هذه السنة جاء ابراهيم باشا الى عكا وطلب من الدروز الفا وستمائة شاب ليدخلهم في جنده النظامي فطلبوا منه اعفاء النصف فقبل وفي سنة ١٢٥٠ ﻫ هم الامير بجمع المطلوب فامتنع الدروز ولما علم بذلك امر ابراهيم باشا بجمع الاسلحة وزحف بعشرة الاف فاخذهم الرعب فجمعوا الاسلحة فورا ولما تم جمع السلاح طلب منهم الفا ومائتي شاب للنظام فجمعوا فورا وارسلوا الى عكا (١).

قال مروة في جبل عامل قرنين

وفي سنة ١٢٥١ ﻫ امر ابراهيم باشا باخذ عسكرا لنظام من دون نظام ولا قرعة وسلط الامير بشير الشهابي على بلاد بشارة فجرى من

---

(١) مقتضب من تاريخ الشهابي ص ١٠٢٢ و ص ١٠٢٥ وص وص ١٠٢٨ وص ١٠٣٠ .

عسكر اللبنانيين ماجرى وخربت البلاد قال الشيخ علي السبيتي وفي سنة ١٢٥٢ هـ صارت الزلزلة الكبيرة هدمت قدس وصفد وعشرون وماخلت بلد من الهدم وقال فيها التاريخ استاذنا الشيخ علي مروة ·

ظهر الفساد على البسيطة فاخدشت	رب العبـاد فزلزلت زلزالها
امست تميد باهلها فكأنها	ارجوحة جذب القوي حبالها
ومياهها كادت تغيض وتخرج الا	ثقال لمـاربها اوحى لهـا
دهش الانام لهولها فكـأنهم	شهدوا القيام وشاهدوا اهوالها
فلمعظم ماعاينت قلت مؤرخا	ياايها الناس اتقوا امثالها (١)

ثوره حسين بك الشبيب

واخيه محمد علي الشبيب

لما دخل ابراهيم باشا سوريا ادخل بلاد بشارة في عمالة الامير بشير الشهابي فاذاقهم كل شدة حتى كان في محبسه في صور زهاء الالف رجل (؟) ولكن لم يطل ذلك فان ابراهيم باشا رفع سلطة الشهابيين عن بلاد بشارة حتى اذا كانت سنة خمس وخمسين خرج الشيخ حسين الشبيب

« ١ » هكذا في جبـل عامل في قرن الا انـه قدم ماذكرنا في سنة ٥٢ على ماذكرناه في سنة ٥١ وفي نسخة الفقيه قال الشيخ علي السبيتي وفي سنة ٥٢ وليس في نسخة الحال والعرفان قال الشيخ علي السبيتي ·

في مائتي رجل ففاجئه اللبنانيون بخمسمائة رجل ومائة فارس فهرب الشيخ حسين واصبحت البلاد عرضة لاستبداد العسكر اللبناني ولم يسع العامليون لم شعثهم وكان احدهم يخشى من الكلمة حتى في كسر بيته وكان لعسكر الارناؤوط والدالاتية والانكشاريـــة سلطة استبدادية فكانوا يروحون ويؤبون بين عكا ودمشق وصيدا وبيروت ويفرضون على البلاد ضيافتهم واعطائهم ما يطلبون الى حد الرضا بلاعوض (١) ويقول الاستاذ جابر ان ثورة حسين بك الشبيب واخيـه محمـد علي بك الشبيب دامت ثلاث سنين (٢) ويقول مروة وسنة ١٢٥٥ هـ خرج حسين آل شبيب من عشيرة الصعبية في بلاد بشارة فارسل الامير بشير ولده الأمير مجيد وكان شابا مترفا غريرا على بلاد بشارة لالقاء القبض على حسين الشبيب فهرب الى اللجاه فالقى عليه القبض كبير الدروز وارسله الى الشام فقتله حكمدار الشام شريف باشا وبقي عسكر الامير في البلاد وعاثوا بها مقدار شهرين فهلكت البلاد وفي سنة ١٢٥٦ هـ اتفقت الدول الثلاث على اخراج ابراهيم من البلاد ففر على البرية الى غزة فهلكت عساكره وتملكت الدولة البلاد وهدم الانكليز عكا في ذلك الزمن ثم ما عثرنا عليه مـن مجموعـة المرحوم المقدس استاذنا الشيخ علي مروة (٣) . . . ؟

---

(١) الاستاذ الشيخ احمد رضا في العرفان في م ٢ ص ٣٣٠ .

(٢) العرفان م ٢٧ ص ٩ . (٣) انتهى الكتاب المنسوب للسبيتي .

وقائع حمد البك وحكومته

مقاومة الجيوش المصرية واستخلاص البلاد العاملية والفلسطينية والاردنية ، واقعة جسر القاقعية ، وحمص ورميش ، ووادي الحبيس ، وشفا عمرو ، وغيرها .

عرفت فيما مضى ان المصريين احتلوا سوريا حوالي سنة ١٢٤٨ ﻫ وان العامليين قاوموهم في واقعة البهجة وفشلوا وان المصريين ضبطوا املاك مناوئيهم من الزعماء وعهدوا الى الامير بشير الشهابي في حماية المدن السورية فوضع متسلمين من قبله في صيدا وصور ثم لما تم الصلح رفعوا سلطة الشهابيين من عاملة وجمعوا سلاح البلاد وذلك في سنة ١٢٤٩ ﻫ ومن الواضحات ان ذلك يستدعي ضروب العسف وانواع الارهاق فقد قيل انه وجد في صور نحو من الف مسجون وقد كان الجيش المحتل

وقد نقلناه برمته مفرقا فيما مضى من هذا الكتاب في المواضع التي تناسبه كما ان تاريخ الركوني انتهى قبل هذا الحد وتاريخ الشهابي انتهى عند هذا الحد تقريبا ونستند في بقية الكتاب الى ديوان شبيب باشا والمقدمة الخطية التي هي بقلم خالنا المرحوم الشيخ حسين سليمان البياضي وبعض النتف التي ينفرد بها المرحوم الاستاذ محمد جابر وبعض المخطوطات الاخرى .

يكلف الناس مالا يطيقون فان عداوة الدروز مع العامليين مشهورة ومعاونة العامليين لعبد الله باشا ضد المصريين غير خفية والجيش الفاتح المتوغل في بلاد الاناضول محتاج الى المساعدة فكانت الضرائب تفرض مضاعفة والسخرة تنفذ بكل قسوة ولا قانون الا الرصاص والسياط ولما اشتد الضغط قامت الثورات ولكنها لم تجد شيئاً فقد وضعت الضرائب ونفذت الاحكام وجمع الجند للنظام بدون قرعــــة ولا نظام حتى خربت البلاد وكان حمد البك وهو اشهر زعيم عاملي بعد عمه ناصيف النصار يرقب الحوادث ويتحين الفرص للانقضاض على المصريين حتى اذا تم اتفاق الدول في مؤتمر لندرة في تموز سنة ١٨٤٠ م على انتزاع سوريا من محمد علي باشا واعادتها للحكم العثماني ووصل الجيش التركي الى حلب بر اتظاهره اساطيل انكلترا بحرا (١) رفع حمد البك علم الثورة فجمع ثمانية آلاف مقاتل وقادها بنفسه وعلى حسابه وكان معه علي بك الاسعد المحمد حفيد اخيه «٢» فاصطدم بالامير مجيد الشهابي عند جسر القاقعية وكان الشهابي ينوي الهجوم على جبل عامل الجنوبي فرده على اعقابه ثم سار بجنده الى حمص فانضم الى الجيوش العثمانيــه واظهر ضروبا من البسالة والتدبير فاستدعاه عزت باشا قائد الجيش التركي العام واثنى عليه وعينه حاكما عاما على جبل

«١» هذا التوقيت مأخوذ من مقالات محمد جابر في العرفان م ٢٧ ص ٧ . «٢» هذا مأخوذ من ديوان شبيب باشا ص ٣٢ .

عامل بلقب شيخ مشائخ بلاد بشارة وعهد اليه بمطاردة الجيش المصري في جنوب جبـــل عامل (١) فرجع حمد البك وجمل يطارد المصريين ويحطم قواتهم فاشتبك معهم في عدة معارك في رميش ووادي الحيس وشفا عمرو وكانت واقعة وذي الحيس اهم تلك الوقائع فانه اسر فيها من الجيش المصري اربعمائة وعشرين جنديا وارسلها مع حفيد اخيه علي بك الاسعد الى عزت باشا الذي جاء بالدونما الهمايونية فساقهـا مع معداتهـا وذخائرها حتى سلمها له وكان عمر على بك في ذلك التاريخ نحوا من عشر سنين لانه ولد سنة ١٢٤٧ هـ (٢) ثم ان حمد البك سار بقواته بعد واقعة وادي الحيس من بلاد عكا حتى دخل صفد واجلى من بها من المصريين ووضع فيها متسلما من قبله يقال له الشيخ حمد الغزي وكان من اخصائه وتولى اطلاق المساجين الذين حشرهم المصريون في سجون عكا بنفسه وهكذا فعل في طبريا والناصرة وشفا عمرو ثم حرر رسالة بذلك لخالد باشا واوصل الخبر الى عزت باشا وفي اثناء هذه الحوادث ورد كتاب من جو قموس باشا رئيس العساكر الجهادية الشاهانية اي القائد

« ١ » محمد جابر العرفان م ٢٧ .

« ٢ » شبيب باشا في الديوان ص ٣٢ و ٧١ والظاهر ان محمد جابر اخذ عن الديوان واقتبس من قصيدتي الكاظمي والسبيتي واستقل بما اشرنا اليه انفا فقط وبنتف اخرى واما نحن فقـــد اعتمدنا على الجميع .

العام للجيوش المعدة لمقاومة المصريين بتاريخ ٦ اذار سنة ١٢٥٦ هـ وهذا نص عبارته :

— افتخار العشائر الكرام حضرة متسلم بلاد بشارة —
— بك عالي قدر حفظه الله —

قبل تاريخه اصدرنا لجنابكم اوامر كافية بشأن سرعة توجهكم نواحي صفد ومن حيث وردت لنا اخبار الآن عن ابراهيم باشا بالقيام من الشام والمرور من نواحي جسر بنات يعقوب اقتضى والحالة هذه اسرعنا باصدار امرنا تكرارا لجنابكم لكي بحال وصوله اليكم تقوموا حالا بجميع خيلكم وزلمكم الى صفد ومتى بلغكم قدوم ابراهيم باشا سواء كان من نواحي جسر بنات يعقوب او من جسر المجامع يلزم منكم بالحال والساعة تسرعوا بكامل جيوشكم لضربه وتتبعوا اثاره اينما توجه وتبطشوا به وبالا كثر ليلا ولا تقبل لكم ولا عذر كليا عن عدم قيامكم عاجلا حيث هذه آخرة الواقعات ونحن بحوله تعالى عازمين على القيام بالذات لصفد ولا يلزم زود تأكيد عن ذلك اعتمدوا امرنا هذا والله تعالى يحفظكم انتهى (١) ولما انقضى امر المصريين وعادت البلاد الى حكم الاتراك اغدقت الدولة على الامير حمد البك بالعطايا فاهدت اليه سيفا قبضته مرصعة بالجواهر باسم الحضرة السلطانية ووجهت اليه رتبة « اسطبل عامرة مديري »

« ١ » ديوان شبيب باشا ص ٣٣ وعنه اخذ جابر ولكنه لم يشر للمستند .

وفوضت اليه حكومة جبل عامل كما كان اسلافه من قبله واهداه شاه ايران شالا من الكشمير الثمين وطائرا من البزاة (١) ثم ان عرب اللجاه وحوران نبذوا طاعة الدولة فانتدبته الدولة لتأديبهم فجهز حملة من رجاله وجنده وعسكر على الحدود وعسكر على الاردن فمعبر الجسر وخيم حيث الطريق الى ناعران وفي اثناء ذلك استاقت عربان الجولان ماشية لعرب الخيط من اعمال صفد فلجأ هؤلاء الى بلاد بشارة بما عندهم من المواشي فرارا من اولئك ونزلوا سهل قادس في جنوب مقام نبي الله يوشع عليه السلام فاجتمعوا اولئك العربان وغزوهم بغتة فاصابوا سائر ماشيتهم فبلغ الخبر جيرة ذلك الموقع وهم قرى عيثرون والمالكية وقدس فلحقوهم ولكنهم لم يدركوا آثارهم وعندما وافى البك الخبر استرجع من العربان ماغنموه وسلمه لاربابه وبث في تلك للاطراف الامن : وكان مدة اقامته يبعث بجموع من طرفه تحت قيادة معتمديه فيجتمعو مع العسكر السلطاني المعسكر بانتظار حركته لهاتيك الجهات ليتجسسوا الامور ويرسل بالجواسيس لتلك الانحاء وبقي ينتظر حيث فهم بذاك الاثنى مخالفة رأي الوالي في بيروت لرئيس العساكر في الشام وجعل مخابراته متصلة مع الجانبين ليأخذ النتيجة بالصورة المرضية لدى اولياء الامور (٢) وفي تلك الاونة اشتبكت الدولة

« ١ » محمد جابر في العرفان م ٢٧ وقصيدة الشيخ حبيب الكاظمي الموجودة في ديوان شبيب باشا « ٢ » ديوان الباشا عن الجوهر

مع الروس في حرب القرم فعدلت عن عزمها وغيرت خطتها واوعزت اليه بالكف عن تعقيب الثوار فعاد الى تبنين مقر عمه ناصيف بعد ان نال ثقة رجال الدولة وثناءهم ، وفيما يلي نص رسالة ارسلها اليه محمد باشا القبرصي وكان يومئذ مشيرا لاوردو عربستان وتولى بعدها منصب الصدارة العظمى وهو يشير في هذه الرسالة الى المهمات التي قام بها حمد البك ويشكره عليها .

غب التحية الوفية والتسليمات البهية نبدي انه بتاريخه ورد تحريركم الجالب السرور وحصل به كمال الانس والحبور بما افاده من نيلكم رتبة ، اسطبل عامرة مديري ، شاهانية بساية الاحسانات العميمة الملوكانية وفي الحقيقه ان ذلك من ثمرات شجرة صداقتكم المعهودة ومكافأة لما قد ابرزتموه في خدمة الدولة العلية من الغيرة المشهورة بناء على تكرر تقديم الانها من طرفنا بمسارعتكم لخدمة الدين والدولة وقت سوق الاوردو الهمايوني لانفاذ الارادة السنية وما اجريتموه حينئذ من الهمة المخلصة الوفية ومن كان مثلكم من عبيد الدولة العلية المتصفين بالصدق والاستقامة يستحق فوق هذا من الرفعة والكرامة بعون عناية ذي القدرة الصمدانية وساية ولي نعمة العالم والبرية لاتزالون مشمولين بالرضـــا السامي الملوكاني حائزين الترقي وبلوغ الاماني الى ان نهنيكم برتبة الوزارة العظيمة المقدار في ظل صاحب

المذهد للسبيتي واللفظ للنبيتي اثبتناه على ركته ولحنه ص ٤٠ .

الشوكة والاقتدار والان بناء عليه وخاصة لتهنيتكم بهذه المسرة حررنا لكم شقة المحبة والخلوص فواصلونا بشعرات صحتكم المرغوبة مع افادة المهام المطلوب ودمتم : عن شام في ١١ را سنة ٦٩ « محمد » (١)

ثم انه لما فاز حمد البك في معاركه الآنفة ونال الشهرة الواسعة وفدت عليه الشعراء من العراق وفلسطين ولبنـــان واطنبوا في مواقفه ومآثره وقد اقتصر شبيب باشا على اثبات بعض ما اثبته الشيخ علي السبيتي في الجوهر المنضد الذي الفه في شرح قصيدة علي بك الاسعد واروع ماحمله لنا التاريخ في هذا المضمار قصيدة الشيخ حبيب الكاظمي وهي قصيدة تزيد على مائة بيت نقتصر منها على ما يلي

قال الكاظمي

بشرت بالمزن ارواح النعامى	فاجل بالكأس على ايدي الندامى
وطوى البشر الاماني اذ وطا	حمد البك من الظهر السناما
حلب الدهر بـه ضرع الندى	فارتوى صوبا وما استسق غماما
قد شكى السيف الظما حتى ارتوى	وانحنى عود القنا حتى استقاما
واطلى الهام احتكم فيها بما	تنصف الحكمة في البين اقتساما
ودع الحكمة تعطي قسمها	للظبي جاما وللتيجان جاما

(١) ديوان الباشا ص ٤١ والشعر الذي نختاره الساعة من المدائح والمراثي مثبت في مابعدها من صحائف الديوان وعنه اخذنا .

واحيها سنة من سنوا على — سنن الدهر مقاما لن يراما
لست بالأخذ عن مستحدث — ولك السبق قديما ودواما
انها جائتك تسجي خيلها — ولقد القت بناديك الزماما
وتخطي المجد اعناق الورى — فاذا حل بناديك اقاما
واصطفاك الملك عينا ويدا — وحباك المجد نصرا واحتشاما
حيث الفاك حساما قاطعا — حادث الخطب فاهداك الحساما ١
وقد اختارك درعا سابغا — فجنى المثل بمثليه اعتلاما
برميش (٢) كيف اومأت العدى — بالضميرات فنكست النظاما
اذلوى مير اللوى (٣) عنه اللوى — والتوى كالظبي يحتل الاجاما
هل درى الوادي ٤ من استنزله — اجدل شام بواديه حماما

---

(١) اشارة للسيف المرصع القبضة بالجواهر الذي اهدي اليه من الحضرة السلطانية . (٢) قرية جنوبي جبل عامل بالقرب من بنت جبيل وامامها سهل فسيح وفيها جرت المعركة بين حمد البك والجند النظامي المصري فانهزم المصريون . (٣) هو اللقب الرسمي للقائد المصري وهي رتبة عسكرية وكان اسمه عمر كما يظهر من قصيدة السبيتي الاتيه . (٤) هو وادي الحبيس قرب عكا ويظهر من الابيات الاتية ان فلسطين القت القياد الى حمد البك ولم تشاغب وقد استفدنا من قصيدة الكاظمي والسبيتي عدة فوائد ، وهنا ينطبق ما قلناه فيما مضى قد يحفظ الادب وينسى التاريخ .

خر منقضا على اوكارها ... فتخاذلن من الركب اصطلاما
ذلك ؟ السطوة أورت زندها ... في فلسطين فالفيت التهاما
رأت التسليم منها سلما ... منك ينجيها فوافتك اعتصاما
ورئيس القوم ولى مدبراً ... حين الفى قسور الحرب اماما
وعلى الاردن(١) منك انتفضت ... ردن الموت هجوما واقتحاما
ولكم اشفيت قلبا موجعا ... في شفاعمرو(٢)واحييت رماما
ثم اطلقت اسارى (٣) اوغلت ... للحشا نارا وللدمع انسجاما
هكذا من رضا سلطانه ... يجعل الاعداء اشلاء حطاما
يا اليوثا جاء من اشبالهم ... كعلي القدر (٤) مقداما هماما
عطر الكون ثناه فيهم ... ينشر الطيب على رغم الخزامى

****

«١» هو النهر المعروف وعلى ضفافه جرت معارك دامية بين الامير حمد البك وبين جيوش المصريين فهزمهم .

«٢» اسم لبلدة بالقرب من عكا وفيها وقعت معركة بين الامير والجيش المصري ايضا فكانت الغلبة له عليهم .

«٣» يشير للاسارى الذين تولى حمد البك اطلاقهم من سجون عكا

«٤» هو الزعيم علي بك الاسعد وقد خلف عم ابيه حمد البك في زعامة جبل عامل فكان حكمها بعد حمد لعلي بك .



وختامها

خذ ابافدعم «١» مني غادة　　اسفرت عن غرة الصبح اللثاما
دم وعش واسلم وصل ؟ واغنم وصل　　لاالقنا جاف ولا السيف كهاما
لم يزل ذكرك يعلو كلما　　بشرت بالمزن ارواح النعامى

ومن قصيدة لشاعر مسيحي بدعى سليمان افندي الصولي

اقسمت بمحالك الشعر　　وبما في الغرة من فجر
وبسهم لواحضها　　وبما قد اودع فيها من سحر

❊❊❊❊

ومنها

وهنالك رأس عساكرهم　　حمد يتهلل بالبشر
وهناك هناك اتى حمد　　كهزبز فك من الاسر
وانقض بجيش جرار　　كأسد على بقر شفر
وتبعه الجيش يصيح بهم　　ان الانسان لفي خسر
لله بنو نصار وما　　نسلت من وائل للفخر

«١» كنية حمد البك ولم يكن له ولد ويكنى محمد البك الاسعد بابى فايز ولم يكن له ولد ويكنى كامل بك الاسعد بابي سطام ولم يكن له ولد ويكنى علي بك الانف بابي السعود وتامر بك بابي درويش وهكذا كانوا يكتنون على عادة العرب .

ومن قصيدة للاديب اللغوي الشيخ علي السبيتي الكفراوي اولها

تفاخرني السراة وان قومي لقوم جلببوا الشمس الظلاما

****

لنا يوم الجبيس «١» واي يوم منعنا شوس مصر ان تناما
غدا عمرا «٢» رئيسهم شريدا له خاف وليس له اماما
دهتـه المشرفية والعوالي وكم فج تخيله ركاما
وقبل يوم حمص (٣) لوترانا اثرنا نقع حرب قد اغاما
تقاعس كل اشوس مشمخر وبحر الموت يلتطم التطاما
اطعنا الملك اذ يعصيه قوم على حال نرى الصبح الظلاما

وهي طويلة

وفي سنة ١٢٦٢ هـ تزوج علي بك الاسعد في قلعة تبنين فاجتمعت الناس بمناسبة زفافه من سائر الديار الشاميـة من ذوي الحضارة والبداوة

---

(١) قد مرت الاشارة اليـه في قصيدة الكاظمي فان المراد بالوادي هو وادي الجبيس .

(٢) اسم القائد المصري في وقعة الجبيس وقـد افهمنا هـذا الشاعر عن اسم القائد وعن هزيمته بنفسه قبل جنده وهذا مما حفظه الادب ونسيه التاريخ .

(٣) هي الواقعة التي اشترك فيها حمد البك مع الجيش التركي في حمص في مقابلة الجيش المصري وكانت الغلبة لهم على المصريين .

بين وجيه وامير ، وكبير وصغير ، ولقــــد جمعت وليمة ذلك الزفاف ما ينوف عن الاربعين الفا ، وكانت الجفان والاواني لا تعد ولا تحصى ، وقد امتدت للخـاص والعـام ومع ذاك لم تكف فآل الامر الى اتخاذ الالواح الكبيرة والصاق بعضها يبعض ، حتى غدت كأنها جفان في بطون اودية ، تقل ربوات من القرى وغصت المنازل والبيوت المعدة لهذه الجماهير وكانت الخيام قد ضربت وامتدت اطنابها ، حتى غطت وجـه هاتيك البقاع ؛ والنـاس كأنهم في محشر من فرح ، وانشدت الشعراء في ذلك اليوم غرر الشعر ، وقد اغدق على الوفاد في ذلك اليوم بالصلاة والعطـايا من الخيل والسلاح والخلع والنقود ، حتى قال الناس لو كان هذا البذل من بحر لنفد ؛ وكان يكرم كلا بحسبه « ١ » ومن جملة القصائد التي نظمت بمناسبة هذا العرس قصيدة الشيخ صالح الطرشيحي من طير شيحـا في جهات فلسطين قال :

طفح الكون سرورا طفحا   وهمى غيث الصفا كالمطر

« ١ » ديوان شبيب باشا ص ٩٤ و ٩٥ حكاه عن كتـاب الجوهر المنضد للسبيتي ونقل لفظه ولخصناه منه ، وعدها صاحب الكتاب من مكارم علي بك ، ويظهر من حديث السبيتي عن هذا اليوم انه من الادباء لا العلماء ، لا نـــه يتمدح بتهيء الات الطرب والعاب الافراح في هذا اليوم ، ولا يليق بالروحاني ان يذكرها الا في مقام الانتقاد .

وتلاشى الهم عنا وانمحى   ماعهدنا في الورى من كدر
مذ اقام السعد فيه الفرحا   لعلي ذي المقام الانور

****

فهلموا يابني الدنيا اليه   وانظروا مابهرت منه العقول
محشر قد جمع الناس عليه   لا تفي في وصفه منا النقول

ومنها ما قاله الشيخ حبيب الكاظمي من قصيدته اللامية :

بغطارف بيض اذا استنصرتهم   لملمة لبى نداك الفيصل
من يعرب فيها تسامت يعرب   فتكفل في مجدها ومكفل
هم آل نصار الذين اذا انتموا   لبس المفاخر حارث ومهلهل

****

الخيل صافنة على ابوابهم   والرعب يعدوا في القلوب فيقتل

ومنها في مدح حمد البك

لم يعتقل سمر القنا عن حاجة   وبعزمه للباترات مفلل
لكنما اعتقل الرماح لعله   ان يستجير به السماك الاعزل
لكم الهنا آل الصغير مكبر   في عز شأن علاكم ومهلل
قران دريين في اوج العلى   شمس تنير علا وبدر اكمل
هو ذا علي البك اسعد واطىء   هاماتها وهو الحري الافضل

وله عدة قصائد رنانة في مدح حمد البك منها قصيدة دالية نظمها

بمناسبة العيد ويمدح بها عليا ومنها يائية يمدح بها حمدا وعليا وكل شعره غرر (١).

الوضع الأداري على عهد الامير حمد البك
وانواع الضرائب «٢»

استقرت البلاد على عهد حمد البك وخضعت لحكم الدولة العثمانية ولاخذ العسكر ودفع الضرائب ولكن تحت رياسة حمد البك وكان هو الذي يدير شؤون البلاد وهو الذي يتولى ذلك وكان شكل الحكم اشبه شيء بالحكم الاقطاعي وكان يحيط به ثلة من ارحامه كعلي بك الاسعد ومحمد بك الاسعد وسلمان بك وثامر بك وحسين بك السلمان الذي حكم في بنت جبيل سنة ١٢٦٤ هـ وكان حمد البك يدفع للحكومة اموالا مقررة والامراء يأخـــذون من البلاد اموالا وضرائب مختلفة وكانت انواع الضرائب كما يلي (١) فدنة (٢) ثمن فراء (٢) ثمن احذية كان الامراء يأخذون عن كل فدان شيئا معلوما يسمونه فدنة ويأخذون ثمن فراء للعسكر يزعمون ان الحكومة تطلب منهم هذا الطلب لكي يشتروا به

---

١ - ديوان شبيب باشا ص ٤٣ و ص ٤٩.

٢ - هذا البحث كله مستقى من المقدمة التي هي بقلم الخال رحمه الله ويقول انه سمعه من المرحوم والده والمعمرين من اهل البلاد المجاورة لبلده . .

فراء في اول الشتاء لان البلاد باردة والعسكر يتجول دائما ويأخذون منهم ايضا ثمن احذية ومكثوا على هذا الحال زمنا ثم فرضوا اعشار الاغلال على كل بلد شيئا معلوما من الحبوب يورده الاهالي للانبار ـ المكان المعد لحفظ الحبوب الراجعة للحكومة في المراكز ـ ويسمونه حصة العنبر وكان اكثر البلاد خرابا ولم تكن النفوس محصاة في ذلك العهد فنفوس الاهلين لم تكن مسجلة في دفاتر الحكومة ومثلهــا الاراضي بل كان الامراء والاغنياء يجمعون الناس الى القرى ويعطونهم ثمن بقر وبذور ويأخذون منهم حصة معلومة ويسمونهم شركاء فكل بلد لهـا شريك يقدم لهـا ما تحتاجه من الامور الآنفة وكانوا يلزمون الناس بفلاحة الارض وزرعهـا رغما وما زالت الامور كذلك الى سنة ١٢٦٩ هـ .

ولم يتعرض لهذه الامور غير الخال رحمه الله كما انــه لم يتعرض هو ولا غيره لتقسيم المقاطعات ولا لتسمية حكامها نعم ذكر ناصر الحسين ووالده حسين السلمان وانه حكم مقاطعة هونين ومرجعيون وان مقرحكمــه بنت جبيل بمنـــاسبة الاختـلاف الذي جرى بين ناصر وبين علي بك . . . ؟

وفاة حمد البك

توفي حمد البك سنة ١٢٦٩ ه ودفنه علي بك الاسعد حفيد اخيه في مقام نبي الله يوشع بن نون (ع) وبني قبتين احداهما على المقام والثانية على القبر ، وجعلها اصغر من قبة يوشع « ع » بقليل تعظيما له ، وشيد هناك عدة بنيات ، ولم يترك حمد عقبا ، من ذكر او انثى وكان ارثه منحصرا بعلي بك الاسعد ، وكان يكنى بابي فدعم ، وقد ارخ عام وفاته الشيخ ابراهيم صادق يحيى العاملي الطيباوي وهو اذ ذاك في العراق بقصيدة منها :

لقد عميت عين المفاخر اذ رأت ... من الافق ارخ بدرها حمد غابا

وله تاريخ في مقطوعة كتبت على القبر وهو : —

وقد بنى ابو السعود فوقها ... بيتا على قواعد المجد رسا

فطاول السبع العلى مذ ارخوا ... بيتا على تقوى علي اسسا « ١ »

وابو السعود هو علي بك الاسعد ولم يكن له ولد من بعده بهذا الاسم وانما هو مجرد اكتناء ، وقد رثي حمد البك بعيون الشعر ، وابلغ المراثي فمن قصيدة للشيخ حبيب الكاظمي

---

(١) ديوان الباشا ص ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ ومن الغريب ان كتاب القبريسي الذي يهنؤه فيه جاءه في ١١ رمضان سنة ١٢٦٩ ه وقد مر الكتاب فتكون وفاته بعده بقليل .

املفع بالبيض من اكفانها   ومناله بالبيض مجد اخضر

***

وبد تصفرها المنون وطالما   منها جرى في الروع موت احمر

ويظهر ان وفاته كانت في شهر رمضان وذلك حيث يقول :

فكأن نعشك والقلوب وراءه   تجري وموكبك العديد الاكثر

سيف ابن ذي يزن سرى بركابه   ولديه قحطـان تسير وحمير

ولقـد غلطت بشبهه سيف اذا   ما كان عن سيف يجل ويكبر

بل كان لما آن ينشر آيـة   والنـاس تعلن بالأذان وتجبر

صبحا علا والناس ترقب فجره   لصيامها . فمهلل ومكبر

صاموا عن اللذات بعدك فالبكا   من وردها وعلى التأسي تفطر

الله اكبر اي طود قد هوى   من آل نصار وبـدر يخفر

***

حتى اذا ادوا لديك صلاتهم   وعليك صلى الخالق المتكبر

ستروا محيا طالما كشفت به   دجن العنا وامتد صبح انور

وهي طويلة وله في رثائه هائية اطول منها يقول فيها :

عجبت ياواحد الدنيا لواحدة   لما حملت وقد سارت سواريها

مجردا وسيوف الهند مغمدة   وسائرا والمذاكي في مواقيها

وهي كسائر شعره كلها غرر ، وتمتاز بانها تحمل صورة عن نفس هذا

الشاعر الملتهبة وتمثل الفاجعة ، وممن رثاه الشيخ علي زيدان العاملي بقصيدة تزيد على مائة بيت منها :

وابن اخو الاقلام يخضب هامها ... فيثني العوالي او تفل الكتائبا
ملكت لواء الحمد ان كنت ضاربا ... غداة التقى الجمعان او كنت واهبا
تسبلت الدنيا لفقدك واغتدت ... رياض المنى منها قفارا سباسبا
فقل لحسود راح يغضي على قذي ... يكابد اضغانا ملان الترائبا
اتأمل من حوض الاماني مشاربا ... ولم تشرب الكاس الذي كان شاربا
تزحزح قصيا قام بالامر حازم ... وشبل غدا عن ذلك الليث نائبا
لان جب هذا الدهر منا مناكبا ... فان لنا من ساعديك مناكبا

وقد اجلنا مدائحه ومراثيه كما اجلنا مدائح غيره ومراثيه الى الحلقة التي خصصناها بزعماء عاملة ، وفي يوم الاربعين تلا الشيخ محمد علي خاتون خطبة طويلة مسجعة ، وقد اثبت شبيب باشا ابن علي بك الاسعد هذه الخطبة وتلك القصائد في ديوانه حاكيا لها عن كتاب السيتي ، ويظهر من قصيدة زيدان وخطبة خاتون انه كان يوجد في عاملة من ينتظر ان تكون زعامة البلاد له بعد حمد البك وان يحرم منها علي بك الاسعد «١» وكانت مدة حكم حمد البك منذ سنة ١٢٥٦ هـ الى سنة ٦٩ واستشهد والده الشيخ محمود النصار سنة ١١٩٣ هـ فيكون عاش بعده ستا وسبعين

«١» لاحظ ديوان شبيب باشا ص ٤٩ – ٦٦

سنة ولا نعرف المدة التي عاشها مع ابيه ، وكان اديبا ماهرا وشاعرا عالما وخطيبا لبقا حتى نعته بعض الولاة بفيلسوف العرب ، ويظهر ان الحركة العلمية والادبية على عهده كانت موفقة جدا ؛ وهذا من الطبيعي فان الزعيم اذا كان عالما اديبا يكبر العلم والادب واما الجاهل بهما فهو عدو لهما .

ولا يحضرنا من شعر حمد البك شيء سوى مطلع قصيدته السالفية التي امتدح بها السلطان عبد المجيد خان العثماني وهو

تورد خد الظبي واخضر سالفه ... له الخال قد اضحى سميرا يسالفه

وله تشطير البردة وقد احكمه « ١ » كما قيل

حكومة علي بك الاسعد (٢)

ولد علي بك الاسعد سنة ١٢٣٧ ﻫ وتوفي جده محمد البك ابن ابي حمد الشيخ محمود النصار في سنة ولادته ، وتوفي والده أسعد بك قبيل خروج

---

١ ـ ذكر الباشا في ديوانه ص ٤٣ مطلع السالفية واشار لتشطير البردة ولم يذكر منها شيئا

٢ ـ هو علي بك ابن اسعد البك ابن محمد البك ابن ابي حمد الشيخ محمود ابن الشيخ نصار الاحمد وقد كان احفاد نصار يعرفون

ابراهيم باشا المصري من سوريا «١» وقد شارك علي بك عم ابيه حمد البك في مطاردة المصريين وكان عمره اذ ذاك نحوا من عشر سنين وقد تولى بنفسه سوق اسرى واقعة وادي الحجيس وتسليمهم للقائد العثماني وتزوج سنة ١٢٦٢ هـ كما ذكر في الديوان ص ٩٤ وتولى حكومة البلاد بعد وفاة حمد البك سنه ١٢٦٩ هـ وكان حمد البك قد مهد له الامور وكان يحمل كفاءة عظيمة ومقدرة خارقة ، ولباقة ممتازة فقد عمرت سوق العلم على عهده ، وقامت عكاظ الادب على ساق ، واعتزت البلاد وظهرت باعظم مظاهر الكرامة ، وقد الف بين زعماء عاملة ، فامرهم بان يتخاطبوا فيما بينهم بيا ابن العم مع ما بينهم من بعد الانساب ، ومع ان آل علي الصغير يتزوجون من المناكرة والصعبيين ولا يزوجونهم «٢»

با آل نصار وهم ابناء ناصيف النصار ومحمود النصار ومراد النصار ومحمد النصار ومن ابناء محمد النصار عباس المحمد النصار وعباس العلي المحمد النصار وحمزة المحمد النصار وحمد العباس المحمد النصار وسلمان العباس العلي المحمد النصار جد ثامر الحسين السلمان العباس

«١» وفاة اسعد البك ذكرت في ديوان حفيده شبيب باشا الاسعد ص ٣٢ ووفاة محمد البك ذكرها الركوني في حوادث سنة ١٢٣٧ هـ وولادة علي بك ذكرها السبيتي في الجوهر المنضد كما حكى ذلك عنه شبيب باشا في الديوان ص ٧١ .

«٢» لاحظ ديوان شبيب باشا ص ٩٢ .

وقام علي بك في مقام عم ابيه حمد البك وتولى حكومة البلاد واحسن ادارتها فكان الزعيم المطاع الذي يقف آل علي الصغير وآل منكر وآل الصعبي عند اوامره وكان له قدم راسخة عند الدولة العثمانية حتى كانت الايالة تستعين به على تسكين الثورات وتأديب العصاة كما كانت تستعين بعم ابيه حمد البك وبعم جده الشيخ ناصيف النصار ، وكان قد احكم صلاته مع زعماء القبائل السورية من اهل البوادي فغمرهم بالعطايا وارهبهم بكثرة السلاح والرجال وارهب بهم من عداهم من الزعماء وكان علي بك مضافا الى حنكته واجتماع كلمة اهل العلم حوله واحاطة اهل الادب به من سائر الاقطار العربية وتوجه انظار الافذاذ اليه ، اديبا ماهرا وشاعرا عبقريا تتجلى في شاعريته روح الشاعر العربي الفطري حتى ان الاديب السبيتي الف كتابه الجوهر المنضد في شرح عينية علي بك الاسعد المشهورة التي يفتخر فيها بآبائه واجداده ومآثرهم وهي التي يقول فيها «١»

نعمت صباحا ربع تبنين واغتدت   بك الغيد والارام وهي روائع

ومنها

«١» ذكرنا شيئاً وافرا من شعره ومدائحه ومراثيه في الادب العاملي وفي زعماء عاملة امس واليوم وهما حلقتان من حلقات هذا الكتاب لا يزالان مخطوطين ، اطلب قصيدته العينية من ديوان ولده شبيب باشا ص ١٠٩ .

سموت بآباء كرام شعارهم　بناء المعالي حيث كيوان طالع
هم القوم من عليا نزار وطفلهم　تمائمه البيض الرقاق القواطع
وهم مهدوا من عامل كل صعبة　وهم شيدوها والرماح شوارع
وهم ورثوها بالصوارم والقنا　وفي همم تندك منها القوارع
وهم لذوي الآمال كعبة آمل　وعند لقا الاعدا رياح زعازع
ورب امرئ اودى الغرور بنفسه　فسيق لما قد سائنا وهو جازع
وجر عنان الغي منه تبخترا　ورام التي منها تطير القنازع
فكان عثورا قد كبا بغيه به　وضاق به رحب الفضا وهو واسع

وله عدة قصائد ذكرها السبيتي في شرح القصيدة وحكاها شبيب في مقدمة الديوان ومنها قصيدته الهائية التي ارسلها لبني عمه من مركز الايالة وفيها يقول «١»

«١» اطلب القصيدة في ديوان ولده شبيب باشا ص ١٠٧ وقد حكاها عن كتاب السبيتي الذي اتم الجزء الاول من المجلد الاول منه في ١١ ذي الحجة سنة ١٢٧٦ هـ ويزعم الاستاذ رضا انه نضمها بعد حادثة لبنان التي وقتها هو بانها حدثت سنة ١٢٧٩ هـ وهو اشتباه ظاهر كما انه اشتبه في توقيت حادثة لبنان بهذا التوقيت لان شبيب باشا يوقتها بانها حدثت سنة ١٢٧٧ هـ ويذكر كتاب الامير عبد القادر الجزائري لوالده بتلك المناسبة وتاريخه في ٣ صفر سنة ١٢٧٧ .

بني عمنا من آل فهر ووائـل حماة العذارى في الهياج وسورها
نشدتكم هل موقفي كان هينا لدى الحضرة العليا التي عز طورها

وكانت مكارم علي بك تتجاوز الحد فقد خرج من امواله وذخائره وأسلحته وتحفه عدة مرات وكان له هيبة وسطوة تساعده على حل المشكلات ويستنير بها في دجى المعضلات .

يحدثنا السبيتي « ١ » انه عندما حدثت الواقعة المعروفة بواقعة صفورية في فلسطين بين زعيم الاكراد في الديار الشامية شمدين زادة محمد سعيد باشا الذي اصبح بعد ذلك محافظ موكب الحاج الشريف وبين عقيل آغا الحاسي الشهير رئيس قبائل عربان الديار المصرية - الهوارة والهنادي - فتغلب الحاسي على زعيم الاكراد وقتل اخاه وتتبع فلول رجاله فاستنجد زعيم الاكراد بعلي بك الاسعد فجهز له سرية من رجاله وامده بالذخائر والمهمات وحشد معه العساكر في ارض الخيط من اعمال صفد وفرق جموع آغا الحاسي ثم كتب للوالي والمشير يخبرهما بالحادث ويستأذنهما في الحملة على عقيل آغا فورد له الجواب بالشكر على ما قام بـه وطلب الكف عن تأديبه - والظاهر انه الجأهما بعد ذلك للصلح - ثم انه وفد عليه عقيل آغا

« ١ » حكاه عنه شبيب باشـا في ديوانه ص ٩٣ و ٩٥ و ٩٦ وكلام السبيتي معقد في غاية التعقيد حتى انه يذكر الحوادث مدخلا بعضها في اثناء البعض الاخر حتى تكاد لا تتميز .

الحاسي ومعه من قومه الهوارة والهنادي ثلاثمائة فارس واهدى لعلي بك فرسا وجوادا من الخيل الجياد وكان الوالي قد نحى عقيل آغا عن منصبه فاكرمه علي بك غاية الاكرام وخلع عليه وعلى قومه الخلع الثمينة حتى انه لم يبق في منازله قطعة من القطع الثمينة النفيسة المدخرة مما بقي من الموروث عن ابائه واسلافه الا اخرجها في ذلك اليوم حتى بلغت قيمة ما اكرمهم به ثلاثمائة وخمسين الف غرش - وبالطبع ان هذه القيمة مع قطع النظر عن قيمة تلك الاشياء الاثرية - ومما اكرمهم به علبتان من الذهب مرصعتان بالالماس الثمين وخنجران ثمينان مذهبان مرصعان بالالماس والآت تبغ من الكورباء المرصع بالالماس وخمسة وسبعون سيفا مفضض القبضة من احسن السيوف ومائة بندقية وعدد من السلاح المسمى - طبنجا وقرابينة - والبس كلا من الثلاثمائة بعضهم جبة وسروالا من الجوخ وكفية من الحرير والبعض عباءة وسروالا وكفية وكان قد اشغل الخياطين الموجودين في قلعة تبنين للقيام بشؤونه والموجودين في صور وصيداء وامرهم بالاسراع بالعمل وقد عهد الى زعيم هذا الوفد بتقسيم هذه العطايا عليهم كلا بحسبه فانها وضعت في مكان مخصوص ثم اذن له بتفريقها على قومه ، ثم ان علي بك طلب من والي صيداء العفو عن عقيل آغا فاجابه الى ذلك واصدر اوامر الرضا فذهب مغمورا بالجود والاحسان والعفو والامتنان .

ويقول السبيتي ايضا «١» لما قامت الثورة في جبال النصيرية التي اضرم نارها الزعيم العلوي الكبير اسماعيل خير بك والد اهوش بك ورئيس المتاورة المعروفة بشدة البأس ووفرة العدد، دعت السلطة علي بك واستعانت به في هذه المهمة فجهز جيشا وجاء به لقاعدة الأيالة ثم بعث رسالة الى زعيم تلك البلاد القائم بهذه الثورة فوعده واوعده فما كان منه حتى حضر والقى قياده اليه، فاستعفى الوالي عنه فعفا عنه الوالي والبسه خلعة الخضوع فانصرفت الثورة وحقنت الدماء وقد ذكر الشعراء هذه الحادثة في شعرهم وسيمر على القاري شيء من ذلك انشاء الله

وعلي بك هو الذي اصلح بين آل المزيد وآل الدوخي رؤساء بني علي وكل منهما من فروع عنزة وحسم ما بينهم من خلاف وعقد راية الصلح بيده، التي كانت ولم تزل من خصائص آل علي الصغير منذ زمن قديم الى يومنا هذا فلا يتم صلح ولا تعقد راية او تآم بين قبيلتين متعاديتين من العشائر الضاربة في جنوبي سوريا وشرقها الا في دور آل الاسعد في تبنين والطيبة «٢».

وعندما حدثت الحرب الاهلية الكبرى في لبنان بين الدروز والنصارى سنة ١٨٦٠ م الموافق سنة ١٢٧٧ هـ «٣» وقف علي بك واهل بلاده موقفا

---

١ ـ حكاه عنه شبيب باشا في الديوان ص ٩٨ وزاد محمد جابر بعض الخصوصيات في العرفان في م ٢٧ ص ١٩٨

٢ ـ محمد جابر في العرفان م ٢٧ ص ١٩٨   ٣ ـ وقت الشيخ احمد

شريفا يشكره لهم التاريخ فقد التجأ اليهم كثير من منكوبي النصارى فآواهم العامليون واكرموا مثواهم ودافعوا عنهم دفاعا مجيدا لم يزل يذكره نبلاؤهم الى اليوم وبالطبع ان مصدر هذه الاعمال علماء عاملة وزعماؤها فقد حدثنا التاريخ ان النصارى اودعوا اموالهم في جباع في دار العلامة الشيخ عبد الله نعمة وفي دور آل الحر (١) ووجيههم في ذلك الوقت الشيخ علي الحر فانتهب الدروز تلك الامانات ولم يعفوا عن اموال العلامة وآل الحر فاهتز الجبل باسره واسرع محمد بك الاسعد على رأس الف فارس الى

رضا هذا الحادث بسنة ١٢٧٩ هـ في العرفان م ٢ وهو يخالف توقيت شبيب باشا في الديوان ص ٩٨ - ١٠٢ ويخالف توقيت رسالة الامير عبد القادر الجزائري التي ارسلها لعلي بك بمناسبة هذا الحادث وتاريخها ٣ ص سنة ١٢٧٧ هـ وقد اشار لهذا الحادث شبيب باشا ومحمد جابر وغيرهما .

١ - الاستاذ محمد جابر هو الذي ذكر محاولة انتصار محمد بك الأسعد للنصارى كما انه زعم ان الامانات كانت في دار العلامة الشيخ عبد الله نعمة فعقبه الأستاذ علي مرتضى الحر في م ٢٧ ص ٣٣٧ زاعما ان الامانات كانت في دور آل الحر ايضا وان الحكومة عوضت على آل الحر اكثر مما عوضت به على العلامة الشيخ عبد الله نعمة لان منهوباتهم اكثر واجابه الاستاذ جابر موافقا له غير انه ناقشه في مستنداته التاريخية قائلا انها تعرضت لأحسان الشيعة المسيحيين وذكرت آل الحر من جملة المحسنين ولم تذكر الأمانات .

جياع لمهاجمة الدروز وحاول ان يثأر لكرامة هؤلاء وينتصر للمسيحيين غير ان سياسة الدولة قضت بايقاف الهجوم وحال دونه خورشيد باشا والي ايالة صيــدا ، فسوى المسألة واعاد المنهوبات وعوضت الدولة على العلامة الشيخ عبد الله نعمة وعلى آل الحر بدل ما فقد لهم ، وعندما وقعت الواقعة ارسلت الدولة العثمانية الوزير فؤاد باشا لاخماد الثورة فاستدعى علي بك وصحبه معه الى الشام وغيرها وكان مع علي بك مايقرب من الف فارس من فرسانه الاشداء على نفقته فقسمهم ووجههم لحماية تلك الجهات فارسل سرية الى حوران وثانية الى غوطة الشام وثالثة الى وادي التيم لملاحظة حاصبيا وراشيا ونقل مصابي المسيحيين منها ومن جبل لبنان الى صور وصيداء وبيروت وكان قد آوى شطرا منهم في دار حكمه تبنين وكانت مع ذلك صداقته مع زعماء الدروز محفوظة ، واقتضى الامر ان يتوجه بنفسه الى حوران فلما وصلها توافد عليه الزعماء كولد علي من عنزة والرولا وغيرهم وكان علي بك اذا ركب تقاد له ستة جنائب من جياد الخيل مزينة بالحلي المتقن مسرجه بالسروج المفضضة المذهبة ولا يركبها احد سواه ينتقل من بعض منها لآخر متى شاء ، وكان يمتطي في ذلك الوقت صهوة عبيان الجواد الاشقر الذي قيل انه ليس له ثاني في الاقطار الشامية حاضرها وباديها ولما نظر الشيخ محمد الدوخي السمير رئيس بني علي احداها ادهشته فسأل السائس عن جنسها وكانت حمراء فقال له النعامة فذكر لعلي بك اعجابه

بها قام له فيها بما عليها فاخذها شاكرا ؛ وكان يصله وغيره من الزعماء اذا وفدوا ، ويتفقدهم بالصلات وهم في منازلهم ؛ وكان اذا حضر في المحل الذي يقيم فيه فؤاد باشا يكون عضوا فوق العادة في المجلس المشكل للنظر في الامور ، وعندما ارسل سرية الى حوران كتب الى السيد الامير عبد القادر الجزائري الحسيني وهو بدمشق ليخرج لهم تذكرة المرور على القاعدة المتخذة في ذلك الحادث فورد اليه الجواب وهذا نصه «١»

قدوة الامراء الكرام وعمدة الفخماء العظام جليل القدر والشأن علي بك المحترم ادام الله تعالى بقاه :

غب استعطاف الخاطر العاطر الفاخر مع كثرة الاشتياق لرؤياكم ؛ نم ابدي انه يوم تاريخه قد وصل لنا كتابكم المنيف وماتفضلتم به بخصوص اخراج تذكرة لوكيل حضرتكم حسب تعريفكم اخرجنا لهم تذكرة الرخصة والامرار وهو واصل لطرفكم ، والمأمول من بعد عدم ابراحنا من شريف الخاطر ، دائما اتصال التحارير والله سبحانه وتعالى يهون جميع اموركم ويديمكم بالبقاء في الانظار الملوكانية بما اظهرتم من الهمة والغيرة والخدامات السنية وادام الله تعالى بقاكم في ٣ ص ١٢٧٧ هـ

وقد بنى علي بك في نفس قلعة تبنين السرايات ـ القصور العديدة

---

١ ـ ذكر قضية واقعة لبنان ومتعلقاتها الباشا في الديوان ص ٩٨ ـ الى ص ١٠٢ عدا ما اشرنا اليه في الهامش السابق .

والدور الكثيرة والدوائر للضيفان والحشم حتى اصبحت تدهش العقول وتحير الالباب لما فيها من غريب النقش وبديع الترخيم ومبتكر الفن وحسن البناء فانه استحضر لذلك اشهر اهل الفن وقد بلغ مجموع ما انفقه في هذا السبيل ما يزيد على ثلاثة آلاف كيس وثمانمائة كيس «١» وكان يطرب لفعل الجميل ويرتاح للمكارم حتى لم يبق بيت من بيوت المجد الا وله عليه يد ، وكان لا يسمع بحاجة لاحد الاشراف الا ويسارع لقضائها وقد سطر السبيتي في الجوهر المنضد شطرا من هذه الايادي

منها انه بلغه ان السلطة اوقفت احد الزعماء من ذوي البيوتات لاستيفاء مبلغ سبعين الف غرش كانت دينا عليه فارسل معتمده فوفاها عنه واطلقه ابتداء من غير استدعاء ومنها انه بلغه ان شخصا آخر نظير الاول مال به الزمان وان عليه خمسة واربعين الف غرش فارسل بهذا المبلغ اليه ومنها انه استحضر عائلتين كبيرتين من بعض امراء بعض الديار فاسكنهما في قصوره الشامخة وبذل لهما سائر ما تحتاجانه من مال وذخيرة واقامتا على ذلك اعواما ومنها انه كان يكرم ذوي البيوت العاملية فلم ير في زمانه شخص يستحق منصبا وهو دونه «٢»

---

١ ـ الكيس في زمن نصار كان يشتمل على خمسماية غرش اما في زمن علي بك فلا اعرف مبلغه

٢ ـ ذكر هذا كله شبيب باشا في الديوان ص ٩٠ و ص ٩١

اسباب انهيار حكومة آل علي الصغير عامة.
وزوال حكم علي بك الاسعد خاصة

تعرضنا لهذه الناحية بصورة مجملة من الناحية التاريخية ومفصلة من الناحية التحليلية في ج ١ من جبل عامل في التاريخ ص ١٣٧ ، ونريد الان شرحها بصورة واضحة من الناحية التاريخية ، واسباب الانهيار تنحصر بفتنة داخلية استغلها المستعمر الاثيم ، وقد كان علي بك يعالج هذا الداء بالاساليب المختلفة واهمها بالصبر على مالا يرتضيه من ابن عمه البعيد ثامر بك الحسين ، واخيرا رأى ان يستأصل الداء ويجري عملية الانتقام فاصدر منشورا بتنحية ثامر عن مقاطعتي جبل هونين ومرجعيون وتعيين ابن عمه الآخر محمد بك الاسعد مكانه وكان محمد بك لايقل عن علي جرأة ونبلا وكان يده الجبارة التي يعدها للبطش والانتقام فقد كان محمد البك فارسا معروفا بالرمي اديبا شاعرا سخيا لكن هذه العملية ادت الى القضاء على حكومة آل علي الصغير واستبدالها بالحكم العثماني المباشر .

وعندما تحدثنا عن حمد البك تحدثنا عن شطر وافر من حياة علي بك

ولم يسم القوم تكريمة لهم وابتعادا عن المن بالأحسان .

وكانت الظروف التي مرت عاملا فعالا في تهيئة اسباب الحكم لعلي بك الاسعد ، وينبغي ان نشرح العوامل الثانية التي اندكت على اسسها هذه الحكومة العتيدة التي كانت ترى ثابتة الاركان محكمة البنيان .

وينبغي قبل كل شيء ان نحدث القارىء عن ثامر الحسين وعلي بك الاسعد المحمد المحمود ، فان التحدث عن علي بك يكون هو والتحدث عن ثامر بك حلقة واحدة مستديرة ، ولا يسعنا ان نفهم شخصية واحد منها قبل ان نفهم شخصية الآخر فيها في اصطلاح المنطقيين في سلسلة واحدة من العلل والدور فيهما معي ، واذ اخذنا صورة عنهما نكون وضعنا بين يدي التاريخ صورة واضحة عن الوضع السياسي الداخلي في عصرهما .

ثامر بك الحسين :

ابن الشيخ حسين السلمان ابن الشيخ سلمان العباس « ١ » ابن علي المحمد ابن الشيخ محمد النصار ابن الشيخ نصار الاحمد وهنا يلتقي نسبه بنسب علي بك الاسعد « ٢ » ونصار الاحمد هو الزعيم الشهير الذي خلفه بنوه

---

١ ـ هذا النسب ذكره الى هنا شبيب باشا ص ١١١ .

٢ ـ وهذا ذكره محمد جابر في العرفان م ٢٧ ص ٢٩٦ وينبغي ملاحظة مامر في هامش هذا الكتاب ص ١٨١ و ٢٠٤ ليعلم كيفية اتصال نسبيهما .

وتفوق بعده ولده ناصيف وكان هذا الفخذ من ابناء علي الصغير يسمون بآل نصار فكل من ثامر وعلي بك من آل نصار :

« توفي ثامر سنة ١٢٩٨ هـ في قرية ميس من جبل عامل مجتازاً بها بعد ما مرض ثلاثة ايام وهو شيخ كبير ودفن فيها وحكم ابوه حسين بك السلمان سنة ١٢٥٨ هـ (١) وكانت بنت جبيل دار حكمه وقد بنى فيها السراي ومكث بها سبع سنوات وتوفي سنة ١٢٦٥ هـ فاقيم مكانه ولده ثامر بك باسم مدير جبل هونين (٢) »

وكان حسين بك السلمان هو الزعيم العاملي الوحيد الذي سالم المصريين عند احتلال ابراهيم باشا لسوريا وكان صديقاً حميماً للامير بشير الشهابي الثاني وكانت له مشيخة المشائخ على عهدهم (٣) وكانت وفاة ابيه سنة ١٢٦٥ هـ على عهد حمد البك ولا يبعد ان يكون حمد البك ولى حسيناً الحكم قبل وفاته بسنة كما تشير لذلك رواية المقدمة التي ذكرناها في الهامش الآنف ، كما ان الظاهر ان الزعامة العامة (مشيخة المشائخ) انتقلت من حسين السلمان الى حمد البك وكان ثامر اسن من علي بك ، ومن اجل سنه وسابقة ابيه في مشيخة المشائخ كان يرى نفسه

---

١ - ذكر الخال في المقدمة انه حكم سنة ١٢٦٤

٢ - ما بين الاهلة ملخص عن اعيان الشيعة للعلامة الامين ج ١٥

٣ - محمد برجا في العرفان م ٢٧ ص ٢٩٦

احق من علي بك في الزعامة المطلقة وكان ثامر يحكم مقاطعتي جبل هونين ومرجعيون كما يقول جابر ويقول العلامة الامين انه اول من لقب بالبك من حكام جبل هونين ولبس الطربوش كما ان اول من لقب بالبك ولبس الطربوش من بني عمهم حمد البك وكان الامراء منهم قبل ذلك يلقبون بالمشائخ وكذلك الامراء الصعبية والمناكرة ويلبسون العمائم والتبشات وذلك في عهد السلطان عبد المجيد فانه اول من لبس الطربوش واللباس الافرنجي من السلاطين العثمانية ، وكان اسلافه يلبسون العمائم وما يشبه الجبب ويقول الاستاذ جابر وفي تلك الايام يعني سنه ١٨٦٠ م ابدل زعماء العشائر زيهم القديم ولبسوا الطربوش العزيزي بدلا من الطربوش المغربي بعد ان نزعوا العمائم على عهد المصريين وخلعوا سراويل الجوخ العريضة والدامر القصير ولبسوا الملابس الافرنجية زي هذه الايام اقتداء برجال الدولة عدى ثامر بك فقد بقي بلباسه العربي حتى وافاه الاجل (١) .

وقد اضطربت الرواية في وقت تنصب ثامر وفي وقت سفره الى مصر والاستانة وفي وقت حربه او حروبه لعلي بك ، والذي نفضله

---

(١) لاحظ رواية الأمين وجابر في الأعيان والعرفان لتعرف موضع الاختلاف فان الامين يقول ان ثامرا اول من غير زيه وجابر يقول انه لم يغير زيه ابدا .

الساعة هو الاقتصار على رواية الاستاذ محمد جابر مستسلمين لها فانها رواية ضافية ... ؟

الحرب الداخلية

بين علي بك وثامر الحسين « ١ »

قدم سوريا سنه ١٨٦٠ م فؤاد باشا السياسي التركي المعروف وكان يومئذ وزير الخارجية العثمانية وقد ارتقى بعدها لمقام الصدارة العظمى ارسلته الدولة مندوبا فوق العادة لاصلاح شؤون سوريا اثر الحروب الاهلية التي شبت بين الطوائف في دمشق ولبنان ووادي التيم : ووفد عليه زعماء جبل عامل برئاسة علي بك الاسعد ومعه مايزيد عن الف

(١) مانذكره تحت هذا العنوان مأخوذ برمته عن العرفان م ٢٧ ص ٢٩٦ وهو بقلم محمد جابر وقد وافقه كل من الخال في المقدمة والامين في اعيان الشيعة وشبيب باشا في الديوان في شيء مما ذكره واستقل هو ببعض النتف وسنشير في التعليقات لشيء مما زادوه عليه .

فارس من خيرة فرسان الشيعة وابطالها فاكرم الوزير وفادتهم واثنى على طاعتهم واحتفى بعلي بك واعلى مجلسه وعينه عضوا مستشارا في المجلس الاعلى الذي الفه للنظر في شؤون سوريا والتحقيق في الفتن التي ثارت فيها واوكل اليه حفظ الامن في ضواحي دمشق وحوران ووادي التيم وحماية منكوبي المسيحيين وتأمين نقلهم الى السواحل ومطاردة الثوار الفارين فقبضوا على جماعة ، منهم حسين بك جنبلاط ، احد قواد الثوار وعوتبوا على ذلك من بعض اعيان الدروز فاجابوهم « حسين بدل عن حسين » (١) . . .

ويحدثنا رواة ذلك العصر ان فؤاد باشا لم يرق له نفوذ علي بك الاسعد وسلطته الواسعة ووفرة جنوده واعوانه وكانت الدولة بدأت باصلاح نظام الادارة والغاء الحكم الاقطاعي غير ان حراجة الموقف واشتعال البلاد بالثورات الاهلية وما اتخذه علي بك من الاحتياط والحذر من غدر الترك دعاه الى تأجيل اغراضه لوقت مناسب وكان يلاطف علي بك ظاهرا ويطوي اخلاصه .

---

(١) اما الاول فهو حسين بك جنبلاط واما الثاني فهو حسين بك الشبيب الصعبي الذي قبضه الدروز غدرا في ضواحي الشام وسلموه لشريف باشا الوزير من قبل ابراهيم باشا المصري وشنقه هو وخادمه موسى قليط لاحظ قصته فيما مر من هذا الكتاب ص ١٨٣

وقد استصدر له الارادة السنية السلطانية بتلطفه برتبة (قوبجي باش) في حين انه يرسم الخطط سرا لقلب حكومته والقضاء على نفوذه «١» :

الحرب بين علي بك الاسعد وثامر بك الحسين

كان بين علي بك الاسعد وابن عمه ثامر بك الحسين خلاف قديم

---

(١) اما شبيب باشا في الديوان ص ١١١ فانه ينسب اشعال نار الفتنة الى محمود خورشيد باشا الذي كان بمعية فؤاد باشا في حادثة لبنان واصبح بعد ذلك والي ايالة صيداء فاعان ثامر بك ويقول انه لم يكن بينه وبين علي بك الفة منذ اجتمعا في معية فؤاد باشا ، وانه في ذلك الوقت تشكلت ولاية سوريا من ايالة الشام وايالة صيداء واتخذت دمشق قاعدة الولاية وعين اليها شرواني زادة محمد رشدي باشا الذي نال بعدها الصدارة العظمى وكان هذا صديقا لعلي بك فمن ثم اعلمه بالامر وارجعه لما كان ولكن القدر عاجل علي بك لوجود الوباء هكذا يقول الباشا في ديوانه لاحظ ص ١١٤ نعم اذا صح ان علي بك مات مسموما كان هذا اشد دهاء ومكرا وكان الامر مدبرا من قبل فؤاد باشا واشباهه كما يقول الاستاذ محمد جابر .

وتنافس على الزعامة الاولى فاذكى نارها فؤاد باشا ومن خلفه من رجال الدولة على عادة الترك وقاعدتهم المعروفة فرق تسد . . . . وكان ثامر بك معروفا بالشجاعة والصراحة . . . وكان يتقلد سيفا عريضا يعرف (بالبالة) لا يفارقه في سفر او حضر حتى لقب بابي « بالة » وهو الزعيم الوحيد الذي نافس علي بك في زمن صولته وزاحمه مزاحمة شديدة على رئاسة العشائر وشهر عليه حربا عوانا وكانت شجاعته تفوق تدبيره فلم يكتب له الفوز جرى ذلك في سنة ١٨٦٢ م ففارق البلاد قاصدا مصر بطريق البر ترافقه حاشية كبيرة ونزل ضيفا على الحكومة المصرية فاكرم سعيد باشا الاول خديوي مصر وفادته واحله محلا رفيعا وامر باعداد دار رحبة لنزوله والقيام بضيافته وعلائف خيوله واهدى ثامر بك للجناب الخديوي عدة افراس من جياد الخيل واقام مدة في مصر مشمولا برعاية الخديوي ثم عاد منها الى سوريا وسار توا الى الاستانة ويقال ان الغاية التي كان يرمي اليها في رحلته الى مصر هو طلب وساطة الخديوي لدى الباب العالي بمنحه حكومة جبل عامل ورئاسة العشائر كلها وكان يرى نفسه احق بالزعامه العامة من علي بك الاسعد لانه اكبر زعماء العشائر سنا ولانها كانت لابيه الشيخ حسين السلمان في عهد الحملة المصرية على سوريا في سنه ١٨٣٢ م . . . . وحل ضيفا في الاستانة على محمود نديم باشا الصدر الاعظم وقدم له هدايا ثمينة منها سبحة من الجوهر قومت بالف

وخمسماية ليرة ذهبية «١» وعاد من الاستانة وقد انعمت عليه الدولة برتبة (سار دركاه عالي) رئيس حجاب الحضرة العلية وبراتب شهري مقداره خمس عشرة ليرة ذهبية واعطي امرا بابقائه معاطعجي اي صاحب مقاطعة وقيل بحكومة جبل عامل كلها بدلا من علي بك الاسعد فاتسعت مسافة الخلاف بينهما واشتد النزاع وثارت المعارك في سهول تبنين وسالت الدماء

(١) يقول العلامة الامين في اعيان الشيعة ج ١٥ وجرت بين ثامر وعلي بك عدة حروب مرة في سهل تبنين ومرة في مرجعيون ثم عزل ثامر وجعلت الدولة بدلا عنه نصيف آغا وهو رجل تركي فذهب ثامر الى الاستانة على عهد السلطان عبد العزيز فلما كان يوم الجمعة وخرج السلطان الى السلاملك وقدم اليه جواده فركبه هتف ثامر بك قائلا - آفرين راعي الحصان - فاعجب السلطان ذلك وعرف جرأته وشجاعته وقوة قلبه وكان الناس شأنهم في ذلك الموكب الصمت فسأل عنه فاخبر به وسأله عن سبب قدومه فاخبره ثامر باعادته الى المديرية ثم عزل والغيت مديرية بنت جبيل والحقت بصور ثم اعيدت وعين لها اخوه سلمان بك فبقي اربعة اشهر وتوفي سنة ١٢٨٦ هـ ولما كانت سنة ١٢٨١ هـ وتوفي علي بك حاكم تبنين بدمشق الغي الحكم الاقطاعي في جميع بلاد جبل عامل وقسمت الى قائمقاميات ومديريات انتهى

وربما يلاحظ القارىء شطرا من الاختلاف بين رواية الامين وغيره.

وادرك علي بك خطورة الموقف وخشي مفاجأة الحوادث وكان يعلم ان حكومة بيروت وكانت مركز ايالة صيداء يومئذ تشد عضد ثامر بك سرا فارسل قبل نشوب الحرب جانبا من تحفه وامواله ورياش قصوره فاودعها في امانة الحاج درويش صاحب ميفذون قرية جنوب النبطية تبعد عنها ميلين وسعى بعض الاعيان باصلاح ذات البين بين الزعيمين فلم يفلحوا فطلبوا من مشير الايالة التدخل لايقاف الحرب فاوفد المشير احمد باشا الصلح وكان يشغل مديرية سياسة العشائر ورئاسة الترجمة مندوبا من قبله على رأس فرقة من الجند لحسم الخلاف فوصل المندوب بالعساكر النظامية والحرب قائمة على قدم وساق فخاض ساحة المعركة ودخل بين صفوف المتحاربين تحت وابل من الرصاص فاوقف رحى الحرب واصلح بين الزعيمين واصابت رصاصة جواده فقتل تحته والى هذه المعركة يشير نسيبنا الشيخ ابو الحسن محمد جابر اليانوحي وهو من شعراء القرن الماضي من قصيدة له في مدح الصلح

فسل تبنين يوم اثير فيها	عجاج النقع وارتفع الغبار
اتاها احمد بالصلح يسعى	ورايات الصلاح له شعار
على الامرا اشار بكل حزم	بحسم الحرب فاتحدوا وساروا

وبقيت الرئاسة العامة لعلي بك واكتفى ثامر بك بمقاطعته ولم يدم هذا الاتفاق طويلا وتجدد الخلاف سنة ١٢٨١ هـ - ١٨٦٤ م وفيها اصدر

علي بك منشورا بصفته حاكم المقاطعة العام وشيخ مشائخ بلاد بشارة بعزل ثامر بك من مقاطعتي هونين ومرجعيون وتعيين محمد بك الاسعد مكانه « ١ » غير ان والي صيدا خورشيد باشا لم يصادق على هذا التعيين لانه يخالف الخطة السياسية التي درج عليها من اضعاف سلطة علي بك فجاء الى صيدا وحل ضيفا في دار آل الجوهري في البستان المعروف بالرابوطية شرقي المدينة .

وكان علي بك الاسعد اذا سار بواكبة خمسماية فارس شاكي السلاح على خيول مطهمة قد تقلدوا السيوف المحلات اغمادها بالذهب والفضة والقرابينات الضخمة الواسعة الفم بايديهم ازماح ومن خلفه ستة جنائب من جياد الخيل العربية وامامه علم خاص وتضرب بين يديه النقارات وهما طبلان صغيران متلاصقان يضعها الفارس على عاتق جواده يضرب عليها على نغم خاص ولا يكون ذلك الا لكبار الزعماء الاقطاعيين :

قدم علي بك وابن عمه محمد بك بهذا الموكب الى صيداء بطلب من الوالي واصطفت الخيول والفرسان على جانبي الطريق من الجادة الممتدة من اول شارع الجبانة حتى بستان الرابوطية ودار بينه وبين الوالي حديث ثامر بك واعرب الوزير عن رغبته بابقاء ثامر بك على رأس

---

(١) يقول شبيب باشا في الديوان ان اباه التمس على هذا العزل والتنصيب لاحظ ص ١١١ من الديوان .

مقاطعته احتراما لمقامه وكبر سنه واجاب علي بك اني حاكم المقاطعة العام والمسؤل عن ادارتها بمقتضى المراسيم السلطانية التي منحتها الدولة لاسلافي واني لااستعيد منشورا اصدرته لمصلحة المقاطعة ولا اقبل باعادة ثامر بك حفظا لمعنوية حكومتي والمسألة بين امرين اما مصادقة صاحب الدولة يعني الوالي واما قبول استقالتي فامتعض الوالي ولم يعتد بسماع هذه الاقوال واصر على انفاذ امره ولم يتزحزح علي بك عن موقفه فزاد الوالي حنقا وقبل استقالته فنهض علي بك مودعا وقال اني اطرح مسؤلية ما يقع في البلاد من الطوارىء على عاتق صاحب الدولة، فارتاع الوالي لكلمات علي بك وخشي سوء العاقبة واغتنم بعض جلساء السوء هذه الفرصة للايقاع بعلي بك واعربوا للوالي عن خطورة المسألة وان علي بك خرج ساخطا ومحمد بك خرج مهددا وسيهاجمان باعوانهما الثكنة العسكرية ومركز الحكومة ورجالهما ابطال اشداء لايهابون الموت فامر الوالي قائد الجند العام المرافق له ان يبتدع وسيلة لاعتقال الزعيمين وارسالهما الى بيروت فزارهما القائد وتلطف بهما ودعاهما لشرب القهوة في مقره بالثكنة العسكرية للبحث في حل المسألة وسار الزعيمان الى الثكنة ولم يدر في خلدهما ان الامر خديعة اغترارا بقوتهما وما لهما من النفوذ العظيم في البلاد ولما شربا القهوة ابلغهما القائد امر الوالي بابقائهما ضيفين عنده حتى ايابه من عكا وفي الليل سير بهما الى بيروت تخفرهما

قوة كبيرة من الجند النظامي وقيل انهما انزلا سفينة حربية كانت راسيه في ميناء صيدا فاقلتهما الى بيروت وامر الوالي بابقائهما في بيروت طليقين الى ان ينتهي التحقيق في المضابط المتقدمة من بعض الخونة الذين لبوا طلب الحكومة فلفقوا عليهما دعاوى باطلة «١»

---

(١) يقول شبيب باشا في الديوان ص ١١١ و ١١٢ و ١١٣ ان الوالي كان متوجها الى عكا فاستطرق على صيداء وطلب مواجهة علي بك ومحمد بك فجاآ الى صيدا وكان حديثهما في اليوم الاول في امور عادية وفي اليوم الثاني جاء الوالي الى المحل الذي يقيم فيه علي بك وفتح معه الحديث فكان ماذكره محمد جابر ويقول الخال في المقدمة ان الوالي اشغل علي بك بالحديث ثم امر مناديا ينادي في رجاله واتباعه بالرجوع فظن رجاله ان البك اذن لهم بالرجوع فرجعوا ثم ابلغهما الامر بالبقاء ثم امرهما بالسير الى مركز الايالة وارسل معهما اربعة من الشرطة فسألاه عن الشرطة فقال هم خدام لسعادتكم ثم منعهما من العود وبقيا طليقين ولم يسجنا مخافة الثورة وبقيت الناس تترقب قدومهما وتستعد لاستقبالهما الى ان جرى عليهما ماسيذكره محمد جابر وهو يوافق المقدمة والديوان وزاد في الديوان ان الوالي عندما خرج من صيدا متوجها الى عكا وانتهى الخبر الى تبنين تلقاه شبيب باشا واخوه نجيب بك ومعهما جمع من حشم ابيهم وكانا صغيرين ودعياه الى مقرهما فاجاب ولبث في قلعة تبنين بضعة ايام وكان معجبا بطيب الهواء وبداعة الفن والاتقان في البناء وقال انه

ولبثا في بيروت اشهراً لا يسمح لهما بالرجوع الى بلادهما وفي خلال ذلك الغى الباب العالي ايالة صيداء وضمها الى ولاية الشام تحت اسم ولاية سوريا وجعلت بيروت (سنجق) متصرفية تابعة للشام وتعين لولاية سوريا شرواني زادة محمد رشدي باشا وكان من رجال معية فؤاد باشا خلال وجوده في سوريا وصديقا لعلي بك الاسعد منذ تلك الايام فبسط علي بك للوالي الجديد قضيته وتحامل خورشيد باشا عليه لعداء قديم بينهما فاحسن خورشيد باشا استقباله وطيب خاطره ووعده باعادته الى مقاطعته مكرما .

والظاهر ان هذا الوالي كان اكثر دهاء من خورشيد باشا ومخالفا له في اسلوب ادارته ودعى علي بك ومحمد بك الى دمشق ووعدهما باعطائهما الاوامر باعادتهما للمقاطعة فوافياها وقد داهمهما الهواء الاصفر « الكوليرا » فلم يلبث الاول ان قضى نحبه في ربيع الاول سنة ١٢٨٢ هـ ١٨٦٥ م ودفن في مقام السيدة زينب بنت الامام المرتضى عليه السلام وتوفي الثاني بعده باربعة ايام ودفن في مقام السيدة رقية بنت علي عليه

ـ لم يجد لهذا المكان نظيرا في جميع تلك الديار و كان معه جمع من الاعيان وكان غرضه الاول من مروره العثور على مستمسك يحتج به امام السلطة ولكنه ندم على ما سبق منه ولم يسعه تكذيب نفسه امام السلطة .

السلام وقيل بل ماتا مسمومين .

ومما ينبغي ان نثبته ولا يفوتنا ذكره ان تامر بك اسقط في يده لما اعتقل الزعيمان وادرك حقيقة مقاصد رجال الدولة فعرض على ابناء عمه مساعدته والقيام بثورة ضد السلطة فابيا عليه ذلك حتى لا يزيد الخرق اتساعا وان سعد الدين بك الامين الزعيم المعروف من آل صعب جاء الى صيدا باعوانه بقصد مهاجمة الثكنة العسكرية واستخلاص المعتقلين فوصل بعد فوات الوقت وارسالهما الى بيروت .

الى هنا ينتهي ما اخترناه من حديث الاستاذ محمد جابر ولكن الخال في المقدمة يقول انهما نزلا في دور بعض الشيعة وان الوالي كان في كل يوم يقول لهم لا تذهبوا لنا معكم مخابرة فاذا جاؤا تشاغل الى ان وقع الوباء فدعاهم هو او بعض رجال الدولة على مائدة فمات علي بك ثم اصدر الامر الى محمد بك في اليوم الثاني وامره بالاسراع لملافاة شؤون علي بك فمات في اليوم الرابع لاحظ ديوان الباشا في هذا المقام .

وقد كان لعلي بك حظ من الادب والادباء فكان الشعراء يقصدونه بمدحهم لا لنيل نواله فقط بل لانه يتذوق الادب ويقدره ولو جمعت مدائحه لبلغت عدة مجلدات واما مراثيه فقد كانت كثيرة طبعا ولنشر لنبذ مما حملته لنا الكتب قال العلامة الفاضل الشيخ ابراهيم افندي الاحدب نائب قضاء بيروت وقتئذ من قصيدة

طويلة « ١ »

وفي ربيع قضى من للانام يرى ربيع فضل به يحيا الثنا العطر

به خواطر اهل المجد قد شغلت فقد الخطير له بين الورى خطر

وممن ارخ عام وفاته الاديب الشهير الشيخ عبد الله البلاغي وقد نقش هذا التاريخ على قطعة من الرخام كبيرة بخط حسن وضعت في الحائط فوق قبره الى جانب منبر حرم السيدة زينب ابنة امير المومنين ع وهو هذا

مضى رأس العشائر عاملي امير من بني نصار اوحد

الى دار النعيم فحل فيها مقيما في ولاية آل احمد

عليه كلما همت الغوادي سحائب من رضى الرحمن سرمد

وقد ارخته لعلي سعد بجيرة زينب سعد ابن اسعد

وهذا التاريخ ناقص سنتين وقد روى في الديوان شطرا من مدائح علي بك للسبيتي وللشيخ علي زيدان وللشيخ حبيب الكاظمي وللشيخ محمد حسين واخيه الشيخ عبد المطلب ولعلهما من آل مروة والشيخ محمد حسين قد اشار الى قضية اللاذقية في قصيدته حيث يقول : ـ

ومضطغن باغ ملكت قياده وكم حاسد قد حاد عنك منكبا

وقدت لارض اللاذقية جحفلا واظهرت للاعداء يوما عصبصبا

---

(١) ديوان الباشا ص ١١٦ .

فاذعن منقادا اليك عميدها حقيراذليلا بعدماان كان مغضبا

وممن مدحه السيد عبد الله النصري الطرابلسي مفتي صيدا الاسبق ومنهم السيد عبد الله ابن السيد علي الامين والعلامة الشيخ محمد علي عز الدين وقد ذكر شطرا من شعرهم وبعضه من ابلغ الشعر ونحن نؤجله الى الحلقة المتضمنة للبحث عن الزعماء « ١ » وممن مدحه ورثاه الشيخ عباس القرشي وبما ان ديوانه لم يزل مخطوطا وقدعثر عليه قبل ايام نستحسن الاشارة الى جملة من مدائحه ومراثيه حفظا لها من الضياع (٢)

« ١ » ينبغي ملاحظة ديوان الباشا ص ٧٢ ـ الى ص ٨٨ للاطلاع على هذه المدائح عدى ما ذكره بمناسبة زفافه وغيره .

« ٢ » وينبغي ان نشير في هذا الهامش الى ترجمة القرشي والى ديوانه ، كان العامليون لا يحفظون له ازيد من مقطوعتين او ثلاث وكان ذووه كذلك ولا يعرفون اين انتهت حياته ولكن في هذه السنة وهي سنة ١٣٦٦ هج جاء الفاضل الشيخ عباس ابن الحاج خليل النبلي زائرا للائمة عليهم السلام فتعرف بآل القريشي ودفع اليهم ديوانا مخطوطا اشتراه من بعض مكاتب حلب ببضع ليرات سورية قائلا انكم احوج مني اليه واقوى على حفظه مني وقد طلبت الديوان من احفاد ارحام هذا الاديب الشيخ باقر والشيخ حسن القريشيين فوجدته يحتوي على نحو من ١٤٠ صحيفة وفي كل صحيفة نحو من عشرين بيتا او اكثر ولهذا الشاعر ظاهرة يمتاز فيها وهو انه لا يطيل في شعره ولا يفوته الابتكار ولا تتجاوزه النكتة وهو

ـ مع ذلك مداح مبدع وهجاء مقذع وقد تناول بهجائه بعض اشراف العامليين كآل نعمة وآل عسيران وكان يخصص من آل نعمة الشيخ حسن نجل العلامة المقدس الشيخ عبد الله نعمة والذي نعتقده ان مجونه كان لا يروق لأهل هذا البيت وانه وجد له مساعدا فقد صرح في شعره بان الشيخ علي الحر دفع عنه اعتداء الشيخ حسن وقد رمى الشيخ حسن بما هو بريء منه قطعا ولكن مجونه دفعه الى ذلك فان القريشي يقر على نفسه باقتراف جملة من المحرمات ويستغفر منها احيانا وذلك كله لا يجعلنا نؤمن بانه كان كما يقول فان جامع ديوانه يصرح بانه عندما استنسخ الديوان وجد فيه ما لم يكن يظهر من هذا الشاعر وان ظاهره الدين والنزاهة ثم يعتذر الناسخ بان ناقل الكفر ليس بكافر كما انه يظهر من شعره ان علي بك الأسعد لم يقبل عليه في اول الامر وانه بعد ذلك اصبح من اقرب الناس منه حتى انه اختلس فرصة للفرار من علي بك وترك بيتيه المشهورين فى غرفته الخاصة به في قصور علي بك اللذين يتناقلها ادباء عاملة وهما ــ

زرت ابن اسعد فما نهلت انامله

ولمنشر لترجمة هذا الشاعر : ساح في اكثر البلاد العربية وفي ايران وتركيا وكان محررا في جريدة الجوائب واستطرق حلب فاقام بها مدة ثم تركها واعدا بالعود بعد ستة اشهر فعاد اليها بعد عشر سنوات مريضا في سنة ١٢٩٩ هـ في رمضان فتوفى فيها في ٢٢ ذي الحجة من السنة المذكورة واستولت الحكومة على متروكاته باعتبار ـ

قال من قصيدة ٠ –

ابا السعود ان يفض ماء الندى　　فانه من كفك اليمنى نبع

او يورى في داجي الخطوب ثاقب　　فانه من رأيك الواري سطع

لو يقتدي بظنك الجاهل في　　ما قدر الله على الغيب اطلع

ان الذي باراك في شأو العلى　　به العثار مولع اي ولـــع

محوت بالعدل الذي سرت به　　ما نقش الجور وخطت البدع

ذكرت في صفحه ٣٢ من الديوان المخطوط وقال في رثائه

في صفحة ٨٥ منه

سقى ثرى صرت له صيب　　يعشب ارضا لم تكن تعشب

كنت فتى ما امه راغب　　فآب الا وهو مستحقب

مامات من ظل له يا ابا　　السعود ذكر بعده طيب

– انه لا وارث له وباعتها فاشتريت اوراقه لاجل ديوانه واستنسخ السيد احمد وهبي ابن السيد محمد درويش منه نسخة لنفسه وفرغ منها في ٤ رمضان سنة ١٣٠٠ ﻫ وفرغ من الترجمة في سادس رمضان من السنة المذكورة وذكر قطعا من الشعر نسبها للمتنبي احتفاظا بها لانها غير موجودة في الديوان وقد اثنى عليه هذا الكاتب بالحفظ والدين والاستقامة وحبه للتشيع وبانه كان من ابرع الناس اذا حدث واجودهم طريقة . . .

لا سرني بعدك دهري ولا　　استعذب في فيّ الذي يعذب
لو لم تمت لم ادر ان الندى　　بعدك من اهل الندى يذهب
صلى عليك الله في موقف　　يشهده المحسن والمذنب

وقال في رثائه ايضا

ابعد علي لا وربك لم يطب　　لي العيش في الدنيا ولم يصف موردي
فان كان غيري يكره الموت انني　　حبيب الي الموت بعد ابن اسعد
واني وان سر العدو رزيتي　　لذو عزمة لا تنثني وتجلد

وقال ص ٨٧ من الديوان المخطوط ايضا

زرت ابن اسعد فانهلت انامله　　علي من جودها بالوابل الغدق
حتى انصرفت بلا اذن ولا عجب　　اني خشيت على نفسي من الغرق ١

وقال ايضا

ابا السعود لو ان المال يحرسه　　من راحتيك قضاء الله ما سلما
ما ذا علي اذا جار الزمان ولم　　يكن سواك به ما بيننا حكما

« ١ » قد قال هذين البيتين معتذرا عن انصرافه بدون اذن بعد ما منعه علي بك عن الانصراف وقد كان هذا الشاعر يشكو شدة الملق وديوانه مملوء من مثل هذه الشكوى ومما قاله :

الفت عسري حتى لا يفارقني　　كعاشق لم يطف يوما بمعشوق
فما فؤاد ام موسى حين فارقها　　موسى بافرغ من كيسي وصندوقي

وله من مقطوعة ص ٨٩

لان قضى حمد نحبا وكان لنا بحرا فانت لنا من بعده الديم

لا قلص الله عنا ظل عرفك يا ابا السعود ولا زلت بك القدم

وقال في ص ٩١ و ٩٢ ونظن ان عليا كان يستعذب ملحه ويستزيده منها

علي يا ابن اسعد لا تلمني فليس علي في عتبي ملامة

اراك وعدتني ومطلت وعدي اظنك منجزي يوم القيامة

* * *

لاعذر للمتناسي عهد صاحبه وانما العذر بين الناس للناس

كانت مواعيدكم راسا على جسد مالي ارى جسدا منها بلاراس

ضحت مواعيدكم مرضى وليس لها نفسي فداكم سوى انجازها آسي

والله لو كلفت نفسي من ابن ابي السعود مالم يطقه سائر الناس

لشاهدت عينه مني اخا ثقة كما يشاء على عدمي وافلاسي

* * *

اجبني فديتك ياما طل ويامن بلقياك لي باخل

ويامن نداه يجيب الندا اذا ما دعا غيره السائل

وياخير مأوى من الحادثات يا من به شرفت وائل

اذا لم تلد واقضى حولها فقل لي متى تلد الحامل

وقال لما اعتقل خورشيد باشا علي بك الاسعد في بيروت

ولما غدوتم فرج الله عنكم ... بيروت في قصر مشيد لدى الاسر
وابدت اعاديكم شماتا واصبحت ... تشد الي الطرف عن نظر شزر
لقد كدت ابكي من عظيم مصابكم ... ولكنني الق المصيبة بالصبر
ولو لم يكن امر ابن اسعد بغتة ... لشد على خورشيد ما هان من امر
واضحى علي بين فرسان واشل ... بمرهفة بيض ومشرعة سمر
ولكن اذا ما الله شاء مشيئة ... اتتك بها الايام تمشي على قدر

***

تالله ما سجن السجان من رجل ... طلق اليدين كمسجون بيروتا
كان الارامل والايتام في سعة ... فاصبحت لم تجد من بعده قوتا

***

اهوى لقاك ابا السعود فكيف بي ... ما جئت الا ردني البواب
ما كان عهدي يا ابن اسعد قبلها ... تنهي وتأمر دونك الحجاب

وله فيه مدائح اخرى ومدح ابا فائز محمد بك الاسعد بمقطوعة واحدة وهي :

يا ابا فائز فديتك قل لي ... هل يكافيك بالثناء الشكور
وكثير الثناء فيك قليل ... وقليل النوال منك كثير
لم تزل هذه اياديك فينا ... وسواء شكورها والكفور

وقد اكثر من مدح ابي الجواد محمد بك من آل منصور من آل علي الصغير وقد صرح بذلك ص ١١٣ من الديوان المخطوط وكان جواد بك يقيم في جبع وابوه يقيم في القاقعية وقد استفدنا ذلك كله من هذا المخطوط ويسميه جواد بك الاسعد ولعل منصور المشار اليه هو منصور الذي مر ذكره في كتابنا هذا ص ٧٠ وقد مدح آل منكر بقوله :

اشهد بالله بان الندى والبأس في ايدي بني منكر
قوم هم القوم الذين امتطوا سياسن العزة والمفخر
سالمهم تسلم واما تكن حربا لهم فرد ولا تصدر

وقد يكون في الديوان شؤون اخرى ولم يكن لنا من الوقت اكثر من ساعتين انفقناهما في دراسته وهو ديوان تاريخي ونستبعد ان يكون هذا المجموع يحتوي على جميع ما نظمه هذا الشاعر وقد تعرض فيه لجملة من البيوتات النجفية والايرانية والبعلبكية كآل زغيب .



بعد وفاة علي بك ومحمد بك

انتهت حياة هذين الزعيمين وبانتهائها انتهت حياة جبل عامـــل المعنوية وخسرت البلاد عزها وفقدت استقلالها وخيم عليها الذل وحكمها العثمانيون حكما مباشرا وقسمت الى ثلاثة اقضية ، صور ، وصيداء ، ومرجعيون وخضعت لنظام الجندية القاسي ولاستيفاء الضرائب وتقلص ظل العلم من عاملة حتى قال الشيخ محمد مغنية في مخطوطه انه بعد علي بك اشتغل اهل العلم بامور معاشهم فكنت لا تجد من يذاكر بمسألة علمية : وهذا يدلنا على ان علي بك الاسعد كان يتعهد المدارس والمعاهد والعلماء والطلاب ويقوم بنفقاتهم ، واننا نرجح الوقوف عند هذا الحد لان المصادر التي نعتمد عليها في التطورات بعد هذا العهد منحصرة بالمقدمة التي هي بقلم الخال على انه اجمل الحديث واختصره في صحائف ، على ان

العهد قريب والشيوخ يحفظون ما كان في هذا العهد ، كما ان الصحف تحمل صورة عن الحياة في هذا القرن وهو القرن الرابع عشر الهجري ، ولكن المؤرخ لا ينبغي له الوقوف عند اقوالها وارائها لان الصحف في هـذا العصر كالشعراء في العصر العباسي تهجي بلا ثمن ولا تمدح الا بثمن ، واذا انتهت الحياة الفكرية الى مثل هذه المهازل فعلى التاريخ ان يقف موقفه الصريح وان يجاهر بكلمته ، ونحن لا ننكر ان في الصحفيين من يكون رائده الاخلاص ولكن كيف السبيل :

وكل يدعي وصلا بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاك

ولنقف عند هذا الحد حامدين الله سبحانه مصلين على النبي محمد
وعلى آله البررة الاطهار مؤجلين طبع الحلقات الباقية من الكتاب
الى فرصة اخرى وان كنت لا آمن عليه الموت كما ماتت
المصادر العاملية من ذي قبل وحسبنا
الله وهو نعم الوكيل ولا حول
ولا قوة الا بالله
العلي العظيم

فهرست الجزء الثاني من كتاب جبل عامل في التاريخ

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع
٨٨	واقعة القنيطرة ومرج دميش الاولى
٨٩	واقعة انصار الثانية هكذا وقعت والصواب الرابعة
٩٠	واقعة رأس العين الاولى
٩٤	واقعة تربيخا والدولاب
٩٦	بقية حوادث سنة ١١٨٠ ه
٩٧	الشعر الذي تعرض لحادثة الدولاب وتربيخا ووفاة الحاريصي والطيبي
٩٩	المعاهدة بين الاميرين ناصيف النصار وظاهر العمر
١٠٣	محاولة الاستقلال ومداخلة علي بك وابي الذهب وفتح دمشق
١٠٦	واقعة البحرة او واقعة الحولة
١٠٩	واقعة كفرمان او واقعة النبطية الثانية
١١٠	خلاصة رواية الشهابي
١١١	خلاصة رواية العامليين
١١٦	على هامش الحادث
١١٨	قصيدة شناعة اللامية في حرب كفرمان
١٢٢	واقعة صيداء
١٢٨	قصيدة شناعة المائية
١٢٨	محمود النصار واخوته وبعض احفادهم ـ هامش
١٣٠	مجمل حوادث سنة ١١٨٥ ه وما بعدها

« وقعت في الجزء الثاني من جبل عامل في التاريخ اغلاط مطبعية »
— طفيفة نستحسن اثبات المهم منها —

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٠١٦	١١	الظرف	الظروف	٠٤٧	٠٥	بستوادار	بشتوادار
٠٤٧	١٠	الكبرللي	ابن الكبرللي	٠٧٩	٠١	بينم	بينهم
٠٨٦	٠٦	مضانها	مظانها	٠٨٩	٠٢	انصار الثانية	انصار الرابعة
٠٩٣	٠٣	قربه	قرية	٠٩٦	٠١	ذلك بسالة	ذلك اليوم بسالة
١٣٧	٠١	سنة ١١٧٦	سنة ١١٨٦				
١٥٧	٠٦	تجمع الخيل	تجمع الاموال والخيل				
١٧٣	٠١	كبس	كبس	١٨٤	٠٤	والدلاتية	والدالاتية
١٨٤	١٥	ثم	تم	١٩٦	٠٨	بالصلاة	بالصلات
٢٠٢	٠٦	لحسور	لحسود				
٢٠٥	١٧	لايزالان مخطوطين	الذي لايزال مخطوطا				
٢١٢	٠١	يصله وغيره	يصله هو وغيره				
٢١٤	١٨	تكريمة	تكريما	٢١٥	١٢	ابن علي	ابن عباس العلي ابن علي
٢١٧	١٤	تنصب	تنصيب	٢٢٠	٠٧	محمود	محمد
٢٢٩	١٥	قضيتة	قضية	٢٣١	١٤	ببنيه	ببتيه
٢٣٨	٤	تجي	تجو				

﴿ تم الكتاب ﴾

